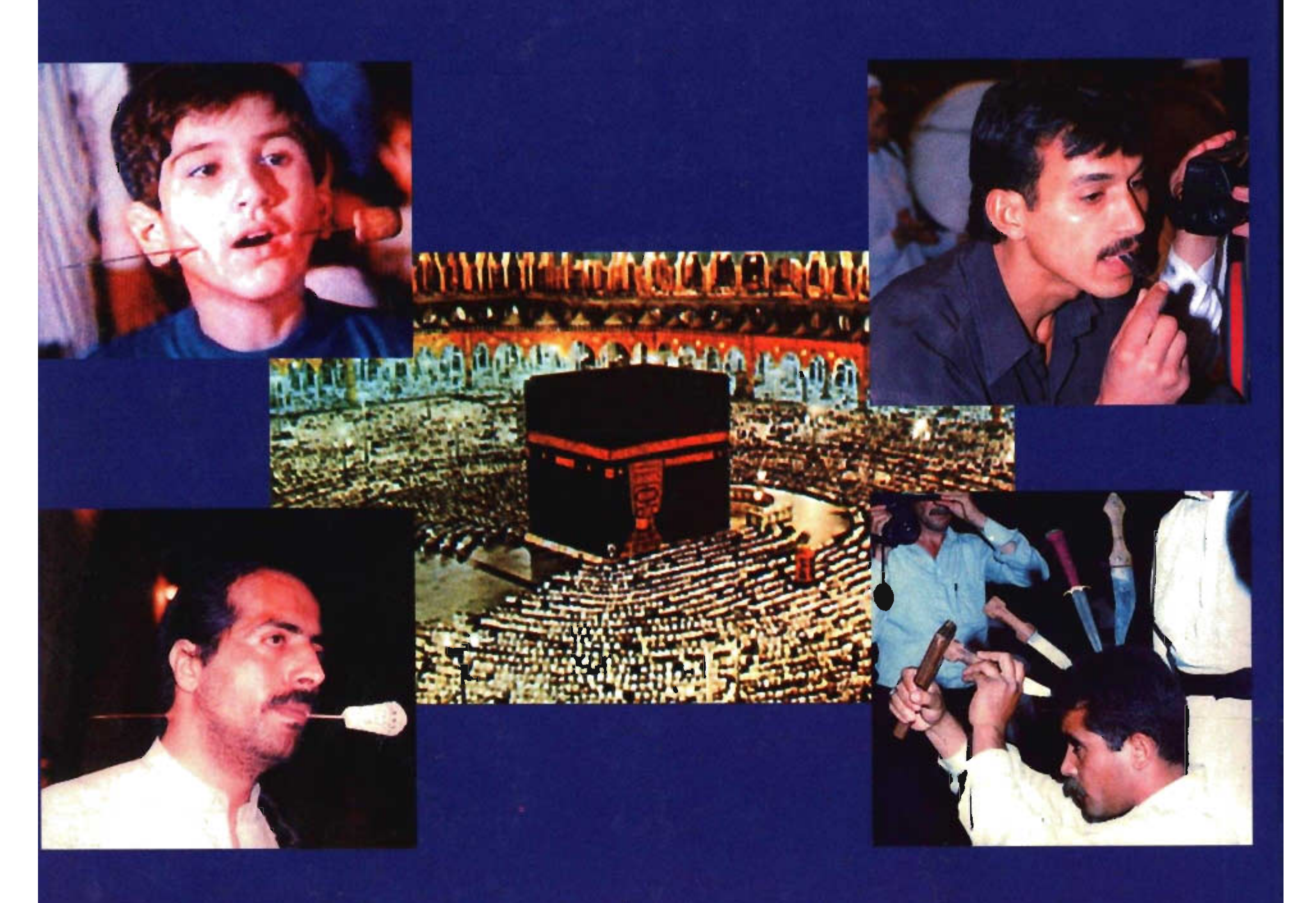
التصوّف

من سلسلة كتب
الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية



السيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية
الكسنزانية في العالم

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

السيد الشيخ

من سلسلة كتب
الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

أ- الاصدارات الرحمنية

١- الانوار الرحمنية، للسيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني (طبعتين)

٢- جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر الكيلاني
تحقيق السيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني

٣- الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

ب- تحت الطبع

١- الحياة الروحية للرسول الأعظم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
للسيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني

٢- الاعجاز العلمي في القرآن الكريم
تحقيق السيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني

٣- سيرة العارفين للسيد محمد نهروالسيد
الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني

٤- روح الحياة - الجوانب العلمية في سورة العنكبوت
للسيد محمد نهر والسيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني
والسيد بكر السيد غريب البرزنجي

من سلسلة كتب

الطريقة العلية القادرية الكسنزانيـــة

الطريقة العلية القادرية الكسنزانيــة

السيد الشيخ محمـد الكسنزانـي الحسينـي

رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صَلِّ على سيّدنا محمّد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلِّم تسليماً

الحمد لله والصلاة والسلام على نور الوجود خير البرية، قمر الهداية وكوكب العناية الربانية و مصباح الرحمة المهداة وشمس نور الأسلام من تولاه مولاه بالعناية السرمدية، واعلى مقامه فوق كل مقام وفضله على سائر الانبياء والمرسلين ذوي المراتب العلية وعلى آله الطيبين الذين طهرهم الله سبحانه وتعالى بمحكم التنزيل قال تعالى : (إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً). فكانوا خليفة الله في الارض، فهم مع كتابه المبين لا يفترقان الى يوم الدين . وصحبه الذين اطاعوه ولم يحيدوا عن امره ولم يعصوه واتبعوا النور الذي انزل معه فكانوا خير امة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر.

امـــا بعــــد :

فيسعدنا ويشرفنا ان نقدم للنـاس كافة هذا الكتـاب الموسـوم بـ (الطريقة العلية القادرية الكسنزانية) ليكون عبقاً شذياً تتعطر به الارواح وتنجلي به القلوب من كل غل وعلة و مغنياً لبيباً لكل من اراد السلوك والقراءة والبحث في هذا المجال - مجال الطريقة - ذلك لما تضمنه من حقائق راسخة وارشادات تعليمية وتوجيهات مسلكية بوسعها ان تاخذ بيدي من سلك الطريق على يدي اهله بصدق واخلاص وتفانٍ فتوصله الى اعلى المراتب والمقامات من بعد تقيده بالسير وفقاً لهذا المنهج المستقيم الذي شرع مشايخ الطريقة قدست اسرارهم ضوابط ما يجب على السالك الاخذ به والتحقق منه، وان هذا الكتاب لم

يكن منهجياً فحسب بل دليلاً واضحاً يسيراً لمن اراد السلوك والترقي روحياً عبر مقامات الوصول المتمثلة بـ (التوبة، التوكل، الخوف، الرجاء، الصدق، الاخلاص، الصبر، الورع، الزهد، الرضا، الشكر) .

إن الطريقة هي الرحلة الشاقة الشيقة الى الحضرة الالهية عبر قناطر الفناء الثلاثة (الفناء في الشيخ، الفناء في الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، الفناء في الله تعالى) وبذلك فهي تجمع بين الالم واللذة، الم مباينة العادات والطبائع ولذة التعود على خلق القرآن الكريم والتطبع بطبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي شرع الطريقة الى ربه عز وجل وشقه بعشقه لمولاه وشوقه له فكانت الطريقة هي سفرة الحب، حب العبد الطائع لمولاه سبحانه وتعالى كونها جانباً من اخصب جوانب الحياة الروحية في الاسلام لانها تعميق لمعاني العقيدة وتاويل للرموز والشعائر واروع صفحة تتجلى فيها الروحانية الاسلامية، ففيها اشباع للعاطفة وتغذية للقلب في مقابلة التفاسير العقلية الجافة والصورية .

ولارتباط الطريقة بعالم الملكوت كانت بحق ماء الحياة الابدي وضرورة الخلود الأزلي قال تعالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) على عكس الماديات التي مصيرها الموت والفناء لارتباطها بعالم الملك .

وطريقتنا الكسنزانية تميز مشايخها بانهم خاصة الخواص من اهل الله ورجاله قدست اسرارهم جميعاً الذين اتخذوا عشق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم معراجاً لسموهم الروحي لذلك اولت اهتماماً خاصاً بكل عبادة من شانها ان تزرع حب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب المُريد الصادق زرعاً يستقيم على اساس الشريعة الغراء المتمثلة باقوال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والتي تزدهر وتزهر بماء افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم فكل البنيان العقائدي لهذه الطريقة المباركة مؤسس على هذا الحب الواجب غرسه في صخر القلب القاسي من بعد تحوله بمعاول الذكر الالهي المأذون به من مشايخ الطريقة قدست اسرارهم

والعشق المحمدي الى تراب هش خاشع هامد فاذا ما أنزل اليه من بعد ماء تجلي الحقيقة اهتز هذا القلب وربت تربته وانبتت من كل زوج بهيج تجنى ثمارها في الدنيا والآخرة.

وختاماً نامل ان نكون قد وفقنا الى ما رمينا اليه بكتابنا هذا الذي بين يديكم والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

السيد الشيخ محمد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني الحسيني

رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الباب الأول

- ❖ عظمة الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
- ❖ فضل الصلاة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
- ❖ معجزات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
- ❖ الاسلام دين الجميع
- ❖ القرآن معجزة الأسلام العظمى
  - قدسية القرآن
- ❖ القرآن والمجتمع العالمي
  - الأنسانية في القرآن
  - الأسرة في القرآن
- ❖ خليفة الله في الأرض
- ❖ منزلة آل البيت النبوي
- ❖ الحسين الرمز عليه السلام
  - لماذا الحسين في كربلاء
  - الحسين رمز الحرية

عبدي اطعني اجعلك ربانياً تقول للشيء كن فيكون

حديث قدسي

عظمة الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

إنَّ من يقف متحدثا عن حضرة المصطفى سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم يقف في مقام المتحير ، فحقيقته صلى اللّه تعالى عليه وسلم لا يعرفها الا الله جل وعلا، والعقول مهما آتاها الله سبحانه وتعالى من فطنةٍ وادراكٍ لا يمكن أنْ تحيطَ بهذا النور الرباني الذي تمثل في صورة سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقال ربنا تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قَدْ جاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)[1] ان هذا النور الالهي هو العماد الرئيسي والاساسي لهذا الكون اذ هو علة الوجود وسبب كل موجود وقد أجاد ابن نباته المصري حين قال :

لو لاهُ ما كانَ ارضٌ لا ولا افقٌ	ولا زمانٌ ولا خلقٌ ولا جيلُ
ولا مناسكُ فيها للهدى شُهبٌ	ولا ديارٌ فيها للوحي تنزيلُ

من هذا لابد ان نعرِّج متبركين على شخصية الحبيب المصطفى صلى اللّه تعالى عليه وسلم مشيرين الى نزر من المنح واللطائف الالهية التي اختص بها سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم في كتاب الله العزيز علّ الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا من الذين فرحوا برسول اللّه تعالى عليه وسلم كي يفرح بنا .

قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً)[2] .

نبدأ من هذه الاية المباركة لفهم بعض السمات الالهية التي خص الله سبحانه وتعالى بها سيدنا محمداً عليه افضل الصلاة واتم التسليم، فقال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ)اذ لم يذكر الحق سبحانه وتعالى من هو هذا الرسول ولكن يتبادر الى الذهن ابتداءً انه رسول اللهِ صلى اللّه تعالى عليه وسلم، والابهامُ في مثل هذا المقام يفيد التعظيم، فكما في قول الله تعالى : (مُحمدٌ رسولُ اللهِ) على ما يقرره العلماء فإن هذا يسمى (مفهوم اللقب)، ومفهومُ اللقب لا ينزِع صفةَ الرسالة عن غير رسول الله صلى اللّه

(١) سورة المائدة، الآية ١٥ .

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٨ .

تعالى عليه وسلم من الانبياء والمرسلين، ولكن يشيرُ هذا المفهوم إشارةً الى أنَّ تحقق هذا الوصف (اي وصف الرسالة) على كماله وتمامه في شخص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فكأن الله تعالى قال : (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**) ، اي ارسل أعظم رسله، ثم قال تعالى : (**بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**) ، والهدى هو نقيض الضلال، ودين الحق هو الدين الذي جاء مطابقا للواقع ذلك على تعريف المتكلمين للحق بأنه الحالةُ المطابقةُ للواقع، اذ أنَّ هذا الدين هو دينُ الفطرةِ التي فطر الله الناس عليها وهذا ما قرره الحبيب المصطفى عليه افضل الصلاة واتَمّ التسليم بقوله : (**كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ حتى يُعربَ عنه لسانهُ، فأبواه يهودانه وينصرانه**)[1] ، فالاسلام هو دينِ الحق كونه قد طابق الفطرةَ البشريةَ التي فطر الله الناس عليها، ثم قال تعالى : (**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**) و فعل الظهور هنا مسند الى ضمير مبهم وهو (الهاء) وعائديةُ الضمير لابدَّ أن تكون على اسمٍ ظاهرٍ، والايةُ الكريمة فيها اسمان ظاهران هما (الرسول والدين)، فإذا كان الضمير عائدا على الاسم الظاهر (الرسول) فإن تفسير الظهور في هذه الآيةِ المباركةِ يأتي بمعنى (الاطلاع)، فكأن الله سبحانه وتعالى قال : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليطلعه على الدين كله)، ولفظ (الدين) جاء معرفا (بالالف واللام) المفيدةِ للأستغراق، فكأن المعنى سيكون : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليطلعهُ على الاديانِ كلِّها .

أما اذا كان الضمير عائدا على الاسم الظاهر الثاني (الدين)، فقد تقرر المعنى على شكل آخر، فكأن الله سبحانه وتعالى في قوله : (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**)[2] قد قال : هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليرفع شأنه على الاديان كلها، فالظهور هنا جاء بمعنى الرفعة، وكما يقول القائل : ظهر بنو فلان على بني فلان، اي انتصروا عليهم وارتفعوا شأناً عنهم .

مما تقدم لا بد ان ندرك ما هي اسباب هذا الظهور لهذا الدين الحنيف على بقية الاديان ؟ أن سبب ظهور هذا الدين الحنيف على بقية الاديان بموجب قاعدة ربط

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن الاسود بن سريع ورواه الحاكم والبيهقي .
(٢) سورة الفتح، الآية ٢٨.

الاسباب بالمسببات هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فالله سبحانه وتعالى قد أعطى سيدنا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يَعطِ غيره من الانبياء والمرسلين من الإكرام والمِنَح الالهية الربانية، وقال الامام الشافعي(رحمه الله): ما من رحمةٍ أُصيب بها أهلُ الارض والسماء إلاّ عن طريقِ رسولِ اللهِ صلى تعالى عليه وسلم .

فكلُّ رحمةٍ وصلتْ الى الانبياء والمرسلين وكل منحةٍ الهيةٍ مُنِحَ بها نبيٌّ مرسلٌ ما جاءت إلاّ عن طريق سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قال : (انا كنت نبياً و آدمُ بين الماء والطين)[1]، فاكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم قد سبق ظهوره، والذي يقرر هذه المسألة ما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ النبيين لمَا ءاتيْتُكم مّن كِتَابٍ وحِكمةٍ ثُمَّ جاءكم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِما معَكُم لتُؤمنُنَّ بهِ ولتنصُرُنَّه قالَ أاقررتم واخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)[2].

يتبين من هذا أن النورَ المحمديَّ قد بُعث الى جميع الانبياءِ والمرسلين وقد صدقَ البوصيري حين قال :

وكلُ آيٍ أتى الرسلُ الكرامُ بها — فإنما اتصلتْ من نوره بهم
فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبُها — يُظهِرنَ أنوارَها للناسِ في الظُلَمِ

إنَّ تفضيلَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بقية الانبياء والمرسلين أمرٌ واجبٌ ومشروعٌ لا يُستدل على نفيهِ بقول الله تعالى: (لا نفرقُ بينَ أحدٍ من رُسله)[3]، فالتفريقُ المقصودُ في هذه الآية الكريمة بين الرسل يكون بالايمان، أي نؤمنُ بهذا ونكذب ذاك، فاللهُ تعالى قال في موضع آخر من القرآن الكريم : (تلكَ الرسلُ فضلنا بعضَهم على بعضٍ)[4]، فلم ينلْ أحدٌ من الانبياء والمرسلين الأفضلية التي نالها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ما يوضحه ويبينه قول الله تعالى : (ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتَمَ النبيين وكان اللهُ بكلِ شيءٍ عليماً)[5] .

---

(١) الحديث ورد في شرح القاشاني على الفصوص ص٢٦٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٨١.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٣ .
(٥) سورة الاحزاب، الآية ٤٠ .

إنَّ هذا الخطاب موجهٌ من الحق سبحانه وتعالى الى الناس كافة فقال تعالى : (ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم)، أي لا ينبغي لأحدٍ منكم ايها الناس أنْ يُعامل رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم كما يعاملُ بعضُكم بعضاً لانه ذو منزلةٍ وقدسيةٍ خاصةٍ، ثم تابع الحق قوله : (ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النبيين)، فـ (رسولُ الله) كما أسلفنا أنه مفهوم اللقب الذي يوضح لنا تقدَمهُ وافضليتَهُ على بقية الانبياء والمرسلين ولكن نقف عند قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : (وخاتَم النبيين) بفتح التاء، فلم يقل الحق سبحانه وتعالى : خاتِم النبيين بكسر التاء، فما الفرق بين اللفظين ؟

الخاتِم للشيء (بكسر التاء) : هو الذي يأتي في آخره، اما الخاتَم (بفتح التاء) فهو الذي يكون به الابتداء والانتهاء، لذلك سُمي الخاتَم خاتَماً لانه محيط بالاصبع من كل جانب فيُبتَدَأ به ويُنتَهى اليه، فالله سبحانه وتعالى يقرر في هذه الآية الكريمة بأن هذا النبي الأعظم صلى اللّه تعالى عليه وسلم هو محيط دائرة الانبياء أجمعين منه المبتدى واليه المنتهى، إضافة الى ما تقدم فقد ختم الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : (وكان الله بكل شيء عليما)، فالذي يناسب هذا المقام لا يكون الا بمثل هذا الانتهاء، ففيه إشارة الى ان الله تعالى هو الوحيد الذي يعلم الحقيقة المحمدية ولا يمكن لأحد معرفة ذات رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فقد قال الله سبحانه وتعالى : (يَهدي اللهُ لِنورِه مَنْ يشاء)[1] .

لِنُدقق النظر في موطن آخر من القرآن الكريم ولِنُعرِّج على الآية الكريمة التي أمر الله سبحانه وتعالى العباد بالصلاة على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقد قال الله تعالى : (إنّ اللهَ وملائكتَه يُصلّون على النبيّ يا أيُها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّمُوا تسليماً)[2].

إن هذا الامر الرباني في الآية الكريمة جاءنا بصورة قرآنية جديدة تتميز وتختلف عن بقية صيغ الأوامر الربانية الأخرى في القرآن الكريم، فقد قال الله سبحانه وتعالى : (أقمِ الصلاةَ لدلُوكِ الشمسِ ......)[3] .

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٥ .

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٨ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٧٨ .

وقال : (كُتِبَ عليكُمُ الصيامُ كما كُتبَ على الذين من قبلِكم لعلّكم تتّقون)[1] .

وقال : (كُتبَ عليكم القِصاصُ في القتلى ....)[2] .

وقال : (ولله على الناسِ حجُّ البيتِ من إستطاعَ اليه سبيلا)[3] .

هذا الى ما شاكله من صيغ الاوامر التي تقتضي طلبَ الفعل، ولكن حينما كان الامر بالصلاةِ على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء الامر بصيغةٍ أُخرى فابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بقوله : (إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلّونَ على النبيِّ)[4]، ليشير الى أنَّ مقامَ الصلاةِ على النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم مقامُ تشريفٍ للعبادِ إضافةً الى أنه مقامُ تكليفٍ يُراد به طلبُ الفعل، فالصلاةُ على النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم مقامُ تشريف وتكليف في آن واحد، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول لعبده : أنَا أُصلي على حبيبي وملائكتي يصلون على حبيبي فإذا صليتَ عليه كنتَ حاضرا معي ومع ملائكتي في هذا المقام الرفيع .

ومن ناحية اخرى إذا ما نظرنا الى تنفيذِ أمرِ الصلاة على النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الآية الكريمة فإن كيفيةَ تنفيذِ هذا الامرُ قد جعل الصحابة الكرام يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه، فقالوا يا رسول الله علمنا الصلاة عليك، فكيف نصلي عليك ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا : (اللهم صلِّ على محمّدٍ وعلى آل محمد كما صليتَ على ابراهيمَ وعلى آلِ ابراهيمَ وباركْ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما باركتَ على ابراهيمَ وعلى آل ابراهيمَ في العالمين إنّك حميدٌ مجيدٌ).

فهكذا يكون تنفيذُ أمرِ الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ولننظر الى تنفيذ الفعل للاوامر في بقية الصيغ القرآنية الآمرة، ففي قول الله تعالى: (اقمِ الصلاةَ لدلوكِ الشمس .....)[5]، فعلينا في هذا الامر تنفيذُ واداءُ فعل يبدأ بالتكبير

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٨ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٧ .
(٤) سورة الاحزاب، الآية ٥٦ .
(٥) سورة الأسراء، الآية ٧٨ .

وينتهي بالتسليم . وفي قول الله تعالى : **(وآتوا الزكاة)**، فما علينا الا أنْ نُخرجَ جزءً من مالنا إمتثالاً لهذا الامر الربانيّ، ولكن حينما أُحيل الفعلُ على العبادِ لتنفيذِ أمرِ الصلاة على النبيِّ صلى اللّه تعالى عليه وسلم بقوله تعالى : **(صلّوا عليه وسلّموا تسليماً)**[1]، قال العباد : اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على ابراهيمَ وعلى آلِ ابراهيمَ وبارِكْ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما باركتَ على ابراهيمَ وعلى آل ابراهيمَ في العالمين إنّك حميدٌ مجيدٌ، او يقولون: اللّهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما، الى ما شابهها من صيغِ الصلاة على النبيِّ صلى اللّه تعالى عليه وسلم، وفي هذا اشارةٌ من العباد الى تفويضِ أمر الصلاة على النبيِّ صلى اللّه تعالى عليه وسلم الى الله تعالى، فكأنَّ العبادَ يقولون : يا ربِ اذا كنت انتَ وملائكتَكَ قَدْ صليتُم على نبيّك فلا طاقةَ لنا على اداءِ هذا الفعل، لذلك يقول بعض المفسرين :

إنَّ الامرَ التكليفيَّ الوحيدَ الذي عجزَ عن إدائه العبادُ هو الصلاةُ على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم، ففيهِ يتحققُ الذلُّ والانكسارُ والتجردُ الى الله تعالى والاقرارُ بالضعفِ .

إنَّ اللّه سبحانه وتعالى لم تغادرْ رعايته ولطفُه حبيبَه محمداً صلى اللّه تعالى عليه وسلَّم وهذه حقيقةٌ قد أكدَّها اللّهُ سبحانه وتعالى في كتابهِ العزيز بقولهِ : **(والضّحى واللّيل إذا سَجَى ما ودّعكَ ربُّكَ وما قلى)**[2] .

إنَّ عِظمَ هذهِ الرعايةِ الالهيةِ لسيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلَّم ورفعتها تتجلى لنا بوضوح اذا ما قورنت بالرعاية الالهية لسيدنا موسى عليه السلام، اذ قال الله سبحانه وتعالى في حقه : **(ولِتُصْنَعَ على عَيْني)**، واما قولُ الله تعالى في حق نبينا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلَّم : **(فإنّكَ باعيُننا)**، فالفارقُ واضحٌ في الرعاية الالهية العظيمةِ الرفيعةِ لسيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم من رعايةِ اللّهِ تعالى لسيدنا موسى عليه السلام، ومن ناحية اخرى فقد كانَ هنالك ميعادٌ لسيدنا موسى عليه السلام فقال تعالى : **(وإذْ واعدنا موسى اربعينَ ليلةً)**، اما رسولُ الله صلى اللّه

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦ .

(٢) سورة الضحى، الآيات ١-٣.

تعالى عليه وسلم فلم تفارقْ رعايةُ الله سبحانه وتعالى ذاتَـه الشريفةَ في أيِّ حالٍ من الاحوال فقال تعالى : (ما ودَّعكَ ربُّكَ وما قَلى) .

إنَّ حقيقةَ هذه العظمة وهذه الرفعة التي خَصَّ اللّهُ سبحانه وتعالى بها سيِّدَنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم، قد خاضَ في بَحرِها وغاص في معانيها كثير من الاعلام العارفين وقد عبر عن هذه الحقيقة الشيخ محيي الدين بن عربي وسماها بـ (الحقيقة المحمدية) والتي اعتبَرها العمادَ الذي قامت عليه (قبةُ الوجودِ) فهي صلةُ الوصلِ بين اللّه والناس وهي القوةُ المدبرةُ التي يصدرُ عنها كلُّ شيءٍ، ولندعْ ابن عربي يشرح هذه المسألة بمفهومه :

(إعلم أنَّ الله لما خلق الخلق جعلهم أصنافاً، وجعل في كل صنفٍ خياراً، وأختار من الخيار خواصاً وهم المؤمنون، واختارَ من المؤمنين خواصاً وهم الاولياء، واختارَ من هؤلاء الخواص خلاصةً وهم الانبياء، واختار من الخلاصةِ نقاوةً وهم انبياءَ الشرائع المقصورة عليهم، واختار من النقاوةِ شرذمةً قليلين هم صفاء النقاوةِ المرُوقةِ وهم الرسل أجمعهم، واصطفى واحداً منهم، ليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمداً أقامَ عليه قبة الوجود، وجعله الله أعلى المظاهر وأسناها، صحَ له المقام تعييناً وتعريفاً، فعلمُه قبلَ وجودِ طينةِ البشرِ وهو محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم لا يُكاثَر ولا يُقاوَم، هو السيدُ وَمَنْ سواه سوقة)[1] .

وقد بحث في تحرير هذه القضية (القاشاني) فقال : (إنَّ محمداً اولُ التعينات الذي تُعيَّنُ به الذاتِ الأحدية قبلَ كل تَعيُّـن فظهر به ما لا نهاية له من التعينات، فهو يشمل جميع التعينات، فهو واحدٌ فردٌ في الوجودِ لا نظيرَ له : اذْ لا يتعيَّـن من يساويه في المرتبة، وليس فوقه إلاّ الذاتِ الأحديةِ المطلقة المنزهةِ عن كلِّ تَعيُّنٍ وصفةٍ وإسمٍ ورسمٍ وحدٍ ونعتٍ، فله الفرديةُ مطلقاً، ومن هذا يُعلمِ إنَّ الاسمَ الاعظمَ لا يكون الا له دون غيره من الانبياء، ومن فرديته يُعلمُ سرُّ قوله : كنتُ نبياً وآدمُ بين الماء والطين، كونه خاتَمَ النبيين وأولَ الاولين وآخرَ الاخرين، ومن أوليته وجمعيته سرُّ قوله : **أوتيتُ جوامعَ الكلم**، وكونه أفضلَ الانبياء فإنهم في التصاعدِ وسعةِ الاستعدادِ والمرتبة، ينتهون الى

(١) الفتوحات المكية، ج٢ ص٩٧ ابن عربي.

التعيُّنِ الاول ولا يبلغونه، والتعيُّنُ الاولُ هو محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم الذي تَرجعُ اليه جميعُ التعيُّنات فهو البرزخُ بين الذاتِ الأحديةِ وبين سائر الموجودات)[1] .

وقد قال الشاعر احمد شوقي :

كيـف ترقـى رقيكَ الانبياءُ	يا سماء ما طاولتها سماءُ
لم يساووك في علاك وقد حا	لَ سناً منك دونهم وسناءُ
إنّما مثّلوا صفاتك للناسِ	كما مثّلَ النجومَ الماءُ

ومن هنا يتضح لنا بأنَّ جميعَ الانبياء عليهم السلام من نورِ سيِّدِنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم الذي هو أصلُ الوجودِ واولُ تعيُّنٍ للذاتِ الاحديةِ وعنه نشأت جميعُ التعيّنات ومن أجل ذلك كان سيّدُ جميعِ الناسِ وكان خاتَماً للانبياء .

وقد لخص هذه الحقيقة الشيخ محمد البكري رحمه الله في هذه الطائية :[2]

قبضةُ النورِ من حيمِ ارتنا	في جميعِ الشؤون قبضاً وبسطاً
وهي اصلٌ لكلِ اصلٍ تبدّى	بَسطَتْ فضلها على الكونِ بسطا
وهي وترٌ قد اظهرتْ عدد الشفـ	عِ بعلمٍ فجلَّ حصراً وضبطا
ولَدت شكلاً فانتجَ اشكلاً	بشرياً اقام للعدل قسطا
طَلسَمٌ حارتِ العقولُ عليهِ	كنزُ بحرٍ قد شطَّ في الدركِ شطا

إنَّ الوسيلةَ الكبرى والعظمى للعباد هو حضرة المصطفى صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا آتقوا اللّه و آبتغوا اليه آلوسيلة)[3]، فهو بلا شكٍ ولا ريبٍ وسيلتُنا ووسيلةُ أبينا آدم عليه السلام، فمن أرادَ الرحمةَ والمغفرةَ والقربَ في الدارين من الله تعالى فما عليهِ الاّ أنْ يبادرَ إلى طرقِ بابِ المصطفى صلى اللّه تعالى عليه وسلم ويناديه بلسانِ العاشقينَ وبقلبِ المحبينَ وبروحٍ فانيةٍ بمحبتهِ صلى اللّه تعالى عليه وسلم كي ينالَ مبتغاه ومرامه، ولكن الذي يضيرُ ويجعلُ القلوبَ تتفطر ذلك الجدلُ العقيمُ الذي لجت به الألسنُ في المجالس وهو هل إنَّ للنبيِّ صلى اللّه تعالى عليه وسلم جاهاً عند الله ام لا ؟

(١) شرح القاشاني على الفصوص، ص٢٦٦، ٢٦٧ .
(٢) ديوان الحقائق، ص٢٨٥.
(٣) سورة المائدة، الآية ٣٥.

اذا كنا نناقش في هذا الامر الى يومنا هذا، فمتى نعرف قدر نبينا ؟! إنَّ مجردِ المناظرةِ في هذه المسألةِ تُعدُّ إساءةً أدبٍ عظيمةً مع حضرة المصطفى صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم وتفريط في حقه، فهو الباب الذي لا يوصد ولا يُدخل الى رحمة الله تعالى إلاّ من خلاله، قال تعالى : **(ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)**[1] .

وإن من عظمة الرسول صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم وعِظم جاهه عند اللّٰه سبحانه وتعالى ان جعل الارزاق منوطةً به صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم فقد روي عن الرسول صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم انه قال : **(إن اللّٰه معطٍ وانا قاسم)** وكان الصحابة يرددون (هذا ما أتانا اللّٰه ورسوله من فضله) .

وقد صدق القائلُ :

ما أرسلَ الرحمنُ أو يُرسـلُ	من رحمةٍ تَصعُد أو تنـزلُ
إلاّ وطه المصطفى عبدُهُ	نبيُّهُ مختارُه المرسلُ
واسطةٌ فيها ووصلٌ لها	يفهم هذا كلُّ مَنْ يَعقلُ
فحُطَّ أحمالَ الرجا عندهُ	فهو شفيعٌ دائماً يقبلُ

ذلك إنَّ الرسول صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم هو الشارعُ الأشهر والخليفة الاكبر، نور اللّٰه اللامعُ وبرقه الساطع وسيفه القاطع ومعناه الذي هو في أُفقِ كل قلبٍ سليمٍ طالعٍ. ويكفينا رداً على مَنْ يعترض على وجاهته صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم هذان النموذجان من الصلوات التي إخترناها من كتاب الصلوات الكسنزانية والتي تبين عِظَمَ منزلته ووجاهتهِ عند الله تعالى :

*** صلاةُ الوظيفةِ لابن مَشيْش (رحمه الله) :**

(اللهم صلِّ على مَنْ منهُ انشقت الاسرار، وانفلقت الانوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علومُ آدم بأعجزِ الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركْه سابقٌ ولا لاحقٌ، فرياضُ الملكوت بزهرِ جماله مونقةٌ، وحياضُ الجبروتِ بفيض أنوارهِ متدفقةٌ، ولاشيءَ

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٤.

إلاّ هو به منوط، إذ لولا الواسطةُ لذهب - كما قيل - الموسوط)[1] .

*** صلاةُ السحرِ لمصطفى البكري (رحمه الله) :**

(اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على مَنْ تشرفت به جميعُ الاكوان، وصلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمّدٍ اَلذي أُظهرت به معالمُ العرفان، صلِّ وسلِّم وبارك على عينِ الاعيانِ والسببِ في وجودِ كلِّ انسان)[2] .

---

(١) أوراد البكري، للشيخ محمد البكري ص٧٤.

(٢) مجموع الاوراد، للشيخ محمد البكري ص٦٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً »

صدق الله العظيم

فضل الصلاة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

تتجلى عظمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمة جاهه في أن الله تبارك وتعالى صلى عليه بنفسه ثم ثنّى بملائكة قدسه وثلّث بخلقه من جنه وإنسه . وأيةُ درجة أعظم ممن خصه الله تعالى بهذا التكريم العظيم الذي لم يُخَصَّ به نبي من قبل قال تعالى : ﴿إنّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلّونَ على النبيّ يا أيُّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[1]، وقد ورد أمر الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في الاحاديث النبوية الشريفة :

* فقد أخرج ابن علي بن شعيب عن عمر بن عمر قال سمعت عبد الله بن بشر يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (الدعاء كله محجوب حتى يكون اوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو يستجاب لدعائه).

* واخرج الامام أحمد بسنده أن أبا سلمان الداراني يقول : (من اراد ان يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليسأل حاجته وليختم بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأن الصلاة على النبي مقبولة والله أكرم من أن يرد ما بينهما) .

* واخرج إبن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : (ما جلس قومٌ مجلساً ثم تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الآ كان عليهم من الله ترةٌ إن شاء عذبهم وان شاء غفر لهم) .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال: (رَغِمَ انف رجلٍ ذكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليّ)[2] .

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٥٦ .

(٢) اخرجه الترمذي والحاكم .

* وروى إبن حبان في صحيحة عن أنس بن مالك قال ، قال رسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يُصلِ عليّ فانه من صلى عليّ مرةً صلى الله عليه عشراً).

* واخرج البيهقي في سننه والطبراني في معجمه الكبير عن إبي أُمامةَ إن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال :

(اكثروا عليّ من الصلاة في كل يوم جمعة فان صلاة إمتي تعرض عليّ فمن كان اكثرهم عليّ صلاةً كان اقربهم مني منزلةً) .

* وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم :

(من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام إسمي في ذلك الكتاب).

* وقال الطبراني حدثنا حفص بن عمر عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم :

(من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً ادركته شفاعتي يوم القيامة).

* وروى أبو موسى المديني بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم :

(كل كلام لا يُذكر اللهُ فيه فيُبدا به وبالصلاة عليّ فهو اقطع ممحُوق من كل بركة).

* وروى ابن خزيمة في صحيحة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال :

(اذا دخل احدكم المسجد فليُسلّم على النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم وليَقل اللّهم إفتح لي ابواب رحمتك وإذا خرج فليُصلِّ على النبي وليقل اللّهم اجرني من الشيطان).

* وعن الثوري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم :

(تجعلوني في وسط الدعاء وفي اوله وفي اخره) .

* عن محمد بن علي بن الحسين قال – قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم :

(من نَسيَ الصلاة عليَّ اخطأ طريق الجنة).

* وعن سعيد بن المسيب قال : (ما من دعوة لا يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبلها إلاّ كانت معلقةً بين السماء والأرض) .

* وروى ابن ابي شيبة عن ابن فضيل عن ليث عن كعب عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

(صلّوا عليَّ فان الصلاة عليَّ زكاة لكم).

* وعن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

(اذا فرغ احدكم من طهوره فليقل اشهد ان لا إله إلاّ الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله ثم ليُصلِّ عليَّ فاذا قال ذلك فتحت له ابواب الرحمة).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

(إذا نسيتم شيئاً فصلّوا عليَّ تذكروه إن شاءَ الله).

* وعن أبي سهل بن مالك عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

(من صلى عليَّ مئة صلاةٍ حين يصلي الصبح قبل ان يتكلمَ قضى الله له مئةَ حاجةٍ عجلَّ له منها ثلاثين حاجة واخرَّ له سبعينَ وفي المغرب مثل ذلك) .

مُعجزات الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم

كان الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم عظيماً في رسالته وعظيماً في جهادهِ وعَظيماً في معجزاتهِ التي بهرت عقول الفصحاء وأعجزت فطاحل العرب عن مجابهة القرآن الكريم والأتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ما أعظم الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم وما أعظم خلقه وأخلاقه . وما جاءت معجزاته إلاّ لتكون مماثلةً لعظمة رسالته وعظمة خلقه الذي قال اللّه تبارك وتعالى في حقه : ﴿وإنكَ لعلى خُلقٍ عظيمٍ﴾[1] .

أيُّ عظيم يبلغ عظمة الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم، عظمةَ من وصفه الله في كتابه العزيز وصنَعَهُ لنفسه وقرنَ أسمه بأسمه فهو نبي الأسراء والمعراج وقائد الغرِّ المحجلين والامام الأتقى وعلةِ الوجودِ الأعلى .

واذا كان لابد من ذكر بعضٍ من معجزاته صلى اللّه تعالى عليه وسلم لتبصير من غفل عن حقيقته فنختار منها ما يأتي :

* قال ابن اسحق : أُصيبت يوم أحد عين قُتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدّهما .

* ذكر الزبير قال ان عبد الله بن جحش إنقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم عُرجونَ نخلة فصار في يده سيفاً وكان يسمى العُرجون.

* وعن عاصم بن أبي النجود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال : كنت أرعى غنماً لعقبة بن ابي معيط فمرَّ بي رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وقال لي يا غلام هل من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمنْ قال : فهل من شاة حائل لم يَنْزُ عليها الفحل ؟ قال فأتَيتهُ بشاةٍ حائل فمسحَ ضَرعها فَنزل اللبّن فحلبَهُ في إِناء وشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع أُقلُصْ فقلَصْ .

---

(١) سورة القلم، الآية ٤

* قال ابن اسحق كان من حديث الأسود الراعي أنه أتى رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وهو محاصرٍ لبعض حصون خيبر ومعه غنمٌ له كان فيها أجيراً لرجلٍ من اليهود فقال يا رسول الله أعرض عليَّ الاسلام فعَرضَهُ عليه فأسلم فلما أسلم قال يا رسول اللّه إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم أضرب في وجوهها فانها سترجع الى ربها فأخذ الأسود حَفنةً من الحصى فرمى بها في وجوهها وقال إرجعي الى صاحبك فو الله لا اصحبك أبداً فخرجت الغنم مجتمعةً كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن .

* وقال ابن أسحق حدثني عاصم بن عمر بن قُتادة قال : كان فينا رجلٌ غريب لا يدرى من هو يقال له قُزمان وكان رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم إذا ذُكِرَ له يقول إنه لَمِن أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل مع المسلمين قتالاً شديداً فَقَتَلَ وحده ثمانيةً أو سبعةً من المشركين وكان ذا بأس فأثخنتهُ الجراح فاَحْتمِلَ الى دار بني ظفر ثم أثنى عليه نفر من الصحابة عند رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وذكروه بخير فقال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم إنه لمن أهل النار فأخذ الصحابة يعجبون من ذلك حتى كاد يساورهم ريبٌ في ذلك فذهب جماعة من المسلمين إلى قُزمان يقولون له لقد والله أبليتَ اليوم يا قُزمان فأبشر فقال بماذا أبشر ؟ فو الله ما قاتلت إلاّ عن أحساب قومي ولو لا ذلك ما قاتلت قال : فلما اشتدت عليه جراحاته أخذ سهماً من كنانتهِ فَقتلَ به نفسه فعاد الصحابة الى رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم يقولون نشهد انك لرسول الله ثم ذكروا له أمر قزمان فقال صلى اللّه تعالى عليه وسلم إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر .

* وقال ابن أسحق ان إبنةً لبَشير ابن سعد أُختَ النعمان بن بشير قالت دَعتني أُمي عَمرةُ بنت رواحة فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي ثم قالت أي بُنيَّة إذهبي الى ابيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فأخذتها فأنطلقتُ بها فمررتُ على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وأنا التمسُ أبي وخالي فقال تعالي يا بُنية ما هذا معكِ قالت فقلتُ يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أُمي الى أبي وخالي فقال هاتيهِ قالتْ فَصببتهُ في كَفي رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فما ملأتُهما ثم أمر

بثوب فَبُسطَ له ثم دحا بالتمر عليه فَتبددَ فوق الثوب ثم قال لرجل عنده نادِ في أهل الخندق أن هلموا الى الغداء، قالت فأجتمع عليه القوم فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صَدُرَ أهل الخندق عنه وإنه لَيسقُطَ من اطراف الثوبْ .

* قال الامام البخاري حدثني محمد بن بشار، حدثني يحى بن سعيد عن قُتادة أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم ان النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم صعد على جبل أُحدْ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجَفَ بهم فقال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم إثبتْ يا أُحدْ فأنما عليك نبي وصديق وشهيدان .

* قال الامام البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا حُصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله عنهما قال : عطِش الناس يوم الحديبية والنبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم بين يديه رَكوٌة فتوضأ فَجَهشَ الناسُ نحوَهُ فقال ما لكم ؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأُ ولا نشرب إلاّ ما بين يديك! قال جابر فوضع النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم يدهُ في الركوة فجعل الماءُ يثور بين أصابعه كأمثالِ العيون فشربنا وتوضأنا، قال سالم قلت لجابر كم كنتم ؟ قال كنا خمس عشرة ومائة ولو كنا مائة الف لكفانا .

* كان رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم يزور أمُ ورقة بنت عبد الله بن الحارث ويُسميها الشهيدة وحين غزا صلى اللّه تعالى عليه وسلم بدراً قالت له إئذن لي ان أخرج معكم فأُداوي جراحَكُم لعلَّ الله يهدي إليَّ الشهادة فقال لها رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم إن الله يهديك الشهادةَ وقُرّي في بيتكِ فأنكِ شهيدة، وكان النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم قد أمرها أن تؤمَّ أهل دارها وكان لها مؤذّنٌ فكانت تَؤمُ أهل دارها حتى غَمَّها غلامٌ لها وجاريةٌ وكانت قد أوصَتْ بأن يَعتقا بعد وفاتها فقتلاها في خلافة عمر بن الخطاب فبلغ ذلك عمر فأمر بطلبهما فأُدركا فأُتيَ بهما فصُلبا وكانا أول مصلوبين بالمدينة وقال عمر صدق رسول الله حين كان يقول إنطلقوا نزر الشهيدة .

* وأخرج الامام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه إن امرأةً من الانصار

قالت لرسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم الا أجعل لك شيئاً تَقعُد عليه فأن لي غلاماً نجاراً قال إن شئت قال فَعملتُ لَه المنبر فلما كان يوم الجمعة قَعدَ النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم على المنبر الذي صُنع فصاحت النخلة التي كان يخطبُ عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم فضمها اليه فجعلت تَئِنُ أنين الصبيُّ الذي يُسكّتْ .

* قال ابن أسحق : ان رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم لما سار إلى تبوك حتى إذا كان ببعض الطريق، ضلّتْ ناقَتهُ، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم رجل من أصحابه يُقال له عمارة بن حزم وكان عَقَبياً بدريّاً وهو عَمُ بني عَمرو بن حزم وكان في رحله زيدُ بن اللّصَيت القينقاعي وكانَ منافقاً فقال زيد المنافق وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله : أليس محمدٌ يَزعمُ أنه نبيٌّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبيٌّ، ويزعُمُ أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله . وقد دلّنيُّ اللّه عليها، وهي في هذا الوادي، في شِعب كذا وكذا، قد حبستها شجرةٌ بزِمامها، فأنطلقوا حتى تأتوني بها فَذهبوا فجاؤوا بها . فَرجعَ عمارة بن حزم الى رحله فقال : واللّه لَعَجبٌ من شيء حَدّثناهُ رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم آنفاً، عن مقَالةُ قائلٍ، أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قاله زيد بن اللصيت . فقال رجل ممن كان في رحل عماره ولم يحضر رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم : زَيْدٌ والله قال هذه المقاله قبل أن تأتي فأقبل عمارة على زَيد يجأُ في عنقه (يطعنه) ويقول : إليٌ عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعُر، أُخرج أي عدو الله من رَحلي فلا تصْحَبني .

* قال ابن اسحق : قدم على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وجبار بن سلمى وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم . فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه: يا عامر

إن الناس قد أسلموا فأسْلِم . قال : والله لقد كنت آليتُ ان لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي أفأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربدَ اذا قدمنا على الرجل فأني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فَاضربهُ بالسيف . فلما قَدِموا على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال عامر بن الطُفيل : يا محمد خالِنّي (يعني أخرج لي خالياً حتى اتحدث معك) فقال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم : **(لا والله حتى تؤمن بالله وحده)** . وقالها ثلاثُ مرات وكان النبي يُجيبهُ بنفس الجواب، فقال عامر أما والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً . فلما ولى قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم اللّهم إكفني عامر بن الطفيل. فلما خرجوا من عند رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك وأيمُ الله لا أخافك بعد اليوم . قال أربد لا أبالك لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتنْي به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله سبحانه الطاعون في عنق عامر بن الطفيل فقتله الله في بيت إمرأة من بني سلول . قال ابن اسحق : ثم خرج اصحابه حين واروه حتى قدموا قومهم شاتين (في الشتاء)، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد؟ قال : لا شيء، والله دعانا إلى عبادة شيء، لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج أربد بعد مقالته بيوم أو بيومين ومعه جمل له يبيعه فأرسل الله تعالى عليه وعلى الجمل صاعقة من السماء فأحرقتهما ...

* قال الامام أحمد عن عبد الله بن جعفر قال دخل رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم بستاناً للأنصار ذات يوم فأذا جَملٌ قد أتاه فَجرجَرَ وذَرفَتْ عيناهُ ولما رأى رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم ذلك حنٌ له ومَسحَ سراَتهُ وذفراه فسكن فقال من صاحب الجمل ؟ فجاء فتىً من الأنصار فقال : هو لي يا رسول اللّه فقال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم **(أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله ؟ إنه شكى اليّ قلة الطعام وكثرة العمل)** .

* قال الحافظ ابو يعلي : حدثنا شيبان، حدثنا محمد بن زيادة البرجمي عن أبي طلال عن انس عن أمه قال : كانت لنا شاة فجمعتْ من سمنها في عُكةٍ فملأت العُكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت : يا ربيبة ابلغي هذه العكة رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم يأتدم بها فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقالت : يا رسول الله هذه عُكة سمن بعثتْ بها اليك أُم سليم : فقال : أفرغوا لها عُكتها . ففرغت العُكة، فَدفَعت اليها فانطلقت بها وجاءت وأُم سليم ليست في البيت فعلّقت العُكة على وتد فجاءت أُم سليم فرأت العُكة ممتلئة تقطر . فقالت أُمُ سليم يا ربيبةُ، أليس أمرتُكِ أن تنطلقي بها إلى رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم ؟ فقالت : قد فَعلتْ : فأن لم تُصدقيني فانطلقي فَسلي رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فانطلقت ومعها ربيبة، فقالت : يا رسول الله إني قد بعثت معها اليك بعُكُة فيها سمن قال : قد فَعَلَتْ، قد جاءت . قالت : والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لمُتلئةٌ تَقطرُ سَمَناً . قال : فقال لها رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (يا أمّ سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمَ نبيه ؟ كُلي واطعمي) .

* روى الأمام البخاري : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إنشق القمر على عهد رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم شقتين فقال النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم إشهدوا .

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه حدثهم : أن اهل مكة سألوا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم إنشقاق القمر .

عن ابن عباس (رضي الله عنه) ان القمر إنشق في زمان النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم، وأسلم إثر ذلك خلق كثير .

* أخرج ابو نعيم الأصبهاني من حديث لهشام بن حبان عن الحسن عن ضَبّةَ بن مُحصن عن أُم سَلمة زَوجُ النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم قالت : بينما رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم في حجر من الأرض إذا هاتف يَهتفُ يا رسول الله قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم : فالتفتُ فَلَمْ أرَ أحداً قال فَمشيتُ غير بعيد

فإذا الهاتفُ يا رسول الله، يا رسول الله قال : فالتفتُ فلَم أرَ أحداً، وإذا الهاتفُ يَهتفُ بي فاتّبعتُ الصوت وهجمتُ على ظبيةٍ مشدودة في وثاق، وإذا إعرابي مُجندلٌ في شملة نائم في الشمس فقالت الظبية يا رسول الله إن هذا الأعرابي صادني قبلُ ولي خِشفانٌ في هذا الجبل، فأنْ رأيت أن تطلقني حتى أرضعهُما ثم أعَود الى وِثاقي ؟ قال : وتفعلين؟ قالت : عذَبنيٌ الله عذابَ العِشار إن لم أفعل . فأطلقها رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم، فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت . قال : فبينما رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم يوثقها إذ إنتبه الاعرابي فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أصبتها قبيلاً فلك فيها حاجةٌ ؟ قال نعم قال : هي لك فأطلقها رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فَخرجت تَعدوُ في الصحراء فَرحاً تضرب برجليها الارض وتقول : أشهد ان لا اله الاّ الله واشهد ان محمد رسول الله .

الأسـلام دين الجمـيع

إن الأسلام هو طريق اللّه المستقيم في الارض فمن سار عليه ونهج طريقهُ من أهل الأرض في كل مكان فهو من الفرقة الناجية التي يمنحها اللّه حياةً حرةً سعيدةً بعيدةً عن التعصب والجمود والاستغلال، (إن الدين عند اللّه الأسلام) أي السلم والسلام الذي تتوق اليهما البشرية وكافة شعوب الأرض لأنهما رمزان مقدسان وشعاران لابد من تحقيقهما في الأرض لتعميم الخير والسلام، (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون)[1].

أيتها الشعوب المحبة للعدل والحق يا شعوب العالم لا يخفى على أحدٍ منكم ولا على أحدٍ من الأمم التي إتخذت الأرض مهاداً لها بأن الاسلام في جوهره وحقيقته دين الحرية والأخاء والمحبة فهو لا يفرق بين الأسود والأبيض والعربي والأعجمي ويرفض رفضاً أساسياً كل مظاهر التفرقة والتعصب والعِرْق وينظر الى الانسان إنساناً بغض النظر عن أصله وفصله وعرقه وجنسه ولونه . فهو يعتبر الخدمة والعمل والتقوى أساساً للتقييم دون غيرها من المقاييس (إنّ أكرمكم عند اللّه اتقاكم)[2].

إن الدين الأسلامي الحنيف بما يحمله من مثلٍ وقيم وأحكام جاء ليخرج الناس جميعاً من الظلمات الى النور وينقذهم من ظلمات الجهل والتعسف والطغيان وليبني لهم في الأرض بناءاً شامخاً وقوياً من الحرية والسعادة على اساس العقيدة الاسلامية الثابتة عقيدة الأيمان بالله تعالى وكتبه ورسله التي جاء بها الانبياء جميعاً على مراحل التطور والتدرج وعلى مستوى درجات العقول والأدراكات ليستظل في ظلالها الوارفة كل الشعوب والأمم مُنَعّمين مُوحّدين إخوةً مُتحابين يعملون بدأب من أجل تقدم البشرية ورقيّها وسعادتها على هدى كلمة الله العليا ومنهجه القويم الذي أنزل على الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم ليكون نظاماً ودستوراً عالمياً يزيل غشاوة الكفر والضلال عن أعين الغافلين ويفتح عقولهم وبصائرهم على حقيقة الأيمان والحق والعدل بأن الانسان هو

---

(١) سورة الانبياء، الآية ١٠٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

خليفة الله في الارض، وعليه تقع المسؤولية الكبرى في تعمير الأرض واصلاحها في نفوس أهلها ليشقّوا طريق الحياة المحفوف بالمخاطر والمصاعب مجاهدين مكافحين معززين مكرمين صامدين عالمين بأمور الحق والحياة منتجين إنتاجاً نافعاً يفيد البشرية ويسد حاجتها الضرورية مسلحين بسلاح العقل والعلم والمعارف ليتمكنوا من مواصلة مسيرة الحياة الحافلة بالاعمال العظيمة والمشاريع الكبيرة والمفاجأت التي تعترض سبيلها والسعي المتواصل على درب العلم الحقيقي والفكري النافِعَيْن للصعود في ملكوت السموات واطلاعهم على الاسرار الحقيقية والغامضة التي لم تبلغها البشرية بعد وليتجلي أمامهم الحق والحقيقة من حكمة الله في خلقه وهي السعادة البشرية وتحقيق حياةٍ هانئة يسودها التفاني والتعاون ونكران الذات في سبيل رفعة الأنسانية الى ذروة السعادة والمجد والخلود لكل مجتمعات الانسانية ولتتعارف الشعوب وتتعاون فيما بينها أخوةً متحابين باذلين كل جهودهم في سبيل خلاص البشرية من التخلف والانحطاط وتحقيق العطاء الدائم وعلى أعلى مستوى علمي في ظل التقدم والرقيّ .

يا شعوب الأرض إن الأسلام الذي نحن اليوم نُمجّدَه ونزكيه ليس الاسلام الذي تلمسونه لدى البعض من الذين أضاعوا جوهره وأهملوا بنيانه وتخبطوا تخبطاً عشوائياً في مصالحهم اللاأنسانية واللاأسلامية الباطلة ليجعلوه اساساً لاستغلال الأخرين، ولكن الاسلام الحقيقي لو بَرز على حقيقته لخضع له كل الجبابرة والطغاة مُتركعين امام عظمته وروعته وأصالة مبادئه التي تُحقُّ الحق ولَتضاءلت أمامه جميع الانظمة والقوانين البشرية .

إنَّ الدليل الساطع على جوهر الاسلام واصالة مبادئه ومُثُله التي تعشقها القلوب وترتادها النفوس موحدةً اياها في بودقة المجتمع الواحد قوةً ومتانةً فتصهرهم جميعاً ليكونوا امةً واحدةً لا يختلفون ولا يتفرقون هو ان جميع الانبياء والرسل الأولين كانوا مسلمين ممهدين للأسلام، فكان نوح عليه السلام مسلماً اذ قال لقومه (فَإنْ تَوَلَّيْتُم فما سَألتُكم مِن اجرٍ إنْ اجريَ إلاّ على اللهِ وأُمِرْتُ انْ اكونَ مِنَ المُسلمينَ)(١) .

---

(١) سورة يونس، الآية ٧٢ .

وكان إبراهيم عليه السلام مسلماً وداعيا الى الاسلام (ما كانَ إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً)[1].

وبنو إسرائيل كانوا مسلمين (نَعبُدُ إلهكَ وإلهَ آبائك إبراهيم وإسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مُسلمون)[2].

وكذلك كان السيد المسيح عليه السلام رسول المحبة والخير والسلام وكان مسلماً مُحباً للسلم والخير للبشرية (فلمّا احَسَّ عيسى مِنهُمُ الكُفرَ قالَ مَنْ انصاري الى اللهِ قال الحَواريّونَ نحنُ انصارُ اللهِ آمَنّا باللهِ و آشْهَدْ بانّا مسلمون)[3] .

[إنَّ القرآن الكريم رمز للدين الموحد بكلمة (الأسلام) والتي تعني الاستسلام لأوامر الله تعالى والانقياد له بطاعته والتذلل لقهره بعبوديته والاخلاص في التوجه بها اليه وحده .

وهذا المعنى الموحد للدين هو الذي وصى به إبراهيم خليل الله أبو الانبياء بنيه ووصى به حفيده يعقوب بنيه وقصه علينا القرآن الكريم في قوله : (و مَنْ يرغَبْ عن مِلّةِ إبراهيمَ إلاّ مَنْ سَفِهَ نفسَهُ ولقدْ آصطَفَيناهُ في الدنيا وإنّه في الآخرةِ لَمِنَ الصالحينَ. إذ قالَ لهُ ربّهُ اسلِمْ قالَ اسلَمتُ لِربِّ العالمينَ. وَوَصّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ يا بَنيَّ إنّ اللهَ اصطَفى لَكُمُ الدينَ فلا تَمُوتُنَّ إلاّ وانتم مسلمونَ. ام كُنتم شُهداءَ إذ حضرَ يعقوبَ الموتُ إذْ قال لبنيهِ ما تَعْبدونَ مِن بعدي قالوا نَعبدُ الهكَ والهَ آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ الهاً واحداً ونحنُ لهُ مسلمونَ)[4].

لقد كانت العرب تدعي ان لها ديناً خاصاً وأنه الحق وكانت اليهود والنصارى كلٌّ يدعي ديناً خاصاً وانه الحق فبينت هذه الآيات ان هذه الدعاوي من التعصب للتقاليد وان دين الله تعالى واحد في حقيقته، وروحُهُ التوحيد والاستسلام لله تعالى والخضوع والاذعان لهداية الانبياء وبهذا كان يوصي الانبياء ابناءهم وأممهم .

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٧ .
(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٣ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٢.
(٤) سورة البقرة، الآيات ١٣٠....١٣٤ .

وقال القرآن في آية أخرى : (**شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نوحاً والذي أوحينا إليكَ وما وصَّينا بهِ إبراهيمَ وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه**)[1] .

فالتفرق في الدين ما جاء إلاّ من الجهل والتعصب للاهواء والمحافظة على الخطوط والمنافع المتبادلة بين المرؤوسين والرؤساء فالأسلام يطالب الجميع بالاتفاق في الدين والاجتماع على التوحيد والبراءة من الشرك بأنواعه والاخلاص لله في جميع الأعمال .

فشرائع آدم ونوح وأدريس من متقدمي الأنبياء والرسل عليهم السلام ليست كشرائع إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في نظام الحياة الأجتماعية وشرائع الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى ليست كشريعة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم التي ختم بها الله الشرائع السماوية فقد جاءت شريعة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جامعة لجميع ما تحتاج اليه البشرية من نظم تكفل لها في مستقبلها الأستقرار في ظل ظليل من العدل والإحسان والتراحم والتعاون والتساوي بين أفراد المجتمع .

فالأسلام هو هدى الأنبياء والرسل الذين أمر الله النبي محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم أن يهتدي بهديهم لوحدة الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره ديناً (**اولئكَ الذين هَدى اللهُ فَبِهُداهم اقْتَدِه**)[2] .

وهذا الهدى الذي جمع الله عليه الأنبياء والمرسلين فوحد به الدين الحق هو الكلمة العادلة المقسطة التي تستوي في الاقرار بها جميع الملل المتعبدة بوحي السماء وهذه الكلمة التي دعا اليها الرسول محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليجمعهم مع المسلمين على الحق وهدى الأنبياء والمرسلين (**قُل يا أهلَ الكتابِ تَعالوا الى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم الاّ نعبُدَ إلاّ الله ..... فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون**)][3] .

---

(١) سورة الشورى، الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠ .

(٣) الموسوعة في سماحة الاسلام، محمد صادق عرجون.

فيا شعوب العالم المحبة للسلام نحن وأنتم اليوم ما أحوجنا الى نظام اجتماعي متكامل أو نظرية أو فكرة صائبة تفك رموز حياتنا الضائعة وتحل كل مشاكلنا الأجتماعية والأقتصادية وتبعدنا عن التحكم والاستبداد اللذين يذهبان بروعة الحياة ويقضيان على جوهرها وان هذا النظام أو تلك الفكرة التي نبحثُ عنها جميعاً لتروي غلتنا وتبرد نفوسنا نحن المتعطشين الى الاسرار الروحية العلوية التي تربطنا ربطاً كلياً بقدرته سبحانه وتعالى لنترفع عن عالم المادة الذي يؤدي بأهله الى الهاوية هو نظام الاسلام المتكامل الذي حمل رايته سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قدوة الشعوب والأمم وهاديها الى الحق والنور فهو النموذج الأعلى والرسول الأعظم الذي دعا العالم بأجمعه الى الخير **(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم الاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دونِ الله فإنْ تولّوا فقولوا آشهدوا بانّا مسلمونَ)**[1].

فالأسلام ليس ملكاً لاحدٍ ولا ينحصر في مجتمع أو دولةٍ بل الأسلام هو ملك الجميع ولجميع الأمم والشعوب على الأرض **(تبارك الذي نـزّلَ الفرقانَ على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً)**[2]، لذلك ندعوكم جميعاً لتلبية نداء الأسلام نداء الحق بكل ما أوتيتم من همٍ وعزيمةٍ وإيمان ليعم الخير والسلام تحت راية الأسلام **(و ما أرسلناكَ إلاّ رحمةً للعالمينَ)**[3].

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.
(٢) سورة الفرقان، الآية ١.
(٣) سورة الأنبياء، الاية ١٠٧.

القرآن معجزة الأسلام العظمى

القرآن : هذا الكتاب المعجز الذي وقفت العقول حائرةً أمام عظمته واسراره عاجزةً عن الأتيان بمثله ولو كان بعضها لبعض ظهيرا (وهو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية ومفسر كتاب العالم وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الاسماء المستترة في صحائف السموات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والألتفاتات الأبدية الرحمانية وكذا هو أساسٌ وهندسة وشمسٌ لهذا العالم المعنوي، وكذا هو خريطة للعالم الأخروي وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته واسمائه وشؤونه . وهو المرشد المهدي الى ما خلق البشر له كما انه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة)[1] .

وهو كما قال القائل فيه :

به فنونُ المعاني قدْ جُمعْنَ فما	يَـفْـتـرُ مـِنْ عجبٍ إلاّ الـى عَجَبِ
امـرٌ ونـهـيٌ وامثالٌ وموعظةٌ	وحكمةٌ أودعتْ في افصحِ الكُتُبِ
لَطائـفٌ يَجْتليها كلُّ ذي بَصرٍ	وروضةٌ يجتنيها كـلُّ ذي أدبِ

ولما كان القرآن العظيم شريعة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومأخذ الأحكام الألهية كما كان اعظم معجزةٍ واظهرَ دليل وبرهان على نبوعته ورسالته لم يكن يعتري هذه الشريعة نقص ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير لأن كلام البشر لا يلتئم مع الكلام المعجز الخارج عن طوقهم والعيان شاهدٌ بذلك، الاّ ان احداً لا يمكنه أن يزيد حرفاً فضلاً عن كلمة في آية من آيات الله تعالى ثم يتلوها بين ملأٍ من المسلمين ويُقرّوه على ذلك، بل يردون عليه أعظم ردٍ وينكرونَ عليه أشدَ الأنكار ولو كان من أعظم الناس قدراً .

---

(١) أشارات الاعجاز في قطان الايجاز، سعيد النورسي ص٢٢.

قال محمد حقي النازلي في خزينة الأسرار :

إنّ من شرف القرآن الكريم وعظمته عند الله سبحانه وتعالى قد سماه بأسماء عديدة بالدلائل والاشارات :-

فسماه ((كتاباً مبيناً)) في قوله تعالى : (حم. والكتابِ المُبين)[1]

وسماه ((قرآناً كريماً)) في قوله تعالى : (إنّه لقرآنٌ كريمٌ)[2]

وسماه ((كلاماً)) في قوله تعالى : (حتى يَسمعَ كلامَ الله)[3]

وسماه ((نوراً)) في قوله تعالى : (وانزلنا اليكم نوراً مبيناً)[4]

وسماه ((هدى ورحمة)) في قوله تعالى : (وهُدًى ورحمةً للمؤمنين)[5]

وسماه ((فرقاناً)) في قوله تعالى : (نَزّلَ الفُرقانَ على عبْده)[6]

وسماه ((شفاءً)) في قوله تعالى : (ونُنَزِلُ مِنَ القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين)[7]

وسماه ((موعظة)) في قوله تعالى : (قد جاءَتْكُم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور)[8]

وسماه ((ذكراً ومباركاً)) في قوله تعالى : (وهذا ذِكرٌ مباركٌ انزلناهُ أفأنتم له مُنكرون)[9]

وسماه ((علياً)) في قوله تعالى : (وإنّه في امِّ الكتابِ لدينا لعليٌّ حكيم)[10]

وسماه ((حكمة)) في قوله تعالى: (حكمةٌ بالغةٌ فما تُغنِ النُذُر)[11]

وسماه ((حكيماً)) في قوله تعالى : (تلك آياتُ الكتابِ الحَكيم)[12]

وسماه ((مهيمناً)) في قوله تعالى : (مصدقاً لما بين يديهِ من الكتابِ ومهيمناً عليْهِ)[13]

---

(1) سورة الزخرف، الآيات ١ ،٢.
(2) سورة الواقعة، الآية ٧٧.
(3) سورة التوبة، الآية ٦.
(4) سورة النساء، الآية ١٧٤.
(5) سورة يونس، الآية ٥٧.
(6) سورة الفرقان، الآية ١.
(7) سورة الأسراء، الآية ٨٢.
(8) سورة يونس، الآية ٥٧.
(9) سورة الانبياء، الآية ٥٠.
(10) سورة الزخرف ، الآية ٤.
(11) سورة القمر، الآية ٥.
(12) سورة يونس، الآية ١.
(13) سورة المائدة، الآية ٤٨.

وسماه ((حبلاً)) في قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[1]
وسماه ((صراطاً مستقيماً)) في قوله تعالى :(وإنّ هذا صراطي مستقيماً)[2]
وسماه ((قيماً)) في قوله تعالى : (قيماً لينذرَ بأساً شديداً..)[3]
وسماه ((قولاً فصلاً)) في قوله تعالى : (إنه لقولٌ فصلٌ)[4]
وسماه ((نبأ عظيماً)) في قوله تعالى : (عمّ يتساءلون. عن النبأ العظيم)[5]
وسماه ((تنزيلاً)) في قوله تعالى : (وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين)[6]
وسماه ((روحاً)) في قوله تعالى : (أوحينا اليك روحاً من أمرنا)[7]
وسماه ((وحياً)) في قوله تعالى : (إنما أنذركم بالوحي)[8]
وسماه ((بصائراً)) في قوله تعالى : (هذا بصائرُ للناس)[9]
وسماه ((بياناً)) في قوله تعالى : (هذا بيانٌ للناس)[10]
وسماه ((علماً)) في قوله تعالى : (من بعد ما جاءك من العلم)[11]
وسماه ((هادياً)) في قوله تعالى: (إنّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقومُ)[12]
وسماه ((عجباً)) في قوله تعالى : (إنا سمعنا قرآناً عجباً)[13]
وسماه ((تذكرةً)) في قوله تعالى : (إلا تذكرةً لمن يخشى)[14]
وسماه ((العروة الوثقى)) في قوله تعالى : (فقد استمسك بالعروةِ الوثقى لا انفصامَ لها)[15]
وسماه ((صدقاً)) في قوله تعالى : (والذي جاءَ بالصدقِ)[16]
وسماه ((عدلاً)) في قوله تعالى : (وتمّتْ كلمةُ ربكَ صدقاً وعدلاً)[17]
وسماه ((أمراً)) في قوله تعالى : (ذلك أمرُ الله أنزلهُ اليكم)[18]

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
(٢) سورة الانعام، الآية ١٥٣.
(٣) سورة الكهف، الآية ٢.
(٤) سورة الطارق، الآية ١٣.
(٥) سورة النبأ، الآيات ١ . ٢.
(٦) سورة الشعراء، الآية ١٩٢.
(٧) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٨) سورة الأنبياء، الآية ٤٥.
(٩) سورة الجاثية، الآية ٢٠.
(١٠) سورة آل عمران، الآية ١٣٨.
(١١) سورة آل عمران، الاية ٦١.
(١٢) سورة الاسراء، الآية ٩.
(١٣) سورة الجن، الآية ١.
(١٤) سورة طه، الآية ٣.
(١٥) سورة البقرة، الاية ٢٥٦.
(١٦) سورة الزمر، الاية ٣٣.
(١٧) سورة الانعام، الآية ١١٥.
(١٨) سورة الطلاق، الآية ٥.

وسماه ((منادياً)) في قوله تعالى : (ربنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للأيمانِ أن آمِنُوا بِربِكم فآمنّا)[1]

وسماه ((بشرى)) في قوله تعالى : (وهدًى وبُشرى للمؤمنينَ)[2]

وسماه ((مجيداً)) في قوله تعالى : (بَلْ هوَ قرآنٌ مجيدٌ)[3]

وسماه ((بشيراً ونذيراً)) في قوله تعالى : (كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمونَ. بشيراً ونذيراً)[4]

وسماه ((عزيزاً)) في قوله تعالى : (وإنّهُ لَكتابٌ عزيزٌ)[5]

قدسية القرآن وعظمته

أن القرآن من أقدس الكتب التي أنزلها الله تعالى على انبيائه ورسله وله قدسيته وحرمته الخاصة في قلوب المؤمنين لكونه يضم بين دفتيه أعظم الشرائع السماوية فهو الخاتم لما قبله ومهيمن عليه وقد بلغ من قدسيته انه مَنْ استخف بالقرآن اي بمبناه أو معناه أو بأهله الوارد في حقهم من أهل القرآن أهل الله وخاصته فقد كفر ومَنْ حرّف معنى من معانيه او حكماً من احكامه متعمداً فهو كافر بالأجماع .

وقد وردت احاديث كثيرة عن فضل حامل القرآن - مُعَلمهُ ومتعَلّمه - فقد ورد عن الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) وفي رواية البيهقي ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه .

وفي جامع الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عنه قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم يقول الله عز وجل : (**من شغله القرآن عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين**) .

* وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، الاية ٩٧.

(٣) سورة البروج، الآية ٢١.

(٤) سورة فصلت، الآيات ٣ ، ٤.

(٥) سورة فصلت، الآية ٤١.

اللّه تعالى عليه وسلم (من تعلم كتاب الله تعالى ثم اتبع ما فيه هَداهُ الله به من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب) .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه قال (يا ابا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ولا تزال كذلك حتى ياتيك الموت فانه ان اتاك الموت وانت كذلك حجت الملائكة الى قبرك كما يَحجُ المؤمنون الى بيت الله الحرام) .

* وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة اذا دخل الجنة إقرا وإصعد فيقرأ ويصعد بكل اية درجة حتى يقرا اخر شيء معه) .

* وقال صلى اللّه تعالى عليه وسلم (إن القرآن ليلقى صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني فيقول ما اعرفك فيقول انا صاحبك الذي اضمأتك في الهواجر واسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته اليوم وإني من وراء كل تجارةٍ قال فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداهُ حلتَين لا يقوم لهما الدنيا فيقولان بم كَسيْتنا هذا؟ فيقال لهما باخذ ولدكما القرآن) .

* وقال الامام الصادق عليه السلام : من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرق قلبه ولا يتسم حزناً ووجلاً في سره، فقد إستهان بعظم شأن اللّه تعالى وخسر خسراناً مبيناً فقارىء القرآن محتاج الى ثلاثة أشياء : قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خالٍ، فأذا خشع لله قلبه فرُ منه الشيطان الرجيم، قال اللّه تعالى : (فإذا قرأتَ القرآنَ فاستَعذْ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ)[1] فأذا تفرغت نفسه من الأسباب تجردَ قلبه للقراءة ولا يعترضه عارض فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده . فأذا إتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين - خضوع القلب وفراغ البدن - استأنس روحه وسره بالله عز وجل ووجد حلاوة مخاطبان الله عز وجل عباده الصالحين . وعلم لطفه بهم ومقام إختصاصاتهم بفنون كراماته وبدايع اشاراته .

(١) سورة النحل، الآية ٩٨.

فمن يشرب كأساً من هذا المشرب لا يختار على تلك الحال حالاً، وعلى ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة وعبادة، لأن فيه المفاجأت مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره وتجتنب نواهيه وكيف تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله ومواعظه، واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده .

والقرآن في رأي ابن عربي هو الانسان الكامل والمقصود به سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونائبه لأنهما القرآن بصفته يقول ابن عربي (فمن اراد أن يرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لم يدركه من أمته فلينظر الى القرآن فاذا نظر فيه فلا فرق بين النظر اليه وبين النظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكأن القرآن إنتشأ صورة جسدية يقال لها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والقرآن كلام الله وهو صفته، فكان محمد صفة الحق)[1] .

القرآن والمجتمع العالمي

نزل القرآن وتحدث عن كثير من الأمور والانشطة والتشريعات والعلوم فأقر بعض الأفكار وسَفّه البعض الآخر واتى بفكرٍ جديدٍ وتصور جديد عن الوجود وما بعد الوجود والارض والسماء والانسان والحيوان والنبات، نزل القرآن في عصر لم يكن الانسان يعرف فيه عن الطبيعة الا القليل النادر وكانوا يرون ان الأمطار تقذفها السماء وأن الأرض مستوية وان السماء سقف الأرض وكانوا يرون أن النجوم مسامير لامعة من الفضة مركبة في قبة السماء . وبعد ان تقدم العلم وزادت قوة المشاهدة والدراسة لدى الانسان فكشف عن اسرارٍ كثيرةٍ دلت بكل صراحة على أنه لا وجود للكلامِ الانساني في القرآن الكريم وانما هو دستور الهي لان الانسان يتكلم عما هو معروف من المعتقدات والعلوم في عصره انه سوف يسدد ما هو موجود في زمنه سواء وقع ذلك منه في حالة الشعور او اللاشعور ولذلك لا تجد كتاباً مضى عليه حين من الدهر الا وهو مملوء

(١) الفتوحات المكية، ج٤ ص٦١

بالاخطاء من سائر نواحيه نظراً الى الكشوف الجديدة في كل الميادين ولان الكلام الانساني لا تدوم صحته لجهله بمستقبل الأحداث، ولكن مسألة القرآن الكريم تختلف تمام الأختلاف عن هذا فهو حق وصادق في كل ما قال كما كان في القرون الغابرة ولم يطرأ على ما قاله اي تغيير رغم مضي قرون وعصور طويلة وهذا دليل على ان منبعه ذات علمية تحيط بالازل وبالأبد علماً، وتَعْلَمُ سائر الحقائق في صورها النهائية والحقيقية وهو الله الذي لا يخضع علمه ومعرفته لحواجز الزمان والمكان والاحوال ولو كان هذا الكلام صادراً عن بشر محدودي النظر لكان الزمان قد ابطله منذ عصورٍ عديدة كما يحدث لكل كلام انساني في مستقبله .

الانسانية في القرآن الكريم

الأنسانية : هي صفة الأنسان الكامل التي تؤهله ليكون خليفةً لله تعالى لتعمير الأرض ونشر الخير والمحبة فيها والانسانية الكاملة هبة من الله تعالى يهبها لمن يشاء بهيئة انبياء أو رسل أو أولياء يكلفهم الله سبحانه وتعالى لاصلاح الطغاة كتكليف سيدنا موسى عليه السلام لأصلاح فرعون: **(إذهبَ إلى فرعونَ إنهُ طغى)**[1] .

وهكذا يبعث الله سبحانه وتعالى سلسلة من الرسل لمنع إنتشار الظلم في الأرض وتعليم البشرية بقيمة الأنسان ومدى تكريمه من قبل الله سبحانه وتعالى : **(ولقد كرّمنا بني آدم)**[2] ، حتى بُعث سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المشهود له بالكمال رحمةً للعالم ومنقذاً لكل ما هو موجود في الوجود **(وما أرسلناكَ إلاّ رحمةً للعالمين)**[3] .

وستظل هذه الرحمة المهداة للعالم أجمع مستمرة خالدة عبر القرون والاجيال الى ما شاء الله لان محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم هو القرآن والقرآن هو محمد ولا يمكن الفصل بينهما وخلود القرآن واضح في قوله تعالى : **(إنّا نحنُ نزلنا الذكر وإنّا له**

---

(١) سورة طه، الآية ٢٤.
(٢) سورة الأسراء، الآية ٧٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

لَحافِظون)[1] . وتظهر انسانية الاسلام في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى : **(مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشداءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم)**[2] .

وقال تعالى : **(وتَعاونُوا على البرِّ والتَقوى ولا تعاونُوا على الآثمِ والعُدوانِ)**[3]، فالأسلام دين الانسانية والتسامح والمحبة شَرّع العفو عند المقدرة وأقرّ حرية الفرد المسلم وساوى بين المسلمين وأزال الفوارق بينهم قال تعالى : **(إنّا خلقناكُم مِن ذكرٍ وأُنثى وجعلناكُم شعوباً وقبائلَ لِتعارفوا إنّ أكرمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم)**[4].

وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(الناس كلهم لآدم و آدم من تراب)**.

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(لا فرق بين عربي واعجمي إلاّ بالتقوى)**.

هذا هو مبدأ المساواة الذي جاء به الاسلام وساوى بين العبد وسيده وقضى على نظام الرق والعبودية واظهر للضعيف قوةً وللقوي تواضعاً وعطفاً ومحبة مع الفقير الضعيف .

إن أهم عملية في تدمير الأنسانية هي إسترقاق البشر من قبل بشرٍ مثله أو بعبارة أخرى إستعباد القوي للضعيف، ولقد نصر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منذ البداية الفئات الضعيفة وساوى بشرعه بين الأمير السيد الحاكم الجبار والعامل الصعلوك وحَرّر المستعبدين من رق العبودية الروحية والجسمية والأدبية حتى من رقهم للملوك وكان شخصه صلى الله تعالى عليه وسلم القدوة الرفيعة في ذلك التحرر والتساوي فيساوي نفسه وهو البشير النذير الرسول النبيل السلالة، الكوني العقلية بالاسود بلال الذي حَرّرهُ وأوقفه فوق سطح الكعبة المقدسة مؤذناً ينادي المؤمنين والذينَ يُنادَوْنَ صحابته واخصائه واهله وعشيرته وأشراف مكة محجة العرب .

بلال الرقيق الأسود المُحرَّر ينتصب فوق أرفع مكان – فوق الكعبة – بأمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فوق أقدس مسجد تَجلّهُ العرب لينادي أشراف

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

العرب ودهماء العرب وعلماء العرب وفرسان العرب وشعرائهم والحجاج العالمين للصلاة ومعرفة الحق واتباع الحق .

وتوالت الآيات القرآنية لتكمل تحرير العبيد والغاء الرّق وذلك على عدة مراحل :

١- بدأ بالتحرير للرقيق عن طريق شرائهم وعتقهم وكان ذلك في فترة العهد المكي حيث كان الأسلام في بداية طريقه وانبرى الصحابة الكرام يبذلون أموالهم في ذلك .

٢- لما كان اسرى الحرب هم الرافد الاول لعملية الإسترقاق فقد قطع الأسلام هذا الشريان الحيوي المغذي للعبودية فأمر بأطلاق الأسرى امّا بالتفضل عليهم او قبول فدية وبذلك منع استعبادهم قال تعالى : **(فإمّا منّاً بعدُ وإمّا فداءً)**[(١)] .

٣- جعل الاسلام في مجال التشريع نصيباً من الصدقات للمسلمين الذين يرومون شراء حرياتهم والتخلص من العبودية قال تعالى : **(إنّما الصّدَقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلّفةِ قلوبُهم وفي الرِّقاب)**[(٢)] .

٤- وكذلك جعل الأسلام كفارة المؤمن الذي يخطيء (فك رقبة) اي تحرير عبد ما من المسلمين العبيد وشرع ذلك في ثلاثة مواضع :-

أ- عقد الأيمان قال تعالى : **(ولكنْ يُؤاخذُكُم بما عقّدتّمُ الايمانَ فكفّارتُهُ إطعامُ عَشَرةِ مساكينَ من اوسطِ ما تُطعِمونَ أهليكُم أو كِسوتُهم أو تحريرُ رقبةٍ)**[(٣)] .

ب- في القتل الخطأ أي غير المتعمد قال تعالى : **(وَمَن قَتَلَ مؤمناً خَطَأً فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةً ..)**[(٤)] .

جـ- في الظهار قال تعالى : **(والذينَ يُظاهِرونَ من نِسائِهم ثمّ يعودونَ لِما قالوا فَتحريرُ رقبةٍ من قَبلِ أن يتماسّا ..)**[(٥)] .

٥- وعندما أشتدت الدولة الأسلامية وعادت الحرية للمسلمين وقويت بهم وأصبحوا أقوياء

---

(١) سورة محمد، الآية ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨٩.

(٤) سورة النساء، الآية ٩٢.

(٥) سورة المجادلة، الآية ٣.

بها شرع الله سبحانه وتعالى المكاتبة بين العبد وسيده فالعبد ينال حريته ثم يكتب على نفسه ديناً ثمن حريته الى اجل معلوم قال تعالى : (**والذين يَبْتغونَ الكتابَ مِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم فكاتبوهم**)(١)

ان تحرير البشر من إستعباد أخيه البشر لأعظم عمل انساني قام به الأسلام، ولقد جعل الاسلام خمسة منافذ للحرية أمام العبد المسلم وهو حكم شامل غايته القضاء على الإسترقاق بشكل تام كما شرع الاسلام حرية الأعتقاد الديني وليس أدل على أحترام الأسلام للانسان من قوله تعالى : (**آدعُ الى سَبيلِ رَبّكَ بالحكمةِ والمَوعظةِ الحَسنةِ وجادِلْهُم بالتي هي أحسنُ**)(٢)، إذ إن المجادلة بالحسنى دليل على حرية الرأي والمناقشة بالنسبة للمقابل ثم جاءت آيات عديدة أخرى تؤكد ذلك فقال تعالى : (**لا إكراهَ في الدّين قد تَبيّنَ الرُشدُ من الغَيّ**)(٣) .

وقال تعالى : (**فإنْ أسْلَمُوا فقدْ اهتَدوا وإنْ تَولَوا فإنّما عليكَ البلاغُ ..**)(٤). وقال تعالى : (**فإنْ تَوليّتُم فاعلمُوا أنّما على رسولِنا البلاغُ المبينُ**)(٥) .

فهل بعد هذه الحرية في النفس والعقيدة من مجال للحاقدين الذين يدعون أن الأسلام قام بحد السيف ؟ لقد قصرت الآيات القرآنية مهمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على إبلاغ الناس وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منفذاً لأمر الله، وان نظرة فاحصة الى شروط صلح الحديبية توضح ان الأسلام لم يكن دين قتال وسفك دماء كما يقول البعض حيث كان من الشروط المهمة هذا البند (من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه رده اليه، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه) . يظهر من هذه العبارات المتفق عليها بين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقريش حرية الرأي والأعتقاد فمن نَفرَ من تعاليم الأسلام لا يُرد اليه بقوة وبذلك فقد اطلق الأسلام للانسان أرادة التفكير وبرّز قيمته كانسان، فالأسلام لم يحارب الناس ليدخلوا في الدين انما حارب الذين

---

(١) سورة النور، الآية ٣٣.
(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٢٠.
(٥) سورة المائدة، الآية ٩٢ .

اعتدوا على المسلمين واخرجوهم من ديارهم ونهبوا أموالهم ولما أراد توسيع رقعة الدولة الاسلامية لتثبيت قواعدها وحماية المسلمين قام ببعض الغزوات، وهادنَ أهل الكتاب ممن يرغبون في دفع الجزية واخذ العهد عليهم بعدم التعرض للمسلمين قال تعالى : (**وإنْ جَنحُوا لِلسّلمِ فاجنحْ لها وتَوكلْ على اللهِ**)[1]، وكثيراً ما كانت تُفتَح المدن بالصلح والسلم ومنها فتح مكة . ورغم كبر ذنب المشركين عند الله فاسمع اخلاق الأسلام في التعامل الانساني معهم قال تعالى : (**وإنْ أحدٌ مِن المُشركينَ استجاركَ فأجِرهُ حتى يَسمعَ كلامَ اللهِ ثمَ أبلِغهُ مأمنَهُ ذلكَ بأنّهم قومٌ لا يعلمون**)[2] .

وبهذه الروح الأنسانية للقرآن الكريم والرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم وعمل اصحابه وخريجو مدرسته حيث يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه موصياً قائد جيش المسلمين الفاتح (إني موصيك بعشر : لا تقتلنَّ إمرأةً ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعنَّ شجراً مثمراً، ولا تُخربنَّ عامراً، ولا تُعقرنَّ شاةً، ولا بعيراً إلاّ لمأكلة، ولا تُحرقنَّ، نخلاً ولاتفرقنّهُ، ولا تَغلُنَّ، ولا تجبُنُ)[3] .

إن كل لبيب أو ذا بصيرة يطلّع على القرآن الكريم وكنوز اسراره لا يسعه إلاّ ان يقول ويسلّم لما قاله (الكونت ادورار كيوجا) : (ان القرآن يتضمن بين دفتيه كل ما تحتاج اليه الروح الأنسانية في إرتقائها وكمالها المعنوي) .

وما قاله (غوستاف لوبون) : (إن القرآن لم ينتشر إلاّ بالاقتناع لا بالقوة فاستطاع بذلك ان يجذب اليه الشعوب وتدين به تلك الشعوب) .

الأسرة في القرآن الكريم

قامت الوحدة بين افراد المجتمع الاسلامي استجابةً لأمر الله سبحانه وتعالى وامتثالاً لما دعت اليه الآيات القرآنية : (**وإنّ هذهِ أمتُكُم أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاتقونِ**)[4]، وتأصلت هذه الوحدة التي تعتبر طابع المجتمع الاسلامي، فالقرآن الكريم

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١.
(٢) سورة التوبة، الآية ٦.
(٣) موطيء ابن مالك، ص٤٤٨ .
(٤) سورة المؤمنون، الآية ٥٢ .

يأمر بان يكون طابع هذه العلاقة بين هؤلاء الأفراد جميعاً (الاحسان) وليس الاحسان هو العطاء فقط وليس هو المعاملة الحسنة فقط وانما الأحسان المقصود في هذه الآية يشمل العلاقات المثالية التي يجب ان تكون بين افراد المجتمع الواحد فالاحسان الى الوالدين إنما يكون بأحترامهما وتوقيرهما والسهر على مصالحهما قال تعالى: **(و آعبُدُوا اللهَ ولا تُشركوا بهِ شيئاً وبالوالدين احساناً)**[1]، ولو تتبعنا الآيات القرآنية في هذا المجال لوجدناها تعطي حقوقاً للجار بحيث تصل به الى درجةٍ تجعل منه وكأنه فردٌ من العائلة ومن أهم ما دعى اليه القرآن الكريم في التضامن الاجتماعي وسبق به كل الدعوات الاصلاحية للمجتمع حتى الآن ولن تصل أية دعوة اليه هو التواصي بالحق والصبر والمرحمة .

قال تعالى : **(ثُمَّ كانَ مِنَ الذين آمنوا وتَواصَوا بالصَّبر وتَواصَوا بالمَرحَمة)**[2] .

وقال تعالى : **(والعَصرِ. إنَّ الانسانَ لَفي خُسرٍ. الا الذين آمنوا وعَملوا الصالحاتِ وتواصوا بالحقِ وتواصوا بالصبْر)**[3] .

والتواصي أرفع صور التضامن الاجتماعي إذ يوصي المسلمون بعضهم بعضاً بضرورة الالتزام ما تأمر به الآيات الشريفة فلا خوف على المسلم من النسيان والأنحراف، وبالتواصي يتأكد التضامن فيصبح أفراد المجتمع جميعاً متضامنين في التنفيذ .

وقد وضع التشريع للأيتام والمساكين والمحتاجين صوراً عديدة للرحمة وللتكفل والرعاية والمحافظة الكاملة قال تعالى : **(فأمّا اليَتيمَ فلا تَقْهرْ)**[4] .

وقال تعالى : **(قُلْ ما انفَقْتُم من خيرٍ فللْوالدينِ والأقربينَ واليتامى والمساكينِ و آبنِ السَّبيلِ)**[5] .

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٦.
(٢) سورة البلد، الآية ١٧.
(٣) سورة العصر.
(٤) سورة الضحى، الآية ٩ .
(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

والأسرة هي اللبنة الأولى لتكوين المجتمع لذا نرى القرآن وجّه اهتمامه الى هذا الجزء الحيوي في المجتمع وراح ينظم حياتها شيئاً فشيئاً فأول تنظيم لها هو إلزام الفرد بالتعايش في أسرة موحدة يسودها الودّ والأحترام والتعاون، وألزم الآباء والأمهات العناية بالأطفال كما ألزم هؤلاء الأطفال إحترام الوالدين واطاعتهما والعناية بهما قال تعالى : **(إمّا يبلغنّ عندكَ الكبرَ أحدهُما او كلاهُما فلا تَقُلْ لهُما أفٍ ولا تنهَرْهُما وقلْ لهُما قولاً كريماً)**[1] .

ولما كانت المرأة جزءاً أساسياً في تكوين الأسرة فقد وجّه القرآن الكريم إهتمامه نحو المرأة منذ طفولتها ومنحها حق الحياة فبدأ بتحريم وأدها قال تعالى : **(وإذا الموؤدةُ سُئلتْ بأيّ ذنبٍ قُتلَتْ)**[2]، فقضى على أكبر جريمة كانت ترتكب ضد المرأة، ثم أمرها بالتعفف وحمى شرفها من القذف والأتهام قال تعالى : **(إنّ الذينَ يرمُونَ المُحصَنات الغافلاتِ المؤمناتِ لُعنوا في الدنيا والآخرة ولهُم عذابٌ عظيمٌ)**[3] .

وقال تعالى : **(ولا تُكرِهُوا فتَياتِكم على البِغاءِ إنْ أردنْ تَحصُناً)**[4]، ثم جعل القرآن الكريم الزواج حصناً للمرأة من كل زلة وجعل لها الرأي والأختيار قال تعالى : **(إذا آتيتمُوهُنّ أجُورهنّ مُحْصِنينَ غيرَ مُسافِحين)**[5]، وتوالت الآيات القرآنية تمجد دور الأم قال تعالى : **(ووَصّينا الأنسانَ بوالديهِ إحساناً حملتهُ أمهُ كُرهاً ووضعتهُ كُرهاً)**[6] .

وظل القرآن يتابع المرأة مرحلة بعد مرحلة فمنعها من إظهار زينتها إلاّ لزوجها وضرب عليها ستراً من الحجاب لقدسيتها فمنع الدخول عليها في أوقات خاصة فهي سيدة بيتها ولا يُدخل عليها إلاّ بأستئذان قال تعالى : **(يا أيّها الذينَ آمنُوا ليَستأذنكُمُ الّذينَ ملَكتْ أيمانُكُم والذينَ لم يَبلُغُوا الحُلُمَ منكم ثلاثَ مراتٍ من قبلِ صلاةِ الفجرِ وحينَ تَضَعُونَ ثيابَكُم منَ الظهيرةِ و منْ بعدِ صلاةِ**

---

(١) سورة الاسراء، الاية ٢٣.
(٢) سورة التكوير، الاية ٨.
(٣) سورة النور، الاية ٢٣.
(٤) سورة النور، الاية ٣٣.
(٥) سورة المائدة، الاية ٥ .
(٦) سورة الاحقاف، الاية ١٥.

العشاء)[1]. وليس المهر كما يعتقد بعض خصوم الأسلام ثمناً للمرأة إذ يجعلها كالسلعة تشترى بالثمن ولكنه في الحقيقة رمز يحفظ للمرأة كرامتها ويشير الى حاجة الرجل اليها، والمرأة في غير الأسلام تدفع لزوجها مبلغاً من المال وهذا نوع من العطاء تبذله المرأة لكي تتزوج فكأنها تشتري زواجها، فأي تكريم للمرأة وهي تبدأ حياة مشتركة مع رجل هي وهو فيها على قدم المساواة ؟ بينما دفْع الرجل لزوجته مهراً إنما هو اعلان منه بحاجته الى زوجته وهو ما يحققه الأسلام للمرأة إذ يحتفظ بكرامتها وكبريائها لاسيما في أدق وأخطر ما تتعرض له المرأة في حياتها ألا وهو الزواج . والقرآن حينما إباح الطلاق وتعدد الزوجات لم يهدف الى إسعاد الرجل على حساب المرأة كما يحلو لبعض خصوم الأسلام القول به ولكنه هَدفَ الى المحافظة على المجتمع الاسلامي بعضوية الرجل والمرأة .

فقد عالج أمر الزواج الفاشل علاجاً يحفظ كرامة الزوجين وييسر لهما طريق الحياة إما معاً أو يبدأ كل منهما حياة زوجية جديدة لعل فيها العوض عما فقدا فليس الطلاق بسبب كراهية لا دخل للمرأة فيها إذ يقول اللّه سبحانه وتعالى : **(وعاشِروهُنَّ بالمَعروفِ فإنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى انْ تَكرهُوا شَيْئاً ويَجعلَ اللّهُ فيهِ خيراً كثيراً)**[2] .

بل حتى المرأة إذا لم تطع زوجها أو إنحرفت أو تمردت فأن الاسلام قرر علاجها بعيداً عن الطلاق قال تعالى : **(و اللاتي تَخافُونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ و آهْجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ و آضرِبُوهُنَّ فإن اطَعنَكم فلا تَبْغُوا عليهِنَّ سبيلاً إنَّ اللّهَ كانَ عليّاً كبيراً)**[3].

واذا تعذرت الحياة الزوجية بين الزوج وزوجته بسبب الخلاف الشديد بينهما بحيث تفرقا واصبح كل منهما شقاً لوحده ويصعب عليهما بذلك ان يلتقيا كأن يكون أحدهما عقيماً والثاني ولوداً أو مريضاً بمرض يمنعه من القيام بوظيفته والآخر سليماً طالب القرآن بأن يجتمع نَفرٌ من أهل الزوج ونفر من أهل الزوجة ويستعرضا المشكلة فقد

(١) سورة النور، الاية ٥٨.
(٢) سورة النساء، الاية ١٩.
(٣) سورة النساء، الاية ٣٤.

يُستطاع إصلاح ذات البين قال تعالى : (وإنْ خِفتُمْ شِقاقَ بينهما فابْعثُوا حَكَماً من أهله وحكماً منْ أهلها إنْ يُريدا إصلاحاً يُوفقِ اللهُ بينهُما إنَّ اللهَ كانَ عليماً خبيراً)[1] . وإذا تعذر ذلك وكان لا بد من الطلاق لأسباب أشد من هذه فأن القرآن الكريم محافظةً على الزوجية الى اقصى حد ممكن جعل الطلاق ثلاث مرات يجوز في المرتين الأوليين منهما الرجوع عنه كما قال تعالى : (الطَّلاقُ مرّتانَ فإمساكٌ بمعروفٍ او تسريحٌ بإحسانٍ)[2] . وجعل عدة الطلاق ثلاثة أشهر لغير الحامل وطيلة فترة الحمل إن كانت حاملاً الى أن تضع، وذلك إفساحاً للوقت لعل الزوج يراجع نفسه في هذه المدة . وبهذا فان الأسلام يهيء من الأسباب ما يجعل الطلاق أمراً صعباً ووقت التروي فيه طويلاً .

وأما تعدد الزوجات فأن كان الأسلام قد أباحه بقوله تعالى : (وإنْ خِفتُم ألاّ تُقسِطُوا في اليتامى فانكِحُوا ما طابَ لَكُم مِنَ النِساءِ مَثنى وثُلاثَ ورُباعَ)[3] . فقد وضع له من القيود ما يجعل امر التعدد متعذراً اذ تقول نفس الآية : (فإنْ خِفتُم ألاّ تَعدلُوا فَواحِدةً) .

فهل يمكن للأنسان ان يعدل لا سيما وان الآية هنا عامة ولم تحدد جهة العدل ثم تقرر الآيات فشل الانسان في تحقيق العدالة بين الزوجات يقول تعالى : (ولَنْ تَستَطيعُوا أن تَعدلُوا بينَ النّساء ولَو حَرَصتُمْ فلا تَميلُوا كُلَّ الميْلِ)[4] .

ويبقى القرآن بحراً زاخراً بالاسرار الربانية والمعاني الروحية العميقة والعلوم الدقيقة ولا يمكن ادراك كُنْهَ أسراره إلا من خصه الله تعالى بالعلم اللدُني عنايةً منه سبحانه وتعالى وقد أدرك الكثير من غير المسلمين ممن كان لهم نظر ثاقب وعقل سديد عظمة القرآن فقالوا فيه :-

* قال رينوت : (يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنعشت أوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن) .

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٩.
(٣) سورة النساء، الآية ٣.
(٤) سورة النساء، الآية ١٢٩.

* وقال دافيد يود : (القرآن دستور اجتماعي، مدني، تجاري، حربي، قضائي وهو فوق كل ذلك قانون سماوي عظيم) .

* وقال سنابس : (ان القرآن هو القانون العام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو صالح لكل زمان فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا بموجب تعاليمه واحكامه لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا من قبل) .

* وقال مراشي : (من يتأمل آي القرآن يجد ان اساس الاسلام التوحيد وقطبيه التآخي وتحسين شؤون العالم تدريجياً بواسطة العلم فهذه هي الأسباب الحقيقية لظهور الأسلام) .

* وقال السير وليم ميور : (إن القرآن ممتليء بالأدلة عن الكائنات المحسوسة والدلائل المعقولة على وجود الله تعالى وانه الملك القدوس وأنه سيجزي المرء على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وان إتباع الفضائل واجتناب الرذائل فرض على العالمين وان الواجب على كل مكلف ان يعبد الله وهي علة سعادته) .

* وقال الدكتور جرنيه : (تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها إرتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغري وفهمتها جيداً فوجدتها منطبقةً كل الأنطباق مع معارفنا الحديثة فأسلمت لأنني تيقنت ان محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بالحق الصريح من قبل الف سنة من غير ان يكون له مدرس من البشر) .

* وقال برناردشو : (لابد أن تعتنق الأمبراطورية البريطانية النظم الأسلامية قبل نهاية هذا القرن ولو ان محمداً بعث في هذا العصر وكانت له دكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماماً في حل جميع المشكلات العالمية وقاد العالم الى السعادة والسلام) .

* وقال الدكتور غوسطون كوسطا : (وانك لتجد في كل موضع من القرآن آيات تحض على فعل الخير . وكما أوضح الأسلام رحمة المولى جل وعلا فقد نوه بأعمال المحبة التي هي ثمرة رحمة المرء وأظهر شديد عنايته باليتيم وحماية الفقير والرضيع والمحروم وجعل الاخاء والمحبة ركنين للمجتمع الاسلامي وهذا لعمري تقدم باهر) .

* وقال اللادي ايفلن كوبرلد : (الواقع ان جمال القرآن وبديع اسلوبه أمر لا يستطيع له العالم وصفاً ولا تعريفاً لانه صوت إلهي يخرج من قلب صاحب الشريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بصور وآيات حتى أنه يردد في كل الاصقاع ويرتل في كل بلد تشرق عليه الشمس) .

* وقال المستشرق ون كز : (كلما أكثرنا في مطالعة القرآن يزدادنا إنجذاباً وتحيراً وإحتراماً وتعظيماً له ذلك لأن أغراضه سامية وأهدافه عالية، وهو حاو لرتبة كريمة من الأيمان والصداقة وهذا الكتاب (القرآن الكريم) تجري قوانينه على عامة البشر يوماً واحداً، لما فيه من القدرة العجيبة) .

* وقال الكس لوازون : (خَلّفَ محمد للعالم كتاباً هو آية البلاغة وسجل الاخلاق وهو كتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الأسلامية، فالأنسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية).

* وقال الأب لامنس : (إن القرآن لم يدخل العرب في الأسلام فحسب، بل أدخل مئات الملايين من مختلف الشعوب وان ظلاله ينبسط يوماً على افريقيا وآسيا وغيرهما من القارات، بينما المبشرون ينظرون ولا يستطيعون شيئاً) .

* وقال لوماكس الأمير كاني : (أول قبس يشع نوره من القرآن الكريم بسم اللّه الرحمن الرحيم ففي كلمة الرحمن يشعر المؤمن أن اللّه تعالى هو الآله الواحد الذي يسبغ على عبادة النعم في الحياة الدنيا والحياة الآخرى فمن هنا ترى حقيقة لا يدانيها الشك إن هذا هو النور الاعظم وهو نور الأله إنما هو الشفقة والرحمة).

* وقال المستر بسور زسميز : (إن القرآن جامع القوانين، موافق للآمال العمومي، فهو كتاب مقدس يعظمونه ويحترمونه سدسٌ من العالم البشري وهذا الكتاب يحتوي حكما ومواعظ وعلوماً حقيقة وقوانين ثابتة . وهو الكتاب جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ثلاث عشرة قرناً، وأخذ يدعو الناس إلى التحدي باعجازه، وهو معجزة ثابتة ومعجزة جلية حقيقة .

* وقال ليون : (حسب القرآن جلالة ومجداً أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأن عهده بالوجود أمس) .

* وقال الخطيب السياسي الأنكليزي أدمونديوك : (القانون المحمدي (القرآن) قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه . وهو قانون ينسجم بحكم نظام قضائي واعظم قضاء علمي . تشريع منور . ما وجد قط مثله في هذا العالم من قبل) .

* وقال الدكتور لوراوكسيا وأكليري : (إننا نرى في القرآن كنوز ومخازن للعلم، التي هي فوق استعداد وقابليات أذكى رجل ، وأكبر فيلسوف ، وأقوى رجل في السياسة) .

* وقال جونسون : (إن القرآن نافذ إلى صميم الفؤاد يحمل معنى عالياً أبدياً ستحمله جميع الاصوات في جميع الأمصار شاءت أم أبت وسيسمع صداه فوق القصور العالية والصحارى المقفرة والمدن والممالك والامبراطوريات، فاضاء نوره أولا في القلوب المختارة لفتح العالم . ثم اخترق ظلمة أوربا النصرانية الدامسة) .

* وقال فون هامر : (إننا نعتقد في القرآن انه اليوم بكل تأكيد كما نطق به محمد، مثلما يعتقد المسلمون انه كلام الله) .

* وقال المستشرق سيل : (إن أسلوب القرآن جميل وفياض، ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين، فيجذبهم إلى تلاوته، سواء في ذلك الذين آمنوا به أم لم يؤمنوا به وعارضوه) .

* وقال العالم رينورت : (يجب أن نعترف بأن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انتعشت في أوربا في القرن العاشر، مقتبسة من القرآن، بل ان أوربا لمدينة للأسلام) .

* وقال الكونت هنري دي كستري : (لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب) .

* وقال اللورد جلادستون : (ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق الأوسط . ولا تكون هي نفسها في آمان) .

خليفة الله في الارض

عندما أوجد الله سبحانه وتعالى الارض وأراد بث الحياة فيها شاءت ارادته جل وعلا أن يستخلف فيها من يقيم حكمه فيها، وبمعنى آخر أن من أوجده الله سبحانه وتعالى على الأرض عليه أن يعمل ما يحبه الله ويترك ما لا يرضاه أي أنه يكون خليفة الله في الارض لقوله تعالى : **(وإذْ قالَ رَبُّكَ للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً)**[1]، والمقصود بالخليفة هو آدم عليه السلام كما يتضح من سياق الآية حيث لم يقل خلائف كما ورد في قوله تعالى : **(وَهُوَ الذي جَعَلَكُم خَلائفَ الارض)**[2]، حينما خاطب نسل آدم عليه السلام فيما بعد : **(قالُوا اتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدماءَ)**[3] .

ان الملائكة المجبولين على الطاعة لا يلغي خضوعهم لله أعتراضهم بالسؤال طلبا للعلم من الله عن صفات هذا الخليفة لانهم ظنوا أنه سوف يفسد وحكموا عليه بغير علم فلما كان الجواب **(إني اعلَمُ ما لا تَعلَمون)** أطاعوا وخضعوا لامر الله وسبحوه واستصغروا علمهم أمامه سبحانه وتعالى بدليل قوله تعالى : **(فَسجدَ الملائكةُ كلُّهُم اجمَعونَ. إلاّ إبليسَ أبى)**[4] .

فما هي صفات هذا المخلوق ؟

القرآن الكريم ذكر عدة صفات للانسان الذي هو نسل آدم عليه السلام

فقال تعالى : **(وخُلِقَ الانسانُ ضعيفاً)**[5] .

وقال تعالى : **(خَلَقَ الانسانَ مِنْ نُطفةٍ فإذا هُو خَصيمٌ مُبينٌ)**[6] .

وقال تعالى : **(يا أيُها الانسانُ ما غَرَّكَ بِربِّكَ الكريمِ)**[7] .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.
(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٤) سورة الحجر، الآيات ٣٠، ٣١.
(٥) سورة النساء، الآية ٢٨.
(٦) سورة النحل، الآية ٤.
(٧) سورة الانفطار، الآية ٦.

وقال تعالى : (وإذا مَسّ الانسانَ الضُّرُ دعانا لجنبهِ او قاعداً او قائماً فلمّا كشفنا عنهُ ضُرهُ مرَّ كأنْ لم يَدْعُنا الى ضُرٍ مَسّهُ)[1].

وقال تعالى : (ولَئِنْ أذقْنا الانسانَ منّا رحمةً ثمَّ نزَعناها منهُ إنّهُ ليَئُوسٌ كفور)[2].

وقال تعالى : (إنّ الانسانَ خُلِقَ هلوعاً. إذا مَسّهُ الشرُّ جزوعاً)[3].

هذه بعض عيوب الأنسان التي وردت في القرآن الكريم . الضعف والخصومة، كثرة المجادلة، الغرور، اليأس من رحمة الله، الهلع وسرعة الجزع وقلة الصبر، والان الى حسنات هذا الأنسان وهي كثيرة نختار منها :

قال تعالى : (عَلّمَ الانسانَ ما لَم يَعْلَم)[4].

وقال تعالى : (وقليلٌ مِنْ عباديَ الشكُور)[5].

وقال تعالى : (أولئكَ الذينَ هَداهُمُ اللهُ واولئِكَ هُم اولُوا الألبابِ)[6].

تقرر الآيات القرآنية ان الأنسان مختص بالعلم دون غيره من بقية المخلوقات وهو شكور لله وهو صاحب هداية من الله وله عقل مدبر يرشده الى الصواب .

إن نظرة فاحصة الى الآيات القرآنية توضح ان جنس الأنسان يُقسّم من حيث السلوك على قسمين : الاول سيء يستحق العقاب والثاني صالح يستحق الثواب ويتضح من هذا ان طبيعة الانسان مزدوجة فهو يختلف عن الملائكة لقابليته على الفسق والفجور ويختلف عن ابليس لقابليته على التقوى والخضوع قال تعالى : (ونَفْسٍ وما سَوّاها فالهَمها فُجُورَها وتَقْواها)[7].

---

(1) سورة يونس، الآية ١٢.
(2) سورة هود، الآية ٩.
(3) سورة المعارج، الآيات ١٩، ٢٠.
(4) سورة العلق، الآية ٥.
(5) سورة سبأ، الآية ١٣.
(6) سورة الزمر، الآية ١٨.
(7) سورة الشمس، الآيتات ٨،٧

فما هو سر دعوة الملائكة الى السجود لآدم ؟

بغض النظر عن الحكمة الآلهية في هذا السجود نرى ان هذا الأنسان استحق تكريم الله لانه بطبيعته قابل للتعرض للغوايه والفجور وهو غير معصوم كالملائكة وانما ركبت فيه شهوات يصعب التغلب عليها، فعندما يتجه هذا الانسان نحو الخير والطاعة يكون قد عمل هذا من ذات نفسه لقوله تعالى : **(إنّا هَديناهُ السَبيلَ إمّا شاكراً وإمّا كَفُوراً)**[1]، وهو امر يختلف عن الملائكة الذين هم مسخرون للطاعة وليس امامهم خيار اخر، لذلك تميز الانسان الصالح عن الملائكة بانه مخير واختار الطاعة وغير معصوم وابتعد عن الفجور وبذلك فقد استحق تكريم الله له . فالأنسان تحمل مسؤولية تعمير الارض وخوض الصراع بين الخير والشر وهو وسيلة الله في تحدي ابليس اللعين قال تعالى : **(إنّ عبادي ليسَ لكَ عليهم سلطانٌ)**[2]، وهذا هو الابتلاء والامانة التي تحملها الانسان في حياته الدنيا، امانة تعمير الأرض ونشر الخير فيها وعدم الفساد مع القدرة على ذلك والصمود امام جيش ابليس وغوايته، قال تعالى : **(إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّموات والأرضِ والجبالِ فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنها وأشفَقْنَ مِنْها وحَمَلها الانسانُ إنّهُ كانَ ظلُوماً جهُولاً)**[3] .

وأستخلف آدم عليه السلام في الارض وتحمل نسله ما تحمله من الأمانات والمسؤوليات وتواتر انتقالها في نسله آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، مقيمين حدود الله حافظين لها الى ان ظهر النور الاعظم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المشهود له بالكمال فكان الخليفةُ الاعظم لله سبحانه وتعالى في ارضه : **(قَدْ جاءَكُم مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ ...)**[4].

وفي حجة الوداع اودع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الولاية عند الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وعقدها له وأوصى بالتزام طاعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(من كُنتُ مولاه فهذا علي مولاه)**، وبذلك اصبح سيدنا علي عليه السلام

---

(١) سورة الدهر، الآية ٣.
(٢) سورة الحجر، الآية ٤٢.
(٣) سورة الاحزاب، الآية ٧٢.
(٤) سورة المائدة، الآية ١٥.

خليفة خليفة الله في الأرض وانتقلت الولاية والخلافة بين أولاده وأحفاده من بعده لانهم مطهرون بسابق عناية من الله سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا : (إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ اهلَ البيتِ ويُطهرَكُمْ تَطهيراً)[1] .

وفي هذا المجال قال الشاعر متحدثا عن الامام *علي عليه السلام* :

فيه فخرُ الملوكِ قد قال قولاً | هو مولىً لمن انا مولاه
اهلُ بيتٍ قد صرّح النصُ فيهم | قائلاً (انما يريد اللّهُ)

فهم عباد الله المتقون له حق تقاته الداعون اليه السائرون على نهج جدهم صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد وضّح ابن عربي خلافة الله في الارض وجعل لمن يستحقها شرط تكوينه على صورتين : يقول ابن عربي (وانما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته)[2]، ويقول (فلما اراد كمال هذه النشأة الانسانية جمع لها بين يديه واعطاه جميع حقائق العالم وتجلى لها في الاسماء كلها فحازت الصورة الالهية والصورة الكونية)[3] .

وبذلك فان ابن عربي يرى خلافة الارض رتبةً لا يستحقها الا من خلق على الصورتين الالهية والكونية اي انه جمع في ذاته حقائق الحق والعالم وهو الانسان الكامل القادر على التعامل مع الحق من جانب ومع العالم من جانب اخر وهو المنعوت عند اهل الطريقة بـ (الشيخ) لانه الدليل الى معرفة الحق وهو المرّبي الذي يُقوّم شطحات النفس ويعد المُريد للوقوف بين يدي الحضرة الألهية .

والخلافة عند ابن عربي هي ظهور الانسان الكامل امام العالم بالأسماء والصفات الألهية وهذا المقام يتحقق في الحديث القدسي عن النوافل حيث يقول الحق جل جلاله : (ما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فان احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش) .

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.
(٢) الفتوحات المكية، لابن عربي ج١ ص٢٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٢ ص٤٦٨.

ويقول ابن عربي (فالخليفة لا بّد ان يظهر فيما أُستُخلِفَ عليه بصورة مُستخْلِفِه والا فليس بخليفةٍ له فيهم)[1]، فالانسان الذي هو خليفة الله له صورتان فهو عبدٌ امام الله سبحانه وتعالى وربٌ امام الناس لانه يظهر بصفات الرب عندهم كما قال الحق عز وجل لابي يزيد البسطامي (اخرج الى خلقي بصفتي فمن رآك رآني) .

(١) الفتوحات المكية، لابن عربي ج١ ص٢٦٣.

منزلـــة آل البيـــت (عليهـــم السلام)

إن أول وافضل ما يبتدأ به الحديث عن آل البيت النبوي الشريف هو سرد الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت في حقهم فقد قال الله تعالى :

(إنما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكمُ الرِّجسَ اهلَ البيتِ ويُطهركُمْ تَطهيراً)[1].

إن هذه الآية الكريمة تقرر بشكل واضح تطهير الله سبحانه وتعالى لآل البيت النبوي الشريف وعصمتهم طهارةً دائمية وعصمةً ربانية مستمرة مع تعاقب الاجيال، واهل البيت الذين عنتهم الآية الكريمة هم اولاد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام واحفاده وما نزل الى يوم القيامة بدليل آية المباهلة : (فَمَنْ حاجَّكَ فيه مِنْ بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفُسَنا وانفُسَكُم ثُمَّ نبتَهِل فنجعَل لعنةَ اللهِ على الكاذبين)[2].

حيث أرسل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى *فاطمة وعلي عليهما السلام* وجمع معهما *الحسن والحسين* وذهب ليباهل النصارى ولم يُدخِل أحداً من أزواجه أو أعمامه معهم فتبين إن أهل البيت هم *علي وفاطمة عليهما السلام* وأولادهما واحفادهما نزولاً .

ومحبتهم فرض في كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم . فقد قال تعالى : (قُلْ لا أسالُكُم عليهِ أجراً إلاّ المودَّةَ في القُربى)[3].

روي إنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وهذا تصريح واضح وتوصية من الله سبحانه وتعالى بمحبة أهل البيت النبوي الشريف .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم *لعلي بن أبي طالب عليه السلام* (حُبك إيمان وبغضك نفاق واول ما يدخل الجنة محبك واول ما يدخل النار مبغضك) .

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٦١.
(٣) سورة الشورى، الآية ٢٣.

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (فاطمة بضعة مني يرضيني ما يرضيها ويسخطني ما يسخطها).

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من أحب علياً قبلَ الله عنه صلاته وصيامه وقيامه ومن أحبَّ آل محمدٍ أمن من الحساب والميزان والصراط الا ومن تاب على حب آل محمد فانا كفيله بالجنة الا ومن ابغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله) .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (من زعم أنه آمن بي وبما جئت وهو يبغض علياً فهو كاذب وليس بمؤمن) .

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى . ويعتصم بحبل الله المتين فليوالِ علياً وليعادِ عدوه).

ومن منزلة آل البيت عند الله تعالى

* ما روي عن عبد الله بن عباس قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ اقبلت *فاطمة عليها السلام* تبكي فقال لها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما يبكيك ؟ قالت يا رسول الله إن *الحسن والحسين* خرجا فوالله ما أدري أين سلكا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله جل وعلا خلقهما وهو أرحم بهما، اللهم إن كانا أخذا في بَرٍ فاحفظهما وإن كانا أخذا في بحرٍ فسلّمهُما فهبط جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله لا تَغتَم ولا تحزن هما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة وهما في حضيرة بني النجار نائمين وقد وكّل الله بهما ملكاً يَحفظهما قال ابن عباس فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقمنا معه حتى أتينا حضيرة بني النجار فأذا الحسن معانق الحسين واذا المَلَكُ قد غطاهما بأحد جناحيه .

* وأخرج الامام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله عز وجل، حبل ممدود

بين السماء والأرض . أو ما بين السماء والأرض، وعترتي اهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

* وعن ابي بكر رضي الله عنه فيما اخرجه البخاري قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (يا ايها الناس ارقبوا محمداً في اهل بيته) .

* وأخرج الطبراني في المعجم الكبير وابن عساكر والحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ايها الناس الا اخبركم بخير الناس جداً وجدة، الا اخبركم بخير الناس عماً وعمة، الا اخبركم بخير الناس خالاً وخالة، الا اخبركم بخير الناس اباً واماً، الحسن والحسين جدهما رسول الله وجدتهما خديجة بنت خويلد وامهما فاطمة بنت رسول الله وابوهما علي بن ابي طالب وعمهما جعفر بن ابي طالب وعمتهما ام هاني بنت ابي طالب وخالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب، ورقية، وام كلثوم بنات رسول الله، وجدهما في الجنة وابوهما في الجنة وامهما في الجنة وعمهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة وهما في الجنة ومن احبهما في الجنة) .

* ومما أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر والحاكم في المستدرك عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (الحسن والحسين إبناي من احبهما احببته ومن احببته احبه الله ومن احبه الله ادخله جنات النعيم ومن ابغضهما اوبغى عليهما ابغضته ومن ابغضته ابغضه الله ومن ابغضه الله ادخله نار جهنم وله عذاب مقيم) .

* وأخرج الشعبي بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . جَلَّلَ حسناً وحسيناً وفاطمة بكساء ثم قال : اللّهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .

* وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إن لكل بني اب عصبة ينتمون اليها إلاّ وِلْد فاطمة فانا وليهم وانا عصبتهم وهم

عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله) .

* وأورد ابن حجر في الصواعق المحرقة مرفوعاً الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : **(الا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى)** .

* وقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذويّ)** .

* وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت الآية : **(إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلّونَ على النبيِّ يا أيُّها الذينَ آمنُوا صَلّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً)**[1] . قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال **(قولوا اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد)** . وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال **(لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء)** فقالوا وما الصلاة البتراء قال **(تقولون اللّهم صلّ على محمد وتمسكون بل قولوا : اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد)** .

* وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة ان الفخر الرازي قال : إن أهل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يساوونه في خمسة اشياء :
  * **في السلم** : كما في قولنا في الصلاة **(السلام عليك ايها النبي)**
  * **وفي الصلاة عليه** وعليهم في التشهد .
  * **وفي الطهارة** : قال تعالى **(طه)** أي يا طاهر وقال :**(ويطهركم تطهيرا)**
  * **في تحريم الصدقة** .
  * **في المحبة** : قال تعالى : **(فاتّبِعوني يُحبِبْكُم اللهُ)** .

وقال تعالى : **(قُلْ لا أسألُكُمْ عليهِ أجراً إلاّ المودّةَ في القُربى)**[2]

* وقال ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في شرح الآية **(وقِفُوهُم انّهم مسئولُونَ)** . انها ولاية أهل البيت والمعنى انهم يسألون هل والوهم

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٥٦.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.

حق الولاية والموالاة كما اوصاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أم اضاعوها واهملوها .

* وفي رواية الطبراني وابي الشيخ عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ان لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه و من لم يحفظهن لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته فقيل ما هن ؟ قال حرمة الأسلام وحرمتي وحرمة رَحمي) .

* وأخرج ابن سعد عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : (استوصوا بأهل بيتي خيراً فاني اخاصمكم عنهم غداً و من اكن خصمه أخصمه و من اخصمه دخل النار) .

وانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم (من حفظني في اهل بيتي فقد إتخذ عند الله عهدا) .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم :

- الا و من مات على حب آل محمد مات شهيداً .
- الا و من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له .
- الا و من مات على حب آل محمد مات تائباً .
- الا و من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الأيمان .
- الا و من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير .
- الا و من مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها .
- الا و من مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة .
- الا و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة .
- الا و من مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة .

* وذكر ابن خالويه اللغوي في كتاب الآل عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة من احبهما احبني و من ابغضهما ابغضني) .

وحب آل بيت النبي فرض عين على كل مسلم آمن بالله ورسالة نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا ينكر هذا الحب إلاّ جاحدٌ بفضل أهل البيت أو منكر متجاهل. وهذا الأمام الفاضل الشافعي يظهر حبه وولاءه لأهل بيت النبي الطاهرين في قوله :

يا أهل بيتِ رسول الله حبكم — فرضٌ من الله في القرآن انزلَهُ
كفاكم من عظيمِ الفخرِ أنكم — من لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ لَهُ

* وقال ابن عربي في فضل ومنزلة آل البيت النبوي الشريف : (فإنّا اذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك اي فيما أصابوه منّا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما طلب منا من أمر الله إلاّ المودّة في القربى وفيه سر صلة الرحم ومن لم يقبل سؤال نبيّه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه باي وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته وهو لم يشفّع نبيّه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما طلب منه من المودة في قرابته) .

وقال أيضاً (فلو صحت محبتك لله ورسوله أحببت أهل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك انه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك ان لك عناية عند الله الذي احببتهم من أجله حيث ذكرك من تحبه وخَطَرْتَ على باله وهم أهل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشكر الله تعالى على هذه النعمة لانهم ذكروك بألسنةٍ طاهرة بتطهير الله طهارةً لم يبلغها علمك، فلو كشف الله لك عن منازلهم عند الله في الآخرة لوددت ان تكون مولى من مواليهم، ولا يظهر هذا الشرف لأهل البيت إلاّ في الدار الآخرة فأنهم يحشرون مغفوراً لهم، فينبغي لكل مسلم مؤمن بما أنزله الله تعالى ويصدق بقوله تعالى : (إنما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهرَكُم تَطهيراً)[1]، ان يعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت ان الله قد عفى عنهم فيه فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمّة بمن شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم لا بعملٍ عملوه ولا بخير قدموه بل بسابق عناية من الله بهم (ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذو الفَضلِ العَظيم)[2].

(١) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.
(١) سورة الحديد، الآية ٢١ .

الحسين الرمز « عليه السلام »

هناك في أعلى مراتب الوجود وفي أعمق أعماق تاريخ الأنسانية سبراً وغوراً أولاً وآخراً رمزٌ من الرموز عجزت عقولُ البشرية بمفكريها وعلمائها وعظمائها ونابغيها جميعاً عن ادراك كُنهَ حيقيقته التي تجلت عظيمةً رائعةً في تضحيته وفدائه بذاته في سبيل الحق والشهادة والحرية، ذلك الرمز الخالد الذي إتخذ المجد أعلى مثل له والشموخ والعلوُّ مناراً أهتدى به ونبراساً ينير الدرب للمحبين العاشقين لجلال الشهادة وقدسيتها . إن ذلك الطور الشامخ والرمز الخالد والأنسان الكامل أتقى الأتقياء وأوفى الأوفياء واعظم العظماء وأنبل الشرفاء الذي وقف وقفته القوية الصابرة الحامدة الراضية شامخاً شموخ الأبطال أبيّاً إباء الحق أمام الباطل في ارض كربلاء التي تشرفت وتبركت بمقدم هذا التقي النقي الذي هو علَم من أعلام الهدى وعلّم العالم والانسانية جمعاء معنى الحرية ومعنى الشهامة والنخوة والرجولة ومعنى العظمة التي وقفت دونها ذليلةً خاضعةً كل العظمات ليحقق معنى الحق والعدل الألهي بأعلى صوره وبوجه اطغى الطغاة وأفسد الفاسدين في الأرض، ذلك هو رمز الرموز الشامخ الذي خضع لهيبته وعظمته جبين التاريخ فهو سر أسرار هذا الوجود وسيد الأبرار الحسين السبط الشهيد الذي كان ريحانة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأحب الناس اليه . ونال بذلك من المراتب ما لم يَنلهُ أحد من الشهداء من الأولين والآخرين .

إن شخصيةً تحلت بهذه المُثل العليا وهذه الخصال والفضائل الحسنة وهو نجل سيد المخلوقات واكرم الأكرمين لا يرد لها حقها في إقامة المآتم ومجالس العزاء وإنشاد أبيات الرثاء المثيرة للبكاء والعويل والنحيب وإنما بالسير على نهجه وهداه واتباع طريقه في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل واحياء مآثره وفضائله واستنباط الدروس والعبر من مسيرة حياته المفعمة بالجهاد والاشادة بمواقفه الحقة وحملاته وصولاته الجريئة على جموع الأعداء في ساحة الوغى .

لماذا الحسين عليه السلام في كربلاء

لما كان جده صلى اللّه تعالى عليه وسلم قد بُعث رحمة للعالمين ولنشر كلمة اللّه عالية في ربوع الأرض جميعاً ضمن المباديء الاسلامية العظيمة التي جاء بها القرآن الكريم وتحقيقاً لرفع الظلم والجور والفساد الذي عمّ الأمة الأسلامية نتيجةً لتغير المفاهيم الأسلامية الحقيقية ولاحياء مجد جده صلى الله تعالى عليه وسلم في إعادة الحق الى أهله وتطبيق المبادىء الأسلامية الحنيفة لَبى *الحسين عليه السلام* نداء الحق وتوجه من فوره نحو كربلاء ليحارب أهل الظلم والضلال ويعيد الحق ويدفع الباطل وبذلك تحققت المرحلة الثانية من مسيرة الرسالة الأسلامية وهي مرحلة سيدنا *الحسين عليه السلام* وجهاده في سبيل نشر العدل بعد ان كانت قد مرت بمرحلتها الأولى في عهد سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجهاده ضد ظلم وطغيان الجاهلية .

الحسين « عليه السلام » رمز الحرية

لم يكن الحسين عليه السلام ثائراً مطالباً بأعادة الخلافة من مغتصبيها وحسب وإنما كانت مسيرته لتحطيم قيود الظلم والأستبداد وليفتح أبواب الخير والنور والسلام واشعال شعلة الحرية ويكون قدوةً لعشاق التحرر في العالم، وما كان استشهاد *الحسين عليه السلام* وتضحيته مع نَفرٍ من أهله الطاهرين إلاّ بمشيئة الله تعالى وقدره حيث شاءت القدرة الألهية ان تمنح *الحسين عليه السلام* اعلى وأسمى مراتب القرب من الحضرة الألهية وذلك ليحظى بشرف الشهادة في سبيل الحق والعدل .

إن *الحسين عليه السلام* بما أوتي من القوة الروحية الألهية كان بمقدوره أن يبيدَ تلك الجموع الضالة بهمة ولايته المستمدة من انوار جده المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه رضي بما قدّر الله له سبحانه وتعالى لينال الخلود في الدنيا والآخرة ويكون رمزاً للجهاد في سبيل الحق (لِيَقْضِ اللّهُ امراً كانَ مفعولاً)[1] .

فأصبح الحسين عليه السلام بما قدمّه من عصارة روحه الطيبة المباركة لمقارعة

---

(١) سورة الانفال، الآية ٤٤ .

الظلم والطغيان الذي لا تكاد البشرية تخلو منه يوماً من الأيام . فأصبح بذلك العمل العظيم مصباحاً مضيئاً وشعلةً وهاجةً يزداد نورها مشعشعاً هنا وهناك مُنبئاً الأجيال بعد الأجيال بأن الخلود والمجد لا تُـبْلَـغُ ذروتهما إلاّ بالجهاد والمثابرة والمصابرة على طريق الحق ولأجل رفعة كلمة الله على قوى البغي والضلال وقوى الشر التي لا يمكن إستئصال جذورها إلاّ بالمواقف البطولية المشهودة والممتزجة بالقوى الروحية الهائلة والإيمان العميق الذي يطهر الأرض لوارثيها ويحفر القبور العميقة لأشرارها وباعثي الفساد فيها .

فهنيئاً لبضعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهنيئاً لوارثه الروحي بما حققه وناله من ذَروة المجد في عالم الشهود والحق .

الباب الثاني

- ❖ الطريقة و تاريخها
- ❖ حقيقـة الطريقـة
- ❖ الطريقة و الشريعة
- ❖ الطريقة و المجتمع
- ❖ الطريقة و النفس
  - الروح و النفس
  - النفس و الجسد
  - منازل النفس في الطريقة
- ❖ *الامام علي عليه السلام*
  - الامام علي امام اهل الطريقة
  - مناقبه عليه السلام
  - منزلته العلمية
  - ما قاله الامام عليه السلام من الحكم
  - ما قيل في حق الامام علي عليه السلام
  - كراماته عليه السلام
- ❖ الخلود في الطريقة
- ❖ المراة في الطريقة
- ❖ البيعة
  - البيعة في القرآن الكريم
  - البيعة في السنة النبوية
  - البيعة والعهد في الطريقة الكسنزانية



القلوب أوعية فخيرها أوعاها، والناس على ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح

الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

الطريقة وتاريخها

نقصد بكلمة الطريقة طريق القرآن الكريم ونهج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واهل بيته واصحابه الكرام، اي الطريق المستقيم الذي ذكره الله تعالى في سورة فاتحة الكتاب : (اهْدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ. صِراطَ الذينَ أنْعمتَ عليهِم)[1] اي طريق الحق والهداية طريق الله الذي نَعِمَ وفاز في الدنيا والآخرة من استقام عليه (وَأَلَّوِ اسْتَقامُوا على الطريقةِ لأسقيناهُم ماءً غدقاً)[2] .

ويتساءل البعض في عدم إنتشار الدعوة الى الطريقة في صدر الاسلام وعدم ظهورها إلاّ بعد عهد الصحابة والتابعين والجواب لانهم لم يكونوا في حاجة اليها وذلك لان اهل ذلك العصر كانوا متصوفين اصلاً واهل ورع وتقوى ومجاهدة وكانوا قرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبارون في الاقتداء به في كل اعماله وحركاته (لَقَدْ كانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ)[3]، كما ان اول مدرسة نشأت في المدينة المنورة وظهر فيها زهاد كثيرون منذ وقت مبكر تمسكوا بالقرآن وجعلوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قدوتهم في زهدهم وظلوا كذلك حتى اصبح الامام علي كرم الله وجهه الامام الثاني في الطريقة بعد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكون سيدنا علي من اقرب الناس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحبهم اليه وموضع سره وثقته وقال في حقه ما يعظم شأنه فوق كل ذي شأن فقال في موضع غدير خُم (من كُنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه)، فالاحاديث النبوية هذه اكدت عظمة علي وولايته فهو امام الطريقة وبابها عملاً بقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (انا مدينة العلم وعليٌ بابها)، وكان له تلاميذ من اصحاب الطريقة والصفاء والورع وهم من الصحابة ومن هؤلاء ابو ذر الغفاري المتوفى سنة (٢٢هـ) وابو عبيدة بن الجراح المتوفى سنة (١٨هـ) وسلمان الفارسي المتوفى سنة

---

(١) سورة الفاتحة، الآيات ٦، ٧ .

(٢) سورة الجن، الآية ١٦ .

(٣) سورة الاحزاب، الآية ٢١ .

(٢٦هـ) ومن التابعين سعيد بن المسيب المتوفى سنة (٩١هـ) وسالم بن عبد الله المتوفى سنة (١٠٦هـ) . وتعدُ مدرسة المدينة المنورة من كبرى المدارس للطريقة والتصوف الاسلامي وتليها مدرسة البصرة وكان شيخ هذه المدرسة الامام الزاهد الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ) وهو من واضعي دعائم الطريقة البيعة (العهد) من سيدنا الامام علي كرم الله وجهه واتم مدرسته على نهجه ومن ثم تتابعت الطريقة وانتقلت من شيخ الى شيخ حتى وصل الى عصر سلطان الاولياء والباز الاشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني قُدس سره العزيز فأنشأ مدرسة كانت الوحيدة في عصره والتي كان المئات من محبي الطريقة وعلومها واصحاب الزهد والورع والحقيقة يتوجهون اليها لينهلوا من مناهلها، علوم الطريقة والشريعة والتصوف وذاعت شهرتها حتى اهتدى بها الكثير الى طريق الحق والايمان وكانت خير مدرسة يعظ فيها سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني افواجاً من الناس والسالكين يفدون اليها لسماع الوعظ وكانت هذه المدرسة وشيخها سبباً في هداية كثير من الضالين الى طريق الحق واصبحوا سالكين على نهج طريقته حيث ان كثيراً من المدن والبلدان فتحت في عهده ودخلوا في دين الله افواجاً .

وبعد ذلك لاحت في الافق انوارٌ ساطعة تجسدت في شخصية مقدسة عظيمة وهي شخصية الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزاني الذي انار الافاق بوجوده واشرقت الارض بنوره المستمد من نور جده المصطفى محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم الذي اصبح علَماً من اعلام الطريقة والهدى ومناراً اهتدت به جموعٌ من شتى ابقاع الارض ومن بينهم الملوك والامراء وكثيرٌ من العظماء كانوا يلقون بأنفسهم على عتبة بابه راجين نظرته، وكانت كل هذه القدرات والمواهب الروحية هي إمتداد ووصل وإحياء لمآثر جده المصطفى صلى اللّه تعالى عليه وسلم حيث تجلت في مدرسته (المدرسة الكسنزانية) التي أحيت الدين الاسلامي ومبادءهُ السامية بجهاده وارشاده المتواصل وسلوكه لُقِبَ بمحي الدين بعد الشيخ عبد القادر الكيلاني وبلغت منزلته منزلة لم يبلغها احد .

وقد انجبت المدرسة الكسنزانية رجالاً مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأصبحوا دعاةً للطريقة وهداية الناس الى طريق الخير والمحبة فكانوا خير من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتبعون سبيل الرشاد . وان ما ذكرناه آنفاً من تاريخ

الطريقة يؤكده قول الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله عندما سئل عن اول من اسس الطريقة (التصوف) وهل بوحي سماوي ؟ فأجاب اما اول من اسس الطريقة فلتعلم ان الطريقة اسسها الوحي السماوي في جملة ما اسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الأحسان الذي هو احد اركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما بيّنها واحداً واحداً ديناً بقوله (**هذا جبريل عليه السلام اتاكم يعلمكم دينكم**)[1]، وهو الاسلام والايمان والاحسان .

فالاسلام اطاعة وعبادة، والايمان نور وعقيدة، والاحسان مقام مراقبة ومشاهدة . (**ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك**)، ثم قال السيد محمد صديق الغماري في رسالته تلك فأنه -كما في الحديث- عبارة عن الاركان فمن أخلّ بهذا المقام (الاحسان) الذي هو الطريقة فَدِيْنُه ناقص بلا شك لتركه ركناً من اركانه فغاية ما تدعو اليه الطريقة وتشير اليه هو مقام الاحسان بعد تصحيح الاسلام والايمان)[2] .

وقال القشيري اعلموا بأن المسلمين بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتسمَّ افاضلهم في عصورهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام إذ لا افضلية فوقها فقيل لهم الصحابة ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس -من لهم شدة عناية بأمر الدين- الزُهاد والعُبّاد ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفِرق فكل فريق إدعوا ان فيهم زُهاداً فأنفرد خواص اهل السُنّة المراعون انفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة بأسم التصوف)[3] .

إن هذه الادلة تؤكد على وجود الطريقة بمعناها الروحي في صدر الاسلام -في عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم- ولم تظهر بأسم التصوف لانهم كانوا جميعاً بصفة واحدة، وبعد نكبة اهل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتغير نظام الخلافة الاسلامية إتجه الناس الى الابتعاد عن التعاليم الاسلامية وجوهرها بين طامع في المال وخائف على نفسه فتأخرت الاعمال وتنافس الناس في الدنيا وحييت النفوس بعد موتها فتأخرت بذلك انوار القلوب ووقع ما وقع في الدين وكادت الحقائق

---

(١) جزء من حديث اخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٢) الانتصار لطريق الصوفية ص٦، للمحدث محمد صديق الغماري .

(٣) كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة، ج١ ص٤١٤.

تنقلبُ ولم يزل ذلك الى ان حصل وجوب التصدي لذلك التداعي والانحلال لحفظ قواعد واصول الطريقة وفيما يأتي الاحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد ازلية الطريقه :

* الحديث الاول : اخرج البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أنَّ الله تعالى قال : مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب و ما تقرب اليَّ عبدي بشيء احب اليَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني اعطيته وان استعاذ بي اعذته)(1)، صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

* الحديث الثاني : اخرج ابو نعيم في الحلية عن طريق طاووس عن ابي عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله تعالى : انما اتقبلُ الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي فقطع نهاره في ذكري ولم يبت مصراً على خطيئته، يطعم الجائع ويكسو العاري ويرحم الضعيف ويؤوي الغريب فذاك الذي يضيء وجهه نور الشمس يدعوني فالبي ويسالني فاعطي ويقسم عليّ فابَرُّ قسمه اجعل من الجهالة علماً وفي الظلمة نوراً اكلأه بقوتي واستحفظه ملائكتي .

* الحديث الثالث : أخرج البزاز والبيهقي في الشعب عن ابن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقي رجلاً يقال له حارثه فقال كيف اصبحت ياحارثة، قال اصبحت مؤمناً حقاً فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انّ لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك، فقال عَزَفتُ نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني انظر الى عرش ربي وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكأني اسمع عواء اهل النار فقال صلى الله تعالى عليه وسلم عرفت فالزم .

* الحديث الرابع : اخرج الترمذي وحَسّنَهُ عن شداد بن اوس قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الكيّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز

---

(1) الحديث رواه البخاري ومتفق عليه .

من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني)[1] ، **(الكيس) العاقل (من دان نفسه)** من حاسبها .

* الحديث الخامس : اخرج ابو الشيخ وابن حبان والبيهقي عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(من انقطع الى الله عز وجل كفاه كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها)**[2] .

* الحديث السادس : اخرج الشيخان عن ابي هريرة في حديث سؤال جبريل عن الاحسان قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)**[3] .

* الحديث السابع : اخرج الحاكم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(احبوا الفقراء وجالسوهم)**[4] .

ولو اردنا جمع جميع ما يتعلق بطريق الصوفية لطال بنا الكتاب ولنكتف بما اوردنا وفيه كفاية ان شاء الله من الدلالة على صحة اهل الطريقة .

ففي **الحديث الاول** بيان مبدأ نهج الطريقة ونهايته وذلك لان سالكي هذا النهج يبدؤن بالمجاهدة ولا يزالون يجاهدون انفسهم ويجتهدون في تطهير قلوبهم من كلّ ما يباعدُ عن الله وتزيينها بكل ما يقربُ اليه من الاموال والاقوال والاعمال ولزوم الاقبال والمثول بين يديه في كل وقت من الاوقات وحالٍ من الاحوال على حسبِ الامكان حتى يصلوا الى مقام الفناء، والواصل الى مقام الفناء هو المحبوب الملحوظ والمربوب المحفوظ.

وفي **الحديث الثاني** تنويهٌ عظيم بقدر اهل الطريقة وذلك لان الخصال التي ذكرت فيه كلها من الاخلاق التي يتخلق بها اهل الطريقة ويحثون على التخلق بها .

وفي **الحديث الثالث** بيان مبدأ اهل الطريقة ونهايته فأن حارثه رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) في المستدرك .

اخبر انه جاهد نفسه بالقيام والصيام والتجافي عن دار الغرور حتى مَنَّ الله عليه بالوصول الى عين اليقين .

وفي **الحديث الرابع** تنويه بقدر كلٍّ سالك صادق وذلك لانَّ من اخلاق اهل الطريقة محاسبة النفس وتعمير كل وقت بما يليق، قال الشافعي رضي الله عنه صَحِبتُ الصوفية واستفدت منهم ثلاث كلمات : الوقت كالسيف إنْ لم تقطعْه قطعكَ، نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، الندم عصمةٌ .

وفي **الحديث الخامس** الحث على التخلق بأخلاق اهل الطريقة إذ هم المنقطعون الى ربهم المتخلقون بأخلاق نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم .

وفي **الحديث السادس** فيه إشارة جامعة لمنهج اهل الطريقة لان اصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات .

وفي **الحديث السابع** الحث على صحبة الصوفية ومجالستهم، إذ الفقير الكامل هو الصوفي الصادق لانَّ الصوفي الصادق يتلذذ بفقره ويشهد فيه المِنَّة لربه ويحمده عليه كما يحمده الغير على الغنى .

مما تقدم من الاحاديث الشريفة ودلالتها تبين لنا ان الطريقة هي روح الاسلام ولُبه واساسه وأن كان إسمها ظهر فيما بعد فذلك لا يعني انها ظهرت متأخرة وقال ابن خلدون في مقدمته :

(إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم طريقة الحق والهداية، واهلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذةٍ ومالٍ وجاهٍ والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وضجَّ الناس الى مخالطة الدنيا إختص المقبلون على العبادة بأسم الصوفية والمتصوفة)[١]، اي اهل الطريقة .

من ذلك يتبين ان اطلاق اسم معين او حالةٍ كالطريقة ليس كأطلاق إسمٍ معين على

---

(١) المقدمة لابن خلدون .

مولود جديد من بني آدم بل يمر ذلك الاطلاق بتطورات تبعاً لتطور ذلك المفهوم كما هو الحال في مصطلح (القُرّاء والفقهاء والمحدثين) ذلك ان اناساً ظهروا فاختصوا بقراءة القرآن الكريم من الرعيل الاول فَسُموا بالقراء وظهرت جماعة تعنى بالحديث فسميت بالمحدثين وتكونت جماعة تعنى ببيان الرأيّ والفتوى في الاحكام الشرعية سُميت بالفقهاء ثم إعترت هذه المصطلحات تطورات معروفة في الدلالة على معانيها كما هو الحال في المستحدثات الجديدة كالميكانيكي والكهربائي وغيرها من التسميات، وكذلك اطلق اسم المُريد او الصوفي على المرء الذي اعتزل مباهج الدنيا والحياة، وتوجه بقلب خاشع ولسان ذاكر وأدب جمٍّ الى محراب العبادة قائم الليل صائم النهار يبتغي رضوان الله وحده، جمع بين طهارة الجوارح وزكاة النفس وكان ممن وقفوا موقف الاستجابة للامر الالهي (**وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وباطِنَهُ**)[1]، ويواظب على ذكر لا إله إلا اللّه، او ذكر اللّه اللّه، مع حضور القلب . فالرسول الكريم صلوات الله تعالى عليه وسلامه حامل راية الاسلام كان التصوف ديْدَنه قبل البعثة فما ورد عنه في اعتزال الناس وانقطاعهِ الى الله تعالى في غار (حراء) قبل البعثة لا اختلاف فيه .

ومما تجدر به الاشارة ذهاب البعض الى ان الفلسفة مصدر للطريقة واساس لها وهذا غير صائب لاختلاف الطريق والمنحى لكل منها، وللمعنى ذاته لا يجوز اعتبار التصوف الهندي او الصيني من المؤثرات التي تأثرت بها الطريقة، ذلك لأن نهج اهل الطريقه (اصيل نابع من الكتاب والسنه) .

ان حقائق الفلسفة اليونانية واخبار حكماء الهند والصين وفارس نُقلت الى العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث تُرجمت كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في عهد هارون الرشيد (٧٦٦-٨٠٩م) وفي عهد الخليفة المأمون (٧٨٦-٨٣٣م) فلا الفلسفة اليونانية القديمة ولا الفلسفة الجديدة لأفلوطين المشهورة (بفلسفة الاسكندراني) او فلسفة افلوطون الجديدة المنسوبة الى افلوطين (٢٠٣-٢٧٠م) بذات أثر في التصوف الاسلامي، ويبدو ان السبب الذي دفع المستشرقين الى هذا الوهم، هو وجود بعض التشابه في منطلقات بعض من رجال الطريقة ورجال الفلسفة لا سيما في نطاق فلسفة

---

(٢) سورة الانعام، الآية ١٢٠ .

افلوطين، وهو في الحقيقة استقراءٌ ناقصٌ لا يُحتَجُ به، وانَّ الحكم بمقتضى التشابه يتطلبُ في الاقل مقارنةً علميةً بين عددٍ من الفلاسفةِ وعددٍ من كبار مشايخ الطريقةِ (يكون الحدُّ الادنى للرؤيةِ المشتركة) يجري فيها التحليلُ الفكريُّ بشكل موضوعيٍّ لارائهم في الفلسفة والطريقة دون الركون الى بعض المواقفِ او الاقوالِ النادرة لبعض المشايخ ليس الا .

والحقيقةُ إنَّ اهدافَ الطريقة وغايتها لا تلتقي مع اهداف الفلسفة وغايتها، ذلك ان الاسلام هو اساس الطريقة، وغايتها هو الايمان بوحدانية الله سبحانه والالتزام بشريعة القرآن في العقيدة والتعامل والسلوك الذاتي والاجتماعي في ضوء السيرة النبوية المطهرة، وقد اجمع كبار مشايخ الطريقة على ان الطريقة هي الوقوف عند حدود الاسلام ولكنه وقوف لا يكتفي بالظاهر بل يتعدى الى القلب حتى يحقق تعاليم القران الكريم في سلوكه ويبلغ حق اليقين (مقام الاحسان) .

ان الانسان لا ينفك في التأمل عما وراء الطبيعة والتساؤل عن حقيقتها وقد اختلف افراده في هذه النزعة فمنهم من كرّس كل حياتَه للبحثِ عن هذا السر واختار العزلةَ عن الناس من اجله وأُطلق على هؤلاء في الديانةَ المسيحية (الرهبان)، ووصف الاسلام المؤمنين المتصوفين بأنهم : **(ٱلذينَ يَذكُرُونَ ٱللهَ قياماً وقعوداً وعلى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ ٱلسَّموات و ٱلأرض، رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطلاً سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ ٱلنّارِ)**[1] .

لذلك نستطيع القول ان الانسان كان دائم البحث لمعرفة الطبيعة وماوراءها وان تشابه نهج الطريقة في هذه النزعة مع الاتجاه العبادي التنسكي للانسان قبل الاسلام ذلك لا يعني تأثرها بنهج غير اسلامي في هذا المجال فهو تشابه في نزعة طبيعية لا تشابه في نهج مقصود وان الطريقة كما بيّنا هي سلوك طريق سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في العبادة والتأمل والحياة .

ولو تأملنا في الحياة لوجدنا تشابهاً غريباً في كثير من ميادينها سببه تجانس

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩١ .

الغريزة، او توارد الخاطر او تماثل الحاجات وطرق اشباعها وتشابه الظروف وعواملها ولم يتأثر اللاحق فيه بالسابق، وعلى سبيل المثال نذكر قصة العشق الذي ربط قيساً بليلى وهي قصة عرفت بقصة (مجنون ليلى) في الادب العربي، وهي نفسها تتكرر في قصة (روميو وجوليت) في الادب الانكليزي، وفي قصة (مم وزين) في الادب الكردي، و (شيرين وفرهاد) في الادب الفارسي .

وفي علم القانون شواهد عديدة على تشابه الاعراف القانونية في بلاد تتشابه الظروف الاجتماعية والاقتصادية فيها .

فاذا كان نهج الطريقة فيه بعض الشبه مع اتجاهٍ في السلوك الانساني قد ظهر بشكل او بآخر قبله فان هذا لا يعني علاقة امتدادٍ في الوجود بل يعني علاقة تشابه في تطلع الانسان ذاتِه .

فالطريقة هي سلوك حَدَدت الشريعةُ الاسلاميةُ مقامَها ووضع كبارُ مشايخِ الطريقة حقائقَها .

حقيقــة الطـريقــة

ان الطريقة تقوم في ذاتها على اساسين رئيسيين :

١- التجربة الروحية الباطنة بين العبد والرب .

٢- الفناء .

اما الاساس الاول فهو تجربة روحية لا تخضع الى العقل المنطقي وفيها تتحد الذات والموضوع وتقوم فيها البوادر واللوائح واللوامع مقام التصورات والاحكام والقضايا في النطق العقلي، اذ المعرفة فيها مُعاشَةٌ لا متأمَلة، ويغمر صاحبها شعور عارم بقوة تضطرم فيه وتغمره كفيض من النور الباهر، او يغوص فيها كالامواج العميقة ويبدو له ايضاً ان قوى عالية قد غزته وشاعت في كيانه الروحي، وما هذا الا نفحات روحية علوية، ولهذا يشعر السالك باثراء في كيانه الروحي وتحرر في افكاره وخواطره وهيجان لطاقات كامنة تغور في اعماق نفسه .

واما الاساس الثاني فمهم جداً في مفهوم الطريقة والا كانت مجرد اخلاق دينية تقوم على توكيد المطلق او الموجود الحق، او الموجود الواحد الاحد الذي يضم في حضنه كل الموجودات .

ان الفناء والاتصالُ متفاوت في المراتب الى ان يصل المُريد الى الفناء الاعظم، قال تعالى : (كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُ)[1] . وقد بين مشايخ الطريقة قدس الله اسرارهم مدارج الفناء لسالكي نهج الطريقة وهي :

١- الفناء في الشيخ : ويعتمد هذا الفناء على الاتباع الكامل لشيخ الطريقة من قبل المُريد مقتدياً باعماله مستسلماً بكُليته لحوله، قال تعالى : (اِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّهُ)[2]، وقال تعالى : (واُفَوِّضُ اَمري الى اللهِ اِنَّ اللّهَ بَصيرٌ بالعِبادِ)[3]، وان تفويض الامر الى الشيخ هو تفويض لامر الله تعالى بلا شك .

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١ .

(٣) سورة غافر، الآية ٤٤ .

وقد وصف سلطان الاولياء السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره السلوك على يد شيخ ذي علم رباني بهذه الابيات الرائعة :

وان ساعدَ المقدورُ او ساقكَ القضا ... الى شيخِ حقٍّ في الحقيقةِ بارعُ

فقمْ لرضاهُ واتبعْ لمرادهِ ... ودعْ كلَّ ما من قبلُ كُنتَ تُسارعُ

ولا تعترضْ فيما جَهلتَ من امرهِ ... عليه فانَّ الاعتراضَ تنازُعُ

ففي قصة الخضرِ الكريمِ كفايةٌ ... بقتلِ الغلامِ والكليمُ يُنازعُ

فلما اضاءَ الصُبحُ عن ليلِ سرّهِ ... وسلَّ حُسامً للغياهبِ قاطعُ

اقامَ لهُ العُذرَ الكليمُ وانهُ ... كذلك علمُ القومِ فيهِ بدائعُ

وقد اكد الامام الغزالي ان على المُريد ان يتفانى في شيخه ويحترمه ظاهراً وباطناً، واحترام الظاهر ان لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج منه في كل مسالة، واحترام الباطن هو ان كل ما يسمعه ويقبله من شيخه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا نقلاً ولا قولاً لئلا يتسم بالنفاق، حيث ان شيخ الطريقة مرشد مربٍّ يخرج الاخلاق السيئة من المُريد ويجعل مكانها خُلُقاً حسناً، وقد وضع الامام الغزالي معنى التربية هذه فقال (ومعنى التربية يشبه فعل الفلاّح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الخشنة من بين الزرع ليحسّن نباته ويكّمل ريعه، اي ان تربية المُريد تكون من خلال شيخ يؤدبه، لان المُريد دون شيخ يؤدبه اشبه بشجرة نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر ... ويجوز انها تثمر كالاشجار التي في الاودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين)[1] . فاذا كانت الشجرة في البستان يتعهدها البستاني بالرعاية والعناية، فكذلك المُريد بين يدي شيخه يرشده ويهديه ويعرّفه طريق المواجيد ويبصره بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدو، فاذا كان المُريد صادقاً (دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه، يسري من باطن الشيخ حالٌ الى باطن المُريد كسراج يقتبس من سراج ... فبالتآلف الالهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية)[2] .

---

(١) من كلام الشيخ ابي علي الدقاق، ورد في تعليق على كتاب المنقذ من الضلال للغزالي .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

والمُريد الصادق كما يراه الشيخ نجم الدين البكري رضي الله عنه هو :

(... ان يكون زاده التقوى، وبضاعته الافلاس، وسفره الى الاخرة، ومراحله الانفاس، ومنازله القبر، وصاحبه اليقين، وتدبيره العجز، وحركاته السكون، وبيته الخلوة، ولباسه الفقر، ونومه محاسبة العمر، وركبته وسادته، ومسجده مجلسه، ان درس فعلوم الحكمة، وان نظر فنظر العبرة، رفيقه التوفيق، وسمته حسن الخلق، ومعلمه القناعة، وصومه الصمت، وهمته خوف النار، وفرحه بالنار لا بالجنة، وصحته اليأس من الخلق، كما ان مرضه الطمع فيهم، وواعظه الموت والمقابر، والايام والليالي، ومطربه الحزن على تفريطه في اوقات عمره في غير مرضاة الله، ونيته الجازمة رفض الدنيا ابداً ما عاش، وسلاحه الوضوء، وركبه الورع، وخصمه النفس والشيطان، وسجنه الدنيا، وسجانه الهوى، ليله تضرع، نهاره استغفار، وحصنه دينه، وشعاره شرعه، ومحدثه كتاب ربه، ورأس ماله الظن بربه، وحرفته كثرة الصلاة على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم الذي هداه الله به، فهو الشيخ الحقيقي له ولجميع الامة فهذا هو المُريد الصادق)[1] .

فاذا كان المُريد هكذا تكون طاعته لشيخه طاعة مطلقة، ويكون بين يدي شيخه كالاعمى الماشي على شاطيء النهر، كالميت بين يدي غاسله، وقد اجاد من قال :

اخلص ودادك صدقاً في محبته ... والزم ثرى بابه واعكف بناديه

واستفرغ العمر في آداب صحبته ... وحصّل الدُر والياقــوت من فيه

ويصف اليافعي صعوبة الطريق ووعورة مسالكه بحكاية عن احد المُريدين الذي طلب من شيخه مثالاً يصور له فيه ذلك الطريق فجعل الشيخ عسلاً في اناء وجعل فوقه صبراً، وقال اشرب هذا، فشرب الصبر وصبر على مرارته واكره النفس على ذلك، ولم يزل يشربه مع مقاساة شدة المرارة وتململ النفس وتحميلها ما لا تطيق الى ان نفذ الصبر وانتهى الى العسل . فلما ذاقه اراد ان يأخذ الاناء منه، فقال له المُريد ياسيدي، من شرب المر شرب الحلو، فقال له الشيخ صدقتَ، وتركه حتى شربهُ .

واذا كانت الارادة عتبة الطريق في هذا السفر الروحي، فغالباً ما يجد المُريد نفسه منجذباً لذلك السفر ومدفوعاً اليه، كما حَصلَ لابراهيم بن ادهم ورابعة العدوية،

---

(١) الانوار القدسية، للشيخ عبد الوهاب الشعراني ص٩٢-٩٣ .

والغزالي، ولنتابع الغزالي حيث يصور لنا حاله بين مقامي الاختيار والاضطرار، الى ان بلغ درجة الانجذاب ولم يعد له معها أية ارادة فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقامّ، ومنادي الايمان ينادي الرحيل، الرحيل، فلم يبق من العمر الا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما انت فيه من العلم رياءٌ وتخيّل، فان لم تستعد الان للاخرة، فمتى تستعد ؟ وان لن تقطع الان هذه العلائق فمتى تقطع ؟ فعند ذلك تنبعث الداعية، وينجزم العزم على الهرب والفرار.... فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الاخرة قريباً من ستة اشهر اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربع مائة، وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختبار الى الاضطرار ... .

ويتابع الغزالي وصف الصراع الذي اتقد في خاطره بين علائق الدنيا التي تشده وبين انجذابه الي طريق السلوك الذي كانت له الغلبة ودخول المُريد في السفر الصوفي اشبه بالولادة، لكنها ولادة معنوية وليست طبيعية، فالولادة الاولى يصير -المُريد- له ارتباط بعالم الملك، وبهذه الولادة يصير له ارتباط بعالم الملكوت .... فالولادة تطرق الى الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لانها وجدت من شجرة، هي شجرة العلم لا شجرة الحنطة .

انّ مشيخة الطريقة ما هي الا أمرُ اختصاص رباني، فليس كل عالم هو مرشد بل هناك لشيخ الطريقة اذن رباني، قال تعالى : (وَدَاعِياً الى اللَّهِ بِإِذْنِهِ)[1]، وقال تعالى : (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُرْشِداً)[2]، وقال تعالى : (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[3]، وقال تعالى: (انِي جاعِلٌ فِي الارضِ خَلِيفَةً)[4]، وقال تعالى : (وَكُلَّ شَيءٍ اَحصَيناهُ فِي اِمامٍ مُبينٍ)[5]، فشيخ الطريقة هو المأذون من الله تعالى، والولي المرشد، ومن اهل الصنع الخصوصي، وخليفة الله في الارض، وجامع للاسرار الروحية، ومتصل بالتتابع لسيدنا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بسلسلة مشايخ الطريقة الروحية قدس الله اسرارهم اجمعين .

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٤٦ .
(٢) سورة الكهف، الآية ١٧ .
(٣) سورة طه، الآية ٤١ .
(٤) سورة البقرة، الآية ٣٠ .
(٥) سورة يس، الآية ١٢ .

- ان ثمرة الاتباع الكامل للمُريد ظاهراً وباطناً لشيخ الطريقة قدس الله سره -الفناء بشيخه- هي تلذذ المُريد بقبس الانوار الروحية التي تغزو قلبه من شيخه، وان هذا الفناء يتحول بدوره الى قنطرة الفناء التالية .

- الفناء بالرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم، اذ يتحول هذا الفناء الى مرحلة الفناء التالية .

- الفناء في الله تعالى .

ومن هنا كانت الطريقة سلماً صاعداً ذا درجات نهايتها عند الذات العلية، وسفراً يرقى في معارج حتى ذروة الفناء الاعظم (الفناء في الله)، والتطور في هذا السبيل واضح مستقيم من فكرة العشق الالهي عند اهل الطريقة امثال رابعة العدوية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حتى مقولة الحلاج المشهورة (انا الحق) في نهاية القرن الثالث الهجري، فكان ذلك على اساس اتحاد بالمطلق او على الاقل ايجاد صلةٍ وعشقٍ يسمو بصاحبه للفناء بالذات العلية .

خصائص منهج الطريقة

لا بد ان نضع النقاط على الحروف في مسالة قد تطرق وهي قول القائل، ان احوال النفس البشرية امر يقوم بتحليله الفلاسفة الالهيون ايضاً وكذلك القول بوحدة الوجود، موجود ايضاً في الافلاطونية المحدثة ومن تأثر بها من مذاهب فلسفية، فكيف يتم التمييز بين اهل الطريقة وهؤلاء ؟ والجواب عن ذلك، ان اهل الطريقة يتميزون عن الفلاسفة الالهيين بما يلي :

١- اداة المعرفة : عند اهل الطريقة هي ملَكَة خاصة تسمى الذوق او العيان (الشهود)، بينما عند الفلاسفة الالهيين هي العقل والبرهان العقلي . لذلك فان اهل الطريقة يفرقون بين علم الظاهر وعلم الباطن، ويقصدون بعلم الظاهر اساساً لعلم الشريعة لانه يتعلق بالاعمال الظاهرة كاعمال الجوارح الظاهرة وهي العبادات والاحكام الشرعية . اما علم الباطن فيتعلق بالاعمال الباطنة (اعمال القلوب) وهي المقامات

والاحوال مثل (التصديق، الايمان، اليقين، المعرفة، التوكل، المحبة، الرضا، الذكر، الشكر، الانابة، التقوى، المراقبة، الخوف، الرجاء، التفويض، القرب، الشوق، الوجد، التعظيم، الاجلال، الهيبة)، وكما نعلم ان علم النفس عند الفلاسفة والنفسانيين لا يعنى بهذه المعاني، فهي من مميزات علم الباطن عند اهل الطريقة وان علم النفس في الطريقة ما هو الا دراسة لاحوال النفس في علاقتها مع الله تعالى .

اذن المعرفة التي يصل اليها المُريد هي معرفة مباشرة بغير وسائط من مقدمات او قضايا او براهين انها معرفة فوق عقلية لا ينالها الا من سلك سبيل الطريقة وأُلهِمَ المعرفة المباشرة ومن هنا تسمى المعرفة (كشفاً) ولهذا نرى ان هذه المعرفة هي (علم الصدّيقين وان من كان له نصيب وهو من المقربين ينال درجة اصحاب اليمين) . فهي من مواهب الله وكرمه وفضله لا تأتي الا بعد طهارة القلب وتزكية النفس، قال تعالى : (قَدْ افلَحَ مَـنْ زَكَّاهـا)[1]، هناك تفيض عليه الانوار من قبل الواحد الاحد واذا وصل المُريد الى هذه الدرجة (سمي عارفاً) .

٢- فيما يتعلق بالقول بوحدة الوجود يتميز اهل الطريقة بانهم يهدفون اساساً ومنذ البداية الى الوصول الى هذا الاتحاد اي (مرتبة شهود الحق في قلب السالك فتنمحي الكثرة وتتجلى الوحدة، ويفنى المتناهي في اللامتناهي)، هنا ينمحي كل وجود للعالم الخارجي ولنفس المُريد السالك، فيرى السالك الله وحده، ويعرفه معرفة ذوقية عن طريق اتصاله به روحياً .

اما عند الفلاسفة الالهيين القائلين بوحدة الوجود، فان المهم هو معرفة ترتيب الكون وكيفية تركيبه بصدوره عن الواحد في صدورات متوالية يتدفق بعضها من بعض في مراتب، فوحدة الوجود عندهم نظرية في الكون، وعند المُريد السالك اساس يستند اليه في تجربة الاتحاد (الفناء التام) فالفيلسوف يسعى لادراك الوحدة، والمُريد يفترضها مقدماً ويسلك الطريق لتحقيقها في تجربته الذاتية، ذلك ان الطريقة تقوم اساساً على السلوك والممارسة الحية، بينما الفلاسفة لا شأن لهم بالعمل والممارسة بل علمهم نظري خالص .

---

(١) سورة الشمس، الآية ٩ .

ان الفلسفة تعتمد على مقدرة الانسان الفكرية للمعرفة ولا يمكنها الوصول الى (حق اليقين) في الالهيات، ذلك ان العقل البشري محدود في طاقته كما هو الحال في الحواس جميعاً وميدان حق اليقين في الالهيات لا حدود له (والمحدود المتناهي لا يحيط بما لا حد له ولا نهاية) فالعقل لا يدرك شيئاً الا بعد الاحاطة بحده الذاتي، اي الا عندما يكون محيطاً بالمحدود احاطة شاملة فلا يمكنه ادراك ماوراء الطبيعة مما هو خارج عن دائرة المادة .

ان العقل يعتمد ادوات ووسائل مادية لمعرفة الاشياء هي الحواس الخمسة : (البصر، السمع، الذوق، اللمس، الشم)، وهذه الحواس لا تدرك ما يقع خارج قوتها الحسية، ولمحدودية وظائفها فلا قدرة لها على ادراك ماوراء الطبيعة . والخلاصة ان ادراك ما وراء الطبيعة هو ادراك معنوي وهو شيء وجداني له علاقة بالايمان والحس الوجداني فهو ليس منهج الفلاسفة المعتمد على العقل والحواس الخمسة .

ان العقل البشري قادر على التوصل (بالاستدلال) الى ان لهذا الكون مدبراً ورباً عظيماً والتفكير العقلي قاد معظم الفلاسفة الالهيين الى الايمان بالله وكذلك الانبياء كما هو الحال بسيدنا ابراهيم عليه السلام اذ استدل بعقله الى معرفة الله قال تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1]، وما هذه الايات الا دليلٌ على استدلال سيدنا ابراهيم بعقله على وجود الله سبحانه وتعالى .

ان لكل فلسفة نمط خاص في التفكير العقلي فارسطو مثلاً اعتمد مبدأ العلة الفاعليه والعله الغائية للتوصل الى معرفة واجب الوجود ومعنى ذلك ان لكل معلول علة اوجدته بموجب نظام، وما من شيء يحصل اتفاقاً وبالمصادفة وبالخوارق، وكل ما في الكون خاضع لهذا الناموس الشامل، غير ان هذه العلل تنتهي الى علة موجودة بذاتها لم

---

(١) سورة الانعام، الآيات ٧٦، ٧٧، ٧٨ .

تنشأ عن علة خارجة عنها ويسمي ارسطو هذه العلة (السبب الاول) . وكذلك الحال عند الفلاسفة المسلمين الا انهم حاولوا تقريب الفلسفة الى الدين فالفارابي ركز نظرته العقلية على فكرة الواجب والممكن، واتضحت هذه الصورة عند ابن سينا اذ توصل بها الى حقيقة واجب الوجود، وبمقتضى هذه الفلسفة يكون واجب الوجود هو الله مدبر الكون، اما المخلوقات فهي من الممكنات . اما الفيلسوف الكندي فقد نظر الى فكرة الاثر والمؤثر والسبب والمسبب ورأى ان لهذا الكون منظماً بديعاً، وحيث ان لكل اثر مؤثراً ولكل سبب مسبباً فان للكون منظماً بديعاً لا ريب فيه .

وقد جمع جون كلورمونس في كتابه (الله يتجلى في عصر العلم) اراء اربعين استاذاً وخبيراً في المعرفة البشرية في عصرنا امنوا بالله سبحانه وتعالى بتأملهم العقلي في عجائب الكون وقالوا جميعاً ان هذا الكون العظيم البديع لا يمكن ان يتكون دون مهندس ازلي خالد .

وللامام الغزالي تجربة غنية ورائدة فيما نحن بصدده (الفلسفة والطريقة) حيث بينّ ذلك في كتابه (المنقذ من الضلال) فقال (... رايت الفلاسفة على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاث اقسام : الدهريون، الطبيعيون، الالهيون) .

الصنف الاول الدهريون : هم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القدير وزعموا ان العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابداً وهؤلاء هم الزنادقة .

الصنف الثاني الطبيعيون : وهم قوم اكثروا بحثهم في عالم الطبيعة وعجائب الحيوان والنبات واكثروا الخوض في علم التشريح واعضاء الحيوانات فرأوا فيها من صنع عجائب الله تعالى وبدائع حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الامور ومقاصدها الا ان هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم الاعتدال بالمزاج تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان فظنوا ان القوى العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه ايضاً وانها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم لا يعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الاخرة وانكروا

الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهؤلاء زنادقة ايضاً لان اصل الايمان هو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر .

الصنف الثالث الالهيّون : وهم المتأخرون مثل سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطو وهو الذي رتبَ لهم المنطق وهذب العلوم . ثم صنف الغزالي علومهم فقال اعلم ان علومهم ستة اقسام : رياضية ومنطقية وطبيعية وإلاهية وسياسية وخُلقية . وبعد ان ناقشها قال (ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما يُزيّف منه علمت ان ذلك ايضاً غير واف بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطاليب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات) [1] .

ثم تناول تجربته مع الطريقة فقال (ثم اني لما فرغت من هذه العلوم اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علومه قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله ..... فظهر لي ان اخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات)[2] .

وبعد ان جاهد نفسه بالعزلة والخلوة والرياضة وتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب قال (اني علمت يقيناً ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلاً فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء النبوة علي وجه الارض نور يستضاء به)[3] .

---

(١) المنقذ من الضلال، ص٣٤ الغزالي .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المنقذ من الضلال، ص٤٩ . ٥٠ .

الطريقـة والشريعـة

يعد علم الطريقة علماً عملياً من حيث انه يرتبط بالمجاهدة والرياضة والاحوال والمقامات اذ يعطي المفهومات الفقهية من تحليل وتحريم روحاً جديدة ويخرجها بالعاطفة الدينية المؤسسة على اعمال القلوب من مقامات واحوال، وتنحصر هذه الاعمال في التصديق والايمان واليقين والصدق والاخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والشوق والوجد وغير ذلك من احوال اهل الطريقة ومقاماتهم .

ان الطريقة تتجه الى فهم العبادات والاحكام اتجاهاً باطنياً، فَعلمُ الطريقة اساسه الكتاب والسّنة وهنا لابد ان نُبيّن ان الشريعة هي اطار للطريقة وان الطريقة هي نواة للشريعة الاسلامية وبذلك ان المدخل الى اهل الطريقة الروحي هو الشريعة الاسلامية فهي الباب الموصل الى الحقيقة، قال تعالى: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)[1].

وقد ارخ لذلك واعتمد هذه الحقيقة وارساها مؤرخو الطريقة ونذكر عدداً منهم :

١- السراج الطوسي : لقد ردّ هذا المؤرخ الطريقة والشريعة الى اصل واحد باعتبار احداهما تكمّل الاخرى، اذ يرى هذا المؤرخ ان الشريعة قائمة على الرواية واما الطريقة فهي قائمة على الدراية، وقسّم اعمال الجوارح الظاهرة الى العبادات مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك ثم المعاملات مثل الطلاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها .

اما علم الطريقة فهو علم قائم على الجارحة الباطنية (القلب)، ولكل عمل من هذه الاعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد، ودليل صحة كل عمل منها ايات من القران واخبار عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

ويؤكد السراج الطوسي قيام العِلْمين جنباً الى جنب مستمداً ذلك من قول سبحانه وتعالى : (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)[2]، فالنعمة الظاهرة هي فعل الطاعات، والنعمة الباطنة هي ما انعم الله بها على القلب من الاحوال والمقامات، ولكن لا يستغني

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٩ .

(٢) سورة لقمان، الآية ٢٠ .

الظاهر عن الباطن ولا الباطن عن الظاهر بقول الله تعالى :

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)[1]، فالعلم المستنبط هو علم الطريقة .

فالقرآن والحديث بل الاسلام ظاهر وباطن، والفرق بين الشريعة والطريقة هي في الوسيلة فقط، فقه الشريعة قائمٌ على الاعضاء الخارجة، وعلم الطريقة قائم على الاعضاء الباطنة اي القلب، فالشريعة اقوال والطريقة افعال والشريعة اطار والطريقة نواة .

٢- الشعراني : لقد بين الشعراني ان علم الطريقة مبنيٌ على الكتاب والسنة وانه مبني على سلوك اخلاق الانبياء والاصفياء وهنا يقول عبد الوهاب الشعراني (انَّ علم التصوف اي -علم الطريقة- عبارة عن علم انقدح في قلوب الاولياء حتى استنار بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بها انقدح له من ذلك علوم واداب واسرار وحقائق تعجز الالسن عنها، فالتصوف اي -الطريقة- انما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة اذا خلا من عمله العِلل وحظوظ النفس)[2] .

ومن تبحر في علم الشريعة حتى بلغ الى الغاية ادرك بذوقه ان علم التصوف اي علم الطريقة تفرع من عين الشريعة، فاذا دخل العبد طريق القوم وتبحر فيه اعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الاحكام الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات، ومن دقق النظر علم انه لا يخرج شيء من علوم اهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة، والشريعة هي صلتهم بالله تعالى في كل لحظة، فكل صوفي فقيه ولا عكس (اي ليس كل فقيه صوفي) .

٣- الكلاباذي : يرى هذا المؤرخ ان لاهل الطريقة علماً خاصاً انفردوا به دون سواهم، وهو علم المكاشفات والمشاهدات وعلم الخواطر مع اهتمامهم بعلم الاحكام الشرعية فيقول ان علوم الصوفية علوم الاحوال، والاحوال هي مواريث الاعمال ولا تورث الاحوال الا من صحيح الاعمال، واول تصحيح الاعمال معرفة علومهم وهي علم

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٣ .

(٢) الانوار القدسية ، عبد الوهاب الشعراني .

الاحكام الشرعية من اصول الفقه من الصلاة والصوم وسائر الفرائض الى علم المعاملات من النكاح والطلاق، والمبايعات وسائر ما اوجب الله تعالى وندب اليه، وما لا غناء به عن امور المعاش، وهذه علوم التعلم والاكتساب فاول ما يلزم العبد الاجتهاد في الطلب هذا العلم واحكامه على قدر ما امكنه ووسعه طبعه وقوى عليه فهمه بعد احكام على التوحيد والمعرفة عن طريق الكتاب والسنة وما اجمع عليه السلف الصالح، فان وفِق لما فوقه نفي الشبه التي تعترضه من حاضر أو ناظر فذاك، وان اعرض عن خواطر السوء اعتصاماً بالحيلة التي عرفها وتجافي عن الناظر الذي يحاجه فيه ويجادله عليه وباعده، فهو في سعة ان شاء الله عز وجل واشتغل باستعمال علمه وعمل بما علم .

فالكلاباذي هنا يبين ان علم الطريقة هو علم التوحيد والمعرفة وهي مكملة لعلم الشريعة وعلى من اراد الخوض والتبحر في هذا العلم فعليه ان يطبق ويعلم الامور الشرعية ويلتزم بها حتى يصل الى علم الخواطر والمشاهدات والمكاشفات الخاصة باهل الطريقة التي انفردوا بها دون غيرهم .

وقد قسم هذا المؤرخ العلم الصوفي الى ثلاثة اقسام :

اولاً– علم الحكمة : وهو اول ما يلزم العبد حيث يقوم على اساس علم آفات النفس ومعرفتها ورياضاتها وتهذيب اخلاقها، ومكائد العدو، وفتنة الدنيا وسبيل الاحتراز منها .

ثانياً– علم المعرفة : فاذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها وتأدبت باداب الله، من زم جوارحها وحفظ اطرافها وجمع حواسها، سهل عليه اصلاح اخلاقها وتطهير الظاهر منها فعند ذلك يمكن العبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر .

ثالثاً– علم الاشارة : وهو يضم علوم الخواطر وعلوم المكاشفات وهو العلم الذي تفرّد به اهل الطريقة بعد جمعهم لسائر العلوم التي ذكرناها، وانما قيل علم الاشارة لان مشاهدات القلوب ومكاشفات الاسرار لا يمكن التعبير عنها على التحقيق، بل تُعلَّم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها الا من نازل تلك الاحوال وحل تلك المقامات فقد

روى سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله، فاذا انطقوا به لم ينكره الا اهل الغرق بالله)**.

وعن عبد الواحد بن زيد قال سألت الحسن البصري عن علم الباطن فقال سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن علم الباطن فقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(سالت جبريل عن علم الباطن فقال سالت الله عن علم الباطن فقال : هو سر من سري اجعله في قلب عبدي لا يقف عليه احد من خلقي)**. وقال ابو الحسن بن ابي ذر في كتابه (منهاج الدين) انشدونا للشبلي :

عِلمُ التصوفِ علمٌ لا نفادَ لـه ... عِلـمٌ سمـيٌّ سمـاويٌّ ربوبـي

فيه الفوائدُ للارباب يعـرفها ... اهـلُ الجزالةِ والصُنعِ الخصوصيٌّ

٤- ابو نعيم الاصفهاني : يؤكد هذا المؤرخ انَّ اهلَ الطريقةِ في حقائقهم قد بنوا علمهم على اركان اربعة :

اولاً : معرفة الله تعالى ومعرفة اسمائه وصفاته وافعاله .

ثانياً : معرفة النفوس وشرورها ودواعيها .

ثالثاً : معرفة وساوس العدو ومكائده وخصاله .

رابعاً : معرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها وكيفية الاحتراز منها والتجافي عنها .

(لذلك الزموا انفسهم بعد توطئة هذه الابنية، دوام المجاهدة وشدة المكابدة وحفظ الاوقات واغتنام الطاعات، ومقارنة الراحات، والتلذذ بما ايدوا من الطاعات، وصيانة ما خصوا به من الكرامات، لا عن المعاملات إنقطعوا ولا الى التأويلات ركنوا، رغبوا عن العلائق ورفضوا العوائق، إقتدوا بالرعيل الاول من المهاجرين والانصار وفارقوا العروض والعقار، وآثروا البذل والايثار، وهربوا بدينهم الى الجبال والقفار احترازاً من موامقة الابصار أن يوميَ اليهم بالاصابع ويشار لما أنِسُوا به من التحف والانوار، فهم الاتقياء والاخفياء، والقرباء النجباء صَحت عقيدتهم فَسلمت سريرتهم)[1] .

---

(١) حلية الاولياء، ابو نعيم الاصفهاني .

٥- ابو القاسم القشيري : يعدُ القشيري اهم مؤرخ لاهل الطريقة دافع عن منزلة الطريقة ومكانتها في الفكر الاسلامي، فلم تكن رسالته في علم الطريقة إلاّ للرد على اعداء الطريقة وبيان قواعد الطريقة واركانها وارجاعها الى اصولها الاولى التي كانت سمة من سمات الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم، وبيّن ان اهل الطريقة هم المخلصون لعقيدتهم والمتمسكون بالكتاب والسنة . ويميز القشيري بين منهج اهل الطريقة في المعرفة وبين منهج غيرهم من الفرق ويعطينا هذا التمييز في صورة وصية يقدمها للمُريدين السالكين حيث يقول (اول قدم للمُريد في هذه الطريقة ينبغي ان يكون على الصدق ليصح له البناء على اصل صحيح، فأن الشيوخ قالوا إنما حُرموا الوصول لتضييعهم الاصول، كذلك سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق يقول فتجب البداءة بتصحيح الاعتقاد بينه وبين الله تعالى، صافٍ من الظنون والشبه، خالٍ من الضلال والبدع، صابر عن البراهين والحجج . ويقبح بالمُريد ان ينتسب الى مذهب من مذاهب ليس من هذه الطريقة، وليس إنتساب الصوفي الى مذهب من مذاهب المختلفين -سوى طريقة الصوفية- الا نتيجة جهله بمذهب اهل هذه الطريقة فأن هؤلاء حججهم في مسائلهم اظهر من حجج كل احد وقواعد مذهبهم اقوى من قواعد كل مذهب)[1] .

ولم يمض عصر من العصور التي مرَّ بها الاسلام إلاّ وفيه شيخ من مشايخ الطريقة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم واستلم له تواضع له ائمة ذلك الوقت من العلماء وتبرك به ولولا ميزة خصوصية لهم لكان الامر بالعكس .

٦- ابن خلدون : لقد افرد هذا المؤرخ فصلاً في كتابة المقدمة سماه علم التصوف اي علم الطريقة ولَخّص لنا في هذا الفصل كل ما سبقه من اراء عند مؤرخي الطريقة القدماء وتحدث فيه عن اهمية الطريقة ومنهجها وقواعدها . إن المواجد التي تَحدّثَ عنها ابن خلدون هي الاحوال والمقامات، والحال عنده نتيجة لمجاهدته وعبادته ويكون صفة حاصلة للنفس من حزن او سرور او نشاط او كسل، وهذا الحال عندما يرسخ في النفس يصبح مقاماً للمُريد، والمقامات لا يزال المُريد يترقى فيها من

(١) الرسالة القشيرية. لابي القاسم القشيري .

مقام الى مقام حتى ينتهي الى حالة التوحيد والمعرفة والفناء التي هي الغاية المطلوبة للسعادة الروحية، ثم يؤكد ابن خلدون إن اهل الطريقة اضافة لما حازوه من علم بالاحكام الفقهية العامة فقد اختصوا بالمجاهدات ومحاسبة النفس فَهُم اهل الاذواق والمواجد)[١] .

٧- ابن سينا : وذكر الفيلسوف الاسلامي ابن سينا في كتابه الاشارات والتنبيهات فقال إن للعارفين مقامات ودرجات يخصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم فكأنهم في جلاليب من ابدانهم قد نفوها وتجردوا عنها الى عالم القدس ولهم امور خفية فيهم، وامور ظاهرة يستنوقها ويجلّها من يَعرفها ثم يُقسّم اصحاب هذا النهج اقساماً ثلاثةً :

اولاً : المُعرِض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد .

ثانياً : والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يُخَص باسم (العابد) .

ثالثاً : والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره يُخَص بأسم (العارف) وقد يتركب بعض هذه مع بعض .

ثم يُفصّل ابن سينا القول في صفات العارف حيث يقول (الزهد عند غير العارف معاملة ما، كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الاخرة، وعند العارف تنَزهٌ عما يشغل سره عن الحق، وتكبُّرٌ على كل شيء غير الحق . والعبادة عند غير العارف معاملة ما، فكأنه يعمل في الدنيا لاجرة يأخذها في الاخرة هي الاجر والثواب . وعند العارف رياضة لقوى نفسه المتوهنة والمتخيلة ليجرها بالتعويد من جناب الغرور الى جناب الحق، فتصير مسالمةً الباطن، حينما يستجلي الحق لاتنازعه فيخلص السر الى الشروق الساطع ويصير ذلك مَلَكَة مستقرة . كلما شاء السر اطلع الى نور الحق غير مزاحم من الهمم، بل مع تشييع منها له، فيكون بكُلِيته منخرطاً في سلك القُدس)[٢] .

(فالعارف يريد الحق الاول لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئاً على عرفانه وتعبده له

---

(١) المقدمة، ابن خلدون .

(٢) الاشارات والتنبيهات، ابن سينا .

فقط، ولانه مستحق للعبادة، ولانها نسبة شريفة اليه، لا لرغبة او رهبة)[1] .

من ذلك يتبين ان علم الطريقة يحلق بالمُريد في اجواء الروح والضمير والنور الالهي ولكن دون ان يخرج عن حدود الشريعة الغراء ذلك انه يسترشد بالكتاب والسنة ويستلهم قيمه واصوله من سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآل بيته (عترته) الطاهرين وصحابته المخلصين والمشايخ العارفين الكاملين، بيد ان الطريقة تتميز باطار محدد صارم ضمن الميدان الواسع للشريعة الغراء، فالشريعة الاسلامية قد تكتفي من المُسلم باداء الصلاة كما هي، دون ان تعرض عليه حبس انفاسه كي لا يزيغ قلبه لحظة عن التفكر في ساعة القرب ولكن الطريقة وجبت المراقبة بحيث يعيش المصلي كلياً لحظات الوقوف والسجود بخشوع وخضوع دائمين ويحصل على بركات انوار يحس بها وحده قال تعالى : (قَدْ اَفلَحَ المؤمنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِم خاشِعُونَ)[2] . ويكفي اهل الطريقة مدحاً اذعان الامام الشافعي لشيبان الراعي الصوفي، حيث كان احمد بن حنبل عند الشافعي، فجاء شيبان الراعي فقال احمداريد يا ابا عبد الله (اي الشافعي) ان انبه هذا (يقصد شيبان) على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم، فقال لشيبان ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري اي صلاة نسيها، ماالواجب عليه ياشيبان؟ فقال شيبان : يا احمد، هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب ان يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه، فغشي على احمد، فلما افاق قال له الشافعي الم اقل لك لا تحرك هذا !

وكذلك يكفي اهل الطريقة فخراً اذعان احمد بن حنبل لابي حمزة البغدادي الصوفي واعتقاده فيه حيث كان يرسل له دقائق المسائل ويقول ما تقول في هذا ياصوفي ؟ وكذلك اذعان ابي العباس بن سريج الفقيه القاضي لابي القاسم الجنيد البغدادي قدس الله سره حين حضر مجلسه وقال لا ادري ما يقول، ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل، وكذلك اذعان الامام ابي عمران لابي بكر الشبلي قدس الله سره حين امتحنه في مسائل من الحيض وافاده سبع مقالات لم تكن عند ابي عمران . وحكي

---

(١) الاشارات والتنبيهات، ابن سينا .

(٢) سورة المؤمنون، الآيات١، ٢.

ان الامام احمد بن حنبل كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول انهم بلغوا في الاخلاص مقاماً لم نبلغه .

ومما يجب ان يذكر ان وفداً من الفقهاء الكبار قد حضروا عند مجلس حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره لمناظرته في امور فقهية وقبل ان يتكلم كل منهم في مسألته غطت همة الشيخ الجليل وبركته على عقولهم وقلوبهم باكنة جعلتهم لا يذكرون شيئاً من اسئلتهم التي جاؤوا بها وفروا من مجلسه .

من هذا يتبين ان الطريقة هي جهاد من اجل الوصول الى معرفة الله في طريق الحس الوجداني الروحي ومثل هذا الاحساس يتحقق بذوق في الضمير والقلب والوجدان لا بذوق في اللسان، ويتحقق بالمشاهدة والبصيرة لا بالبصر بعد ان جعل سالكو هذا النهج الشريعة مركباً لسموهم الروحي .

الطريقة والمجتمع

ان منهج الطريقة هو شفاء للانسان من كل داء يلازمه وغاية هذا المنهج بلوغ مرتبة من الطهارة والكمال كونه اخصب جانب للحياة الروحية الاسلامية فهو تأمل لاحوال الانسان في الدنيا وتزكية له قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)[١] ، فلا فلاحَ ولا صلاحَ من دون زم الجوارح وكبح الغرائز لذلك فان الطريقة هي عامل نهضةٍ وانبعاث يهذب الشخصية الانسانية، فيستقيم السلوك بتعاليمها وتزكو الاخلاق بقيمها، فيرتقي المجتمع بها، وتشكل حلاً للعديد من المشاكل والازمات الاجتماعية، وما سالكو هذه الطريقة حقَ سلوكها إلاّ اطباء نفسانيون يعملون على شفاء بلايا الآخرين لانهم كما يقول المحاسبي في كتابه (المحبة) (قد رنوا بأبصارهم بفضل ضياء الحكمة الالهية الى المناطق التي تنمو فيها الادوية، وقد علّمهم كيف يَفعل الدواء، فبدأوا بشفاء قلوبهم، وامَرَهم حين ذاك بأن يواسوا قلوبَ المحزونين والذين يتألمون)[٢] .

فالطريقة اذن هي علاجٌ بدأ الطبيب المعالج فجربه على نفسه ابتغاء أنْ يفيد به الآخرين والطريقة كما يقول ابو الحسين النوري – ليست نصوصاً وعلوماً نظريةً، بل اخلاق اي قاعدة للحياة والمجتمع، وكما يقول الجنيد قدس الله سره (ما اخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات)[٣] .

ومن هنا برزت قيمة الطريقة ووجوبها للمجتمع وقد استطاع مشايخها الكرام ان يستقوا من حياتهم الباطنة الوسائل لعلاج آلام القلوب، وتضميد جراح الجماعة، ووضع الايثار شعاراً لهم، قال تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[٤] .

لذلك فانها تجعل سالكها متسلحاً بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية ، فيتحقق له التوازن النفسي ويصبح قادراً على تجاوز مصاعبها ومشكلاتها

(١) سورة الشمس، آية ٩ .
(٢) كتاب المحبة للمحاسبي .
(٣) الرسالة القشيرية ، ص٢٠ .
(٤) سورة الحشر، الآية ٩ .

وبهذا المعنى فان الطريقة تجعل من هذه الحياة وسيلة لا غاية يأخذ الانسان كفايته ولا يخضع لعبودية حب المال والجاه ولا يستعلي بهما على الاخرين وبهذا يتحرر تماماً من شهواته واهوائه وبأرادة حرة .

إن من الامور التي يجب ان نعرج عليها هو اقتران الجهاد بالطريقة، ذلك ان المتفيهقين قد اتهموا باطلاً اهل الطريقة بالتخاذل والتقاعس والتخلي عن الدنيا لكن الحقيقة خلاف ذلك حيث دوّن اهل الطريقة صفحات مشرقة في تاريخ الاسلام وحضارته فنرى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره قد عمّر الصدور بالايمان ورسخ العقائد الجهادية للمسلمين ضد الصليبيين وما كانت مدرسته الصوفية في بغداد الاّ مصنعاً إيمانياً في غاية الاهمية، جنى ثماره فيما بعد القائد صلاح الدين الايوبي الذي انتصر على الجيوش الصليبيه[١] .

وقد تزعم اهل الطريقة جماهير الناس في محاربة الاسپان والبرتغال واستشهد منهم نفر كثير .

ان اهل الطريقة هم ملاذ الناس في الملمات الى جانب ما لهم من خدمات اجتماعية والوان من البرّ والاحسان والمواساة والمؤخاة، ومما تجدر به الاشارة أن الطريقة تمتاز بالنزعة الانسانية العالمية المنفتحة على سائر الاديان والاجناس قال تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ**)[٢]، وقال تعالى : (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُونِ**)[٣]، وقال تعالى : (**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ**)[٤] .

واذا كان الاسلام في جوهره ديناً منفتحاً على كل الاجناس لا فرق بين مسلم ومسلم يختلفان جنساً او لغة او لوناً او مكاناً او زماناً الاّ بالتقوى : (**إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم**)[٥]، فأن الطريقة قد وسعّت من الآفاق التي يستشرق اليها الاسلام

(١) للاطلاع راجع كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين الايوبي، ماجد عرسان .
(٢) سورة الانبياء، الآية ١٠٧ .
(٣) سورة الانبياء، الآية ٩٢ .
(٤) سورة المؤمنون، الآية ٥٢ .
(٥) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

وامتدت بها الى الاديان الاخرى وبالتالي تحقق ذلك المجتمع المفتوح المنشود والمطمئن لان الطريقة منفتحة وشاملة لكل التجارب الدينية الانسانية متعاطفةً مع سائر التيارات والمناهج الروحية جامعة للاخوة الانسانية بين الناس على إختلاف الازمنة والامكنة قال تعالى : (**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**)[1]، وذلك ان اول نص قرآني نزل به الروح الامين على سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم لتبليغه للناس كافة هو (**بسم الله الرحمن الرحيم**) والكل يعلم ما لهذا النص القرآني من دلالات وعظات وعبر تعجز عن التعبير عنها الألسُن وتؤكد ان الدين الاسلامي هو دين السلام والتآخي والمحبة .

(١) سورة الانفال، الآية ٦١ .

الطريقـة و النفـس

النفس هي مضمار الصراع الذي خاضه اهل الطريقة انتصاراً او انكساراً او كراً او فراً وهي الرفيق المخادع فيها التقوى والفجور وهي مفتاح النجاة والهلاك قال تعالى : **(ونَفْسٍ وما سَوّاها فَأَلهَمَها فُجُورَها وتَقْواها)**(1)، وبما ان النفس تميل الى حب الشهوات فأن مخالفتها اطاعة لله وقهرها عدل ورحمة بها ومطاوعتها والرأفة بها ظلم لها ولما كان هدف اهل الطريقة تجاوز عالم الماديات والسمو الى العالم الالهي وعلموا ان النفس هي المحرك المسيطر على جميع الادراكات لزم اصلاح هذه النفس وتقويمها والتمكن منها فاحتاجوا بذلك الى عزم شديد وهمة عالية ومجاهدة مستمرة وحرب لا هوادة فيها، واحتاجوا الى جانب ذلك دراية تامة بالنفس وطبيعتها واجزائها واسرارها وخباياها ونقاط ضعفها قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)** .

وقال الرازي (فكما ان النجار يفعل افعالاً مختلفة بواسطة الآت مختلفة فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتتفكر بالدماغ وتفعل بالقلب فهذه الاعضاء آلات للنفس وادوات لها)(2)، وقال الامام القشيري (واعلم ان من نجمت طوارق نفسه افلت شوارق أنسه)(3) .

يتضح مما تقدم ان النفس هي المحور الاساسي في الدراسة الدقيقة والتعمق المقرون بالتجربة العملية التي بنى بها اهل الطريقة نظامهم الاخلاقي والديني استناداً الى كتاب الله وسنة رسوله الكريم فكانت التقوى والايمان جناحي السمو الروحي اللذين حلق بهما اهل الطريقة الى العالم الملكوتي قال تعالى : **(ولَوْ أنّ أهْلَ القُرى آمَنُوا واتَّقَوا لَفَتَحْنا عَلَيْهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأرْضِ)**(4)، اي ان الله سبحانه وتعالى يطلعهم على العلوم العلوية والسفلية وهذا لا يأتي إلاّ عن طريق الاجتباء او الهداية .

---

(1) سورة الشمس، الآيتان ٧-٨ .

(2) الروح والنفس وشرح قواهما، للرازي .

(3) الرسالة القشيرية .

(4) سورة الاعراف، الآية ٩٦ .

فالاجتباء : هو ان يبادر الله سبحانه وتعالى الى منح المُريد مواهبَ من غير سابقة فيظهر على يده الكرامات قال تعالى : (اللهُ يَجْتَبِي إليه مَنْ يَشاءُ)[1].

واما الهداية : فهي السلوك على يد شيخ صادق عارف له دراية بخفايا النفوس وقدرة على التأثير عليها وفيها .

ويشترط في ذلك تقديم الانابة والتوبة الى الله قال تعالى : (وَيَهْدِي إليه مَنْ يُنِيبُ)[2]، حيث يلجأ المُريد الى الشيخ عاجزاً عن الاعتماد على ذاته في معالجة نفسه فَيعينهُ الشيخ وينير له الطريق ويمده بالعون والهمة ويرافقه لحظة بلحظة حتى يوصله إلى بر الامان، قال الحكيم الترمذي (الشيخ هو المأوى والرجل العطوف الذي له حظ من العلم والرياسة ياتي اليه الغرباء من الافاق إقتباساً من ادبه وسيرته وعلمه ويزوره اهل الارادة والصدق تنفيساً عنده فيواسيهم من ذات يده ويعينهم على دهرهم)[3] .

ويقسم اهل الطريقة النفس الى ثلاثة اقسام حسب ما ورد في القرآن الكريم .

١-النفوس المتجهة الى العالم العلوي الالهي ويسمى اصحابها بـ (المقربين) وعلمهم هو المجاهدة والرياضة الروحية .

٢-النفوس التي تتجه إتجاهين، فمرةً الى العلويات ومرةً الى السفليات بالتفكير والعمل بالامور الدنيوية ويسمى اصحابها بـ (اصحاب اليمين) وعلمهم هو الاخلاق الحسنة .

٣-النفوس المتجهة دائماً الى عالم الماديات السفلي وتطلب لَذّاته وهم اصحاب الشمال .

إن هذا التقسيم لا يعني تقسيماً جزئياً للنفس إنما النفس هي وحدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ بل تنتقل من حال الى حال فهي قابلة للصور والحالات المختلفة التي تطرأ عليها، وكلما كان تقبلها للصورة الاولى جيداً كان تقبلها للثانية اكبر وهكذا... فهي ترقى في العالم الروحي وتسمو كلما ازدادت تأملاً ومجاهدة ارتفعت باحوالها الى مقامات اكمل واعلى فهي تنصقل بالجهد وتزداد لمعاناً واشراقاً على عكس الجسد الذي يصيبه الذبول وينهار ويهلك وتضعف قواه كلما ازداد في العمل والاجهاد .

---

(١) سورة الشورى، الآية ١٣ .

(٢) سورة الشورى، الآية ١٣ .

(٣) كتاب الفروق للترمذي، ص٨٧ .

لقد دأب اهل الطريقة منذ بداية نشأة الطريقة على دراسة النفس دراسة دقيقة فقد كانوا سيكلوجيين كباراً معتمدين على التأمل الباطني والمراقبة الذاتية التي اصبحت فيما بعد علوماً نفسانية، فالشيخ العارف يؤدي دوراً كبيراً في معرفة آفات نفوس مُريديه وعيوبها ويصف لها مايناسبها من مجاهدات ورياضات واوراد حتى يطهرها ويزكيها . لقد علم اهل الطريقة ان النفس تميل الى الاشياء الكاملة المرغوبة وتنفر من الاشياء الناقصة المكروهة فحاولوا ان يبصرورها حقيقة الدنيا لأنها متى علمت نقصها نفرت منها ومتى علمت كمال الاخرة اقبلت عليها .

ويصف سيدنا الكيلاني قدس الله سره النفس فتراه فارس الميدان والطبيب الحاذق والمهندس البارع يضع كل شيء في مكانه المناسب فيقول عن النفس(صدقها كذب ودعواها باطلة وكل شيء منها غرور وليس لها فعل محمود ولا دعوى حق، ان حللت عنها قيودها شردت وان اطلقت وثاقها جمحت وان اعطيتها سؤلها هلكت وان غفلت عن محاسبتها ادبرت وان عجزت عن مخالفتها غرقت ....)[1] .

وعلى هذا النحو راح اهل الطريقة يسبرون اغوار النفس معتبرينها العدو الاكبر باذلين الجهود المضنية في البحث عن علاج لامراضها عملاً بالحديث النبوي الشريف الذي يقول (أعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك) .

وسنتناول آفة من آفات النفس الا وهي الحسد :

الحسد

يرى المحاسبي ان الحسد من وجهة نظر الكتاب والسنة نوعان :

الاول : محرم كله وقد ذمه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم

بقوله : **(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعدِ إيمانِكُم كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ أنفُسِهِم)**[2]،

وقال تعالى : **(أَم يَحسُدُونَ النَّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضلِه)**[3]،

(١) الغنية لطالبي طريق الحق، الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره، ج٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٩ .

(٣) سورة النساء، الآية ٥٤ .

وقال تعالى : (إنْ تَمْسَسْكُم حَسَنَةٌ تَسُؤْهُم وإنْ تُصِبْكُم سيئةٌ يَفْرَحُوا بها)[1].

الثاني : الحسد غير المحرم وهو المنافسة المشروعة لقوله تعالى : (وَفي ذلِكَ فلْيَتنافَسِ المُتَنافِسُونَ)[2]، وقال تعالى : (سَابِقُوا الى مَغْفِرةٍ مِنْ ربّكُم)[3]، ثم يعود المحاسبي ليفصّل لنا انواع الحسد بطريقة المحلل النفسي الدقيق فيقول :

(وأهم الحسد : حسد الحقد، وحسد حب الدنيا، وحسد الزهو والعجب) .

ويرى ان حسد الحقد يظهر في المنافقين الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى : (وإذا لَقُوكُم قالُوا آمنّا وإذا خَلَوا عَضّوا عليكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ)[4]، فتبين ان هؤلاء المنافقين ينفصل ظاهرهم عن باطنهم وهذا في رأي المحاسبي حسد ناتج عن الحقد .

واما حسد حب الدنيا : فيظهر في تمني زوال النعمة عن العبد التي انعمها الله عليه وفضّلهُ بها على غيره ومثال ذلك في اخوة يوسف عليه السلام ويظهر في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف : (لَيُوسُفُ وأخُوهُ أحبُ الى أبينا منّا ونَحنُ عُصبَةٌ إنَّ أبانا لَفي ضلالٍ مُبينٍ)[5] .

واما حسد الزهو والعجب : فيظهر عند المنكرين والمعاندين والكفار المعجبين بأنفسهم واولادهم كما قال تعالى على السنتهم : (ما انتُم إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا)[6].

فقد تكبروا على الانبياء والمرسلين ويرى المحاسبي ان الحسد في النفس وليس في الجوارح وانما تم ذلك استعمالاً للجوارح من قبل النفس .

واما الحسد عند الغزالي : فهو يحوي في طياته نوعاً من الخوف الكظيم الذي يؤدي الى الحسرة الدائمية وهو من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب يقول الغزالي

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٠ .
(٢) سورة المطففين، الآية ٢٦ .
(٣) سورة الحديد، الآية ٢١ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٩ .
(٥) سورة يوسف، الآية ٨ .
(٦) سورة يس، الآية ١٥ .

(واعلم ان الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا)[1] .

والحقد يؤدي الى تمني زوال كل خير عن المحقود عليه وهو معنى الحسد، وبذلك يظهر الغزالي محللاً نفسياً دقيقاً وسيكلوجياً بارعاً في التحليل يدعو الى التأمل الباطني كنوع من التجربة في سبيل معرفة الحقيقة ويظهر ذلك في قوله (ثم انني إفتكرت في نيتي للتدريس فأذا هي خالصة لغير وجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه)[2] . كما يدعو الغزالي الى ممارسة التجربة ذاتياً عند ضرورتها ويتضح هذا في قوله (قالوا حُسن المزاج بقمع الشهوة والغضب وقد جرّبنا ذلك بطور المجاهدة)[3] .

فلو تتبعنا كل ما كتبه علماء الصوفية ومشايخ الطريقة في الصراع مع النفس وتحليلها وسبر اغوارها وبيان آفاتها وعلاجها الناتج عن التجربة الدقيقة والممارسة العميقة لوجدنا إن هذا العمل الفكري هو علم قائم بحد ذاته يمكن ان يطلق عليه اسم علم نفس الطريقة .

الروحُ والنفس

منذ ان بدأ المفكرون والفلاسفة يعيرون اهمية للدراسات النفسية فَصلَوا الروح عن النفس ودرسوا كل واحد منها على حدة ونسبوا اعمالاً خاصة بالنفس واخرى للروح واعطوا تعريفات لكل من الروح والنفس على اساس الاختلاف بينهما، ولما كان القرآن الكريم هو الفاصل الحق وجب ان نسمع ما يقول في هذا المجال قال تعالى : (**يا أيتها النفسُ المطمئنةُ ارجعي الى ربكِ راضيةً مرضيةً**)[4] .

فالرجوع خطاب للنفس وهو امر من الله سبحانه وتعالى دل بذلك على ان النفس تخرج من البدن بالموت، وقال تعالى : (**وإذا النفوسُ زُوِّجَت**)[5]، وهذا يدل على عودة

(١) احياء علوم الدين، الامام الغزالي ج٢ .
(٢) المنقذ من الضلال، الامام الغزالي، ص١٥٣ .
(٣) المصدر نفسه، ص٧٥
(٤) سورة الفجر، الآيتان ٢٧-٢٨ .
(٥) سورة التكوير، الآية ٧ .

النفس الى البدن يوم البعث وبذلك فقد ثبت ان للنفس حركات مشابهة تماماً للحركات التي جعلها العلماء من صفات الروح .

وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما كان يُقسم يقول (**والذي نفسُ محمدٍ بيده**)، اي المالك لها المسيطر عليها القادر على اخراجها متى شاء وهذه صفة اخرى من صفات الروح جاءت في الحديث تعبيراً عن النفس . ولم يرد عند الاقدمين ولا التابعين إن النفس تبعث الحركة في الجسد انما كانوا يقولون الروح، مات فلان اي خرجت روحه من جسده .

وبما ان الآيات القرآنية والحديث النبوي قد اظهرا ان النفس تخرج وتعود الى الجسد وتشابهت صفات الروح مع صفات النفس في القرآن والحديث إذاً فالنفس هي الروح لا فرق عندنا بينهما وهما جوهر واحد اذا اتجه نحو العلويات فهو قابل للتنوير والاستيعاب وان إتجه نحو السفليات فهو فاعل بتحريك الاعضاء والحواس نحو الشهوات .

النفس والجسد

دأب الانسان قديماً على ان البشر يهلك ويبلى وهذا كل ما في الامر ولكن الاديان السماوية اكدت على البعث مرة اخرى والحساب على الاعمال التي قام بها العبد وجاء الاسلام -ضمن ايات القرآن الكريم- بتفصيل واحد عن الحياة الاخروية والجنة والشعور بالسعادة فيها وعن النار والشعور بالعذاب والحسرة على ما فات من فرص النجاة .

ولما علمنا ان الجسد يُبلى في التراب والنفس تخرج وتحلق في العالم الاخر وجب ان نثبت ان النفس والجسد شيئان مختلفان قال تعالى : (**ياأيَتُها النَفسُ المُطمئنَةُ ارجِعِي الى ربِّكِ راضيةً مَرضيَةً**)[1]، وهذا يدل على ان النفس راجعة الى العالم الاخر بعد موت الجسد وانها لا تموت بموته وبذلك فهي شيء آخر غيره .

قال تعالى في خلق الانسان :(**ثمَّ خَلقنا النّطفةَ علَقةً فَخلقنا العلَقةَ مُضغةً**

(١) سورة الفجر، الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

فخلقنا المُضغَةَ عِظاماً فكَسَونا العِظامَ لَحماً ثم أنشاناه خَلقاً آخر)[2] .

فلما تكلم الجليل سبحانه عن التحولات الجسدية (نطفة، علقة، مضغة، عظام، لحم) كان الكلام متسلسلاً ولما اراد النفخ فيه قال : (ثم انشاناه خلقاً آخر) فثبت ان النفس شيء آخر غير الجسد .

اذن فالنفس او الروح شيء غير الجسد الذي يبلى بالموت وهو وعاء احتوى النفس وعدّه اهل الطريقة سجنها فاذا إنفلتت منه حلّقت في عالم الملكوت لانها من عالم الامر وليس من عالم الخلق لقوله تعالى : (ويَسالـُونَكَ عَنِ الرّوحِ قـُـلِ الرّوحُ مِنْ أمـرِ ربـّي وما أُوتيِتـُم مِنَ العِلـْمِ إلاّ قلِيلاً)[3] .

وهذا التحليق يعتمد على درجة صفاء النفس ومدى اطاعتها لله وانقيادها لاوامره.

---

(١) سورة (المؤمنون)، الآية ١٤ .

(٢) سورة الاسراء، الآية ٨٥ .

منازل النفسْ في الطريقة

للنفس حالات مختلفة حسب صفاتها ودرجاتها وهي سبع حالات على اعتبار صفاتها يمر بها السالك ويرحل عنها خلال سَيْره الى الله سبحانه وتعالى :

النفس الأمّارة بالسوء

وهي النفس ذات الحُجب الظلمانية وبينّها القران الكريم على انها تأمر بالسوء ولا تأمر صاحبها بفعل الخير مطلقاً قال تعالى : **(وَمَا أُبَرِّىءُ نَفسِي إِنَّ النَّفسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسّوءِ)**[1] .

وقال محمد بن علي السنوسي عن النفس الأمارة بالسوء (وهي صاحبة الجهل والبخل والحرص والكِبر والغضب والشره والشهوة والحسد وسوء الخلق والخوض فيما لا يعني من الكلام وغيره والاستهزاء والبغض والايذاء باليد واللسان لان هذه النفس هي المشار اليها بالخسران، ويمكن التخلص من هذه الآفات بالذكر الكثير القوي وتقليل الطعام او المنام فأن ذلك يضيّق مسالك الشيطان وظهور حقيقة الأيمان)[2] .

والنفس الامارة بالسوء نورها ازرق ومحلها الصدر وعالمها الشهادة وواردها الشريعة وذكرها (لا إله الا الله) وعدد تلاوته مئة الف مرةً وتوجيهه : ألهي اظهر عليَّ بظاهر سلطان لا اله الا الله، لا اله الاّ الله، لا اله الاّ الله، وحقق باطني بحقائق لا اله الاّ الله، لا اله الاّ الله، لا اله الاّ الله، واستغرق فيك ظاهري بأحاطة لا اله الاّ الله ثلاثاً واحفظني اللّهم بك في مراتب وجودك بشهودك وصفاتك بوجهك الحق لا إله الاّ الله ثلاثاً.

النفس اللوّامة

وهذه النفس من صفاتها اللوم والفكر والعجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفي وحُبُّ الشهوة والرياسة ولقد سماها الله سبحانه وتعالى باللوامة لانها تقلب

(١) سورة يوسف، الآية ٥٣ .

(٢) المسالك العشر، محمد بن علي السنوسي .

صاحبها في اكثر احوالها وتفعل ما يخالف امر الله إلا انها رغم هذا ترجع باللوم على ما وقع، قال تعالى: (لا أُقسِمُ بيومِ القِيامةِ. ولا أُقسِمُ بالنَّفسِ اللَّوامةِ)[1]، وقال السنوسي عنها (وهي التي لها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع ولها اعمال صالحة من قيام وصيام وصدقة وغير ذلك من افعال البر لكن يدخل عليها العجب وكذا الرياء الخفي بأن يحب صاحبها أن يطلع الناس على ماهو عليه من الاعمال الصالحة)[2] .

فعلى المُريد الجد والاجتهاد لاستخراج مابقي فيه من أثار النفس الأمارة بالمجاهدة .

والنفس اللوامة نورها اصفر ومحلها القلب وعالمها البرزخ وواردها الطريقة وذكرها (اللّه) وعدد تلاوته مئة الف مرة وتوجه : ياالله، ياالله، ياالله، دلني بك عليك وارزقني الثبات عند وجودك لاكون متقرباً متأدباً به بين يديك ياالله ثلاثاً الهي بعظمتك وجلالك إرزقني حبك ياالله ثلاثاً ألهي واجعل قلب عبدك الضعيف مظهراً لذاتك ومتبعاً لآياتك ياالله ثلاثاً .

النفس المُلهَمة

وهي النفس التي جاهدت حتى مالت الى عالم القدس فأصبحت مستنيرة بحيث الهمها الله تعالى : (ونفسٍ وما سوّاها. فألهمَها فُجُورها وتقواها قدْ أفلَحَ مَنْ زكّاها. وقَدْ خابَ مَنْ دسّاها)[3]، وصفات هذه النفس السخاوة والقناعة والعلم والتواضع والصبر والتحلُّم وتحمل الاذى والعفو عن الناس وحملهم على الصلاح وقبول عذرهم وشهود بأن الله آخذ بناصية كل دابة فلم يبقَ له إعتراض على مخلوق أصلاً ومن صفاتها ايضاً الشوق والهيمان والبكاء والقلق والاعراض عن الخلق والاشتغال بالحق وحب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله)[4] .

والنفس الملهمة نورها احمر محلها الروح وواردها المعرفة وذكرها (هُو) وعدد

(١) سورة القيامة، الآيات ١، ٢ .
(٢) المسالك العشر، محمد بن علي السنوسي .
(٣) سورة الشمس، الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠ .
(٤) رسالة السير والسلوك، احمد الجنيدي الشافعي .

تلاوته مئة الف وتوجهه : يامن هو الله لا اله إلا أنت هُو، هُو، هُو، الهي حقق باطني بسرِّ هويتك وقَمّن متن عناية إنابتي الى هوية ذاتك العلية يامن ليس كمثله شيء إغنني عن كل شيء غيرك وخفف عني ثقلَ كثائفَ الموجودات وإمحُ عني نقطة العزيّة لأشهدكَ ولا ادري غيرك ياهُو،ياهُو، ياهُو لا سواك موجود لا سواك مقصود يا وجود الوجود يالله، ياهُو والحمد لله رب العالمين .

النفسُ المطمَئنة

قال تعالى : (يا أيَتـُها النـفسُ المُطـمَئِنـَةُ) .

قال الامام القشيري في تفسيره عن النفس المطمئنة : الروح المطمئنة الى النفس، ويقال المطمئنة بالمعرفة، ويقال المطمئنة بذكر الله، ويقال المطمئنة بالبشارة بالجنة، وقيل النفس المطمئنة هي الروح الساكنة، وصفات هذه النفس الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء، ومن علامات دخول السالك في هذا المقام التلذذ بالتخلق بأخلاق الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم ولا يطمئن إلاّ باتباع قوله، والحجب في هذا المقام حب الكرامات والاجتهاد في طلبها، فليعلم السالكون ان كل ما سوى الله تعالى فتنة فلا يقف السالك عنده ولا يفكر بسوى الله : (وانَّ الى ربِّكَ المُنتهى)[1] .

(واعلم ان نفس الكرامة ليست شيئاً قبيحاً لأنها اكرام من الله تعالى لعبده ولكن طلبها والميل اليها شيء قبيح قاطع عن حضرة القرب الألهية التي لا تنال الا بالعبودية المودع فيها اسرار الربوبية)[2]، وفي هذا المقام تَعْرِضُ للسالكِ نفسهُ حُبَ الرئاسة والشهرة وتقلد امور المشيخة والارشاد فليحذر لان ذلك من دسائس هذه النفس واذا ما اقامه الله في هذا المقام واشهره والبسه ثوب المشيخة من غير سعي ولا طلب فعليه ان يقوم بأمر الله .

والنفس المطمئنة نورها ابيض ومحلها السر وواردها الحقيقة وذكرها (حي) وعدد

---

(١) سورة النجم، الآية ٤٢ .

(٢) مدراج السالكي، ص١٥٩، محمد هشام .

تلاوته الف مرة وتوجهه : ياحي، ياحي، ياحي، أحيني حياةً طيبة وأسقني من شراب محبتك أعذَبهُ واطيَبهُ الهي حقق حياتي بك ياحي، ياحي، ياحي تحيي روحي بك حياةً أبدية وأمنح سري بسري في الخطرات الشهودية واملأ قلبي بالمعارف الربانية واطلق لساني بالعلوم الربانية، ياحي، ياحي، ياحي .

النفس الراضية

وهي النفس التي ترضى بكل ما يقع في الكون، راضيةً بقضاء الله قال تعالى : (يا أيَّتُها النَّفسُ المُطمئِنَّةُ. ارجِعي الى ربِّكِ راضيةً مرضيةً)[1] ، قال ابن عربي في تفسيره هذه الاية [إرجعي الى ربك : في حال الرضا إذا تم لها كمال الصفات فلا تسكني اليه وارجعي الى الذات في حال الرضا الذي هو كمال المقام والرضا من الله لا يكون إلاّ بعد رضا الله عنها كما قال تعالى :(رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَرَضُوا عنه)][2] .

وقال عنها محمد بن علي السنوسي (وهي صاحبة الفناء الثاني الذي هو محو الصفات البشرية من غير أن يعقبه البقاء في الحال)[3] .

وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله تعالى والاخلاص والورع والنسيان والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير إختلاجٍ ولا توجه لرفع المكروه منه ولا إعتراض أصلاً لأنه مُستغرق في شهود الجمال المطلق وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسر السّر)[4] .

والنفس الراضية نورها اخضر ومحلها سر السر وواردها المعرفة وذكرها (واحد) وعدد تلاوته مئة الف مرة وتوجهه :ياواحد، ياواحد، ياواحد إلهي انت الموجود اجعلني موجوداً بنور وحدانيتك مؤيداً بشهود قرب أنسكِ ياواحد، ياواحد، ياواحد .

---

(١) سورة الفجر، الآيات ٢٧، ٢٨ .

(٢) مدراج السالكين عند الصوفية، محمد هشام، ص١٦٢ .

(٣) المسالك العشر .

(٤) السير والسلوك الى الله، احمد الجنيدي .

النفس المرضية

سميت هذه النفس مرضيةً لانها بعنايات الله مرعية قال تعالى :

(يا ايَتُها النَفسُ المُطمئِنَةُ. ارجعي الى ربِك راضيةً مرضيةً . فادخُلي في عبادي و ادخُلي جَنَتي)[1] .

وصفات هذه النفس، حسن الخلق وترك ما سوى الله تعالى واللطف بالخلق والصفح عن ذنوبهم وحبهم والتقرب إلى الله .

(وسميت بالمرضية لأن الحق تعالى قد رضى عنها، فأخذت ما تحتاج اليه من العلوم من حضرة الحي القيوم ورجعت من عالم الغيب الى عالم الشهادة بأذن الله تعالى لتفيد الخلق مما انعم الله به عليها)[2] .

(ومن صفات السالك وهو في هذا المقام الوفاء بما وعد فلا يخلف وعده أصلاً ويضع كل شيء في موضعه فينفق الكثير إذا صادف محله حتى يظن الجَهول أنه أسرف ويبخل بالقليل اذا لم يصادف محله حتى اذا رآه الجاهل قال هذا بخيل وهذه احوال الكاملين من ارباب القلوب)[3] .

والنفس المرضية نورها اسود ومحلها الاخفاء وليس لها وارد وذكرها (عزيز) وعدد تلاوته مئة الف مرة وتوجهه : ياعزيز، ياعزيز، ياعزيز إجعلني من عبادك الاعزين ياعزيز ثلاثاً الهي اعزني بعزتك واجعلني مكرماً ياعزيز ثلاثاً .

النفس الكاملة

وهي النفس التي لا ترضى بالوقوف عند مقام من المقامات السابقة وانما هدفها كما قال تعالى : (وانَ الى ربِكَ المُنتَهى)[4] .

(وصاحبُ هذا المقام لا يَفْتر عن العبادةِ وذلك إما بجميع البدن او باللسان او

(١) سورة الفجر، الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ .
(٢) مدارج السالكين، ص١٦٥ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) سورة النجم، الآية ٤٢ .

بالقلب وهو كثير الاستغفار كثير التواضع سروره ورضاه في توجه الخلق الى الحق وحبه للحق اكثر من محبة وَلَدِه الذي من صُلبه وهو كثير الاوجاع قليل الحركة ليس في قلبه كراهية لمخلوق من المخلوقات مع انه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويُظهرُ الكراهيةَ لمستحقها ويُظهرُ المحبة لمن هو اهل لها لا تأخذه في الله لومةَ لائم ويضع كل شيءٍ في مَحلهِ يرضى في عين الغضبِ ويغضب في عين الرضا أوجدَهُ الله تعالى وفق مراده وذلك لان مراده مراد الله فاذا اراد شيئاً وطلبه من الله تعالى لا يُخيبه)[1] .

والنفس الكاملة ليس لها نور وعالمها الحيرة ومحلها الخفاء وواردها جميع ما ذكر وذكرها (ودود) وعدد تلاوته مئة الف مرة وتوجهه : ياودود، ياودود، ياودود إجعل قلبي وداً لك ياودود ثلاثاً الهي اعطني وداً في قلبي وقلوب عبادك المؤمنين العارفين ياودود ثلاثاً إلهي اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك وداً واجعل لي في صدور المؤمنين العارفين مودةً إلهي أكفني شر من كفيته وكفايته بيدك ياودود ثلاثاً .

إن هذه الاسماء السبعة هي الاصول ولها فروع ستة فأذا إنتهيت من الاصول السبعة تنتقل الى الفروع واحداً بعد واحد وهي (حق، قهار، قيوم، وهاب، مهيمن، باسط)، وتقرأ بعد التوجه بنفس عدد الاسم في الاصول (مئة الف مرة) فاذا ختمت الاسماء كلها بفروعها تعود مرة اخرى من البداية وهكذا ...

---

(١) مدارج السالكين، ص٦٨ .

العلم والطريقة

ان للعلم منزلة واهمية عظيمة في نظر الاسلام، فهو الاساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع الاسلامي وهو عماده وقوامه، ومن منطلق هذه الاهمية وتلك الفوائد جاء أمر الله سبحانه وتعالى في الحث على العلم والتعلم فكانت اول آية قرآنية نزل بها جبريل عليه السلام هي : (اقرأ بِاسمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ)[1]، وقال تعالى : (هَلْ يَستوِي الذينَ يَعلَمُونَ والذينَ لا يَعلَمُونَ)[2] .

ثم جاء الحديث النبوي الشريف ليرفع من شأن واهمية العلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة)، وقال (اطلب العلم من المهد الى اللحد)، وقال (اطلبوا العلم ولو كان في الصين)، فضرب ذلك مثلاً في بُعد المسافه في ذلك الوقت وتحمل المشاق في سبيل طلب العلم، كما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر ان يعلم كل اسير من قريش عشرةً من المسلمسن القراءة والكتابةلقاء حريته .

يتبين من معنى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ان طلب العلم والتعلم واجب على كل فرد من افراد الامة الاسلامية ذكراً كان ام انثى وبالدرجة الاولى علوم الدين الاسلامي من حقيقة وشريعة، لان اساس الدين الاسلامي الحنيف هو القرآن، والقرآن علم الهي يجمع الكون كله بين طياته فلا بد للمسلم من الالمام بالعلم والتفقه في سبيل استيعاب المباديء والتعليم القرآنية التي هي دستور الاسلام ومَحمَده الاول، والعلوم على نوعين :

أ. العلوم الظاهرية وتشمل جميع العلوم الدينية التي يمكن ان تُدرس وتُعلّم في الكتب اضافة الى العلوم المادية الاخرى كالطب والرياضيات والطبيعيات وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الفضائية .

ب. علوم الطريقة : وهي العلوم الروحية التي لا يمكن ان تكتسب ولا تدرس في الكتب الاّ

---

(١) سورة العلق، الآية ١ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٩ .

عن طريق المصاحبة للشيوخ العارفين والسلوك على ايديهم .

ولما كانت الطريقة الكسنزانية امتداد لرسالة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث للروح الاسلامية فهي تأمر جميع مُريديها بالتزام حلقات العلم وتعمل على بث روح الاجتهاد في التهالك على مناهل العلم والمعرفة بغية فهم اصول الدين الاسلامي واستيعاب مباديء الطريقة .

ان الله سبحانه وتعالى كلّم الانسان في القرآن الكريم مخاطباً عقله ولفت نظره الى اسرار كونية دقيقة لا يمكن للمسلم ان يدركها ما لم يكن متسلحاً بسلاح العلم وقد مدح اقواماً بقوله تعالى : **(ويَتفكّرون في خَلقِ السّموات و الأرضِ ربّنا ما خَلقتَ هذا باطلاً)**[1] .

وذمّ اقواماً أخرين بقوله تعالى : **(انْ هُم الاّ كالأنعام بَلْ هُم اضلُّ سبيلاً)**[2].

ان المسلم اذا ما نظر الى المجموعة الشمسية مثلاً باجرامها ومداراتها ودورانها حسب نظام بديع لا يتخلله نقص او فتور ولا تقديم ولا تأخير ادرك ان هذا من صنع خالق مبدع قدير اودع حكمته في مخلوقاته وجعل فيها اشارات تدل على وجوده وعظمته، وان كل هذا التنسيق ليس من قبيل الصدفة او عمل الطبيعة الخرساء كما يدعي بعض المفكرين من الطبيعيين والماديين : **(سَنُريهُم آياتنا في الآفاقِ وفي انفُسِهِم)**[3] .

ولا يدرك هذه الحقيقة الاّ اهل العلم والبصيرة والتجربة، فعلوم الله سبحانه وتعالى موجودة منذ الازل ولكنه سبحانه وتعالى يظهر ما يشاء اظهاره منها على ايدي من يشاء، وما الاكتشافات التي تتم على ايد العلماء الاّ اشياء كانت منذ القدم في علم الله سبحانه وتعالى وكان العالمُ سبباً في تركيبها –وليس خلقها– واظهارها للناس عندما شاء الله سبحانه وتعالى ان يظهر هذا الاكتشاف لفائدة تَعُم البشر . فالعلم سلاح المؤمن الذي اوجده الله سبحانه وتعالى من العدم لعباده ودعاهم الى السعي لامتلاكه، وكذلك فأن اهل

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩١ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٤٤ .

(٣) سورة فصلت، الآية ٥٣ .

الطريقة منذ البداية يؤكدون على ضرورة العلم للمُريد السالك، قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره تعلموا العلم فأن فيه خيراً، تعلموا واعملوا حتى تنتفعوا بالعلم، العلم كالسيف والعمل كاليد، سيف بلا يد لا يقطع واليد بلا سيف لا تقطع)[1] .

---

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، الناشر الشيخ محمد الكسنزاني .

الامــام عــلـي عليــه الســلام

ان لآل البيت النبوي الشريف منزلة عظيمة عند الله ورسوله وقد انحصر آل البيت في نسل الامام علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام وذلك عندما نزلت آية المباهلة : (**فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفُسَنا وانفُسَكُم ثُمَّ نبتَهِل فنجْعَل لعنةَ اللهِ على الكاذبينَ**)[1] .

قال الرازي في التفسير الكبير (وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه مِرطٌ من شعر اسود وقد احتَضَنَ الحسين وأخذ بيده الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليٌّ خلفها وهو يقول لهم إذا أنا دعوت فأمّنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلاً لازاله بها فلا تُباهلوهم فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة)[2] .

وعن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**من ابغضنا اهل البيت فهو منافق**) .

وروى الزهري قال لما حج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الودا ع قام بغدير خم عند الهاجرة فقال من خطبةٍ طويلة (**إن الله سائلكم كيف خلفتموني في كتابه وفي اهل بيتي، ثم قال ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين،** قالوا الله ورسوله اولى بالمؤمنين يقول ذلك ثلاث مرات ثم قال في الرابعة وقد اخذ بيد علي بن ابي طالب **اللّهم من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**)[3] .

وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (**اربعة انا لهم شفيع يوم القيامة المُكرِم لذريتي والقاضي حوائجهم والساعي لهم في امورهم عندما اضطروا اليه والمحب لهم بقلبه ولسانه**)[4] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١ .

(٢) الحديث ذكره المفسرون والمحدثون واهل السير والاخبار وكل من ارخ حوادث السنةِ العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة .

(٣) كشف الغمة في معرفة الائمة .

(٤) كشف الغمة في معرفة الائمة .

وقال صلى اللّه تعالى عليه وسلم للامام علي حينما توجه الي تبوك وخلّفه في المدينة (**انت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ إنه لا نبي بعدي**)[1] .

ولقد علم المسلمون عامة، الاوائل منهم والاواخر منزلة الامام *علي بن ابي طالب* عليه السلام عند الله ورسوله فقد اختاره الله من بين رجال الأمة كما اختار زوجته السيدة فاطمة الزهراء وفضلها على نساء العالمين واختار ولديه *الحسن والحسين* عليهما السلام وجعلهما ائمةً في الدنيا وسيدي شباب اهل الجنة وجعل الولاية متسلسلة في ذرياتهم .

وعن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال (انا اول من صلى مع رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم) .

وعن انس بن مالك ان النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم كان عنده طائر فقال **اللهم إئتني بأحب خلقك اليك ياكل معي من هذا الطير،** فجاء علي بن ابي طالب فاكل.

وعن الامام علي عليه السلام قال، قال لي رسول ألله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**الا اعلمك كلمات اذا قلتهن غفر لك مع انه مغفور لك تقول لا اله الا الله الحليم الكريم لا اِله الا الله العلي العظيم الحمد لله رب العالمين**)[2] .

وعن الامام الحسن عليه السلام ان الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال يوم خيبر (**لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فيقاتل وجبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره ثم لا ترد رايته حتى يفتح الله عليه**)[3] .

وعن الامام علي عليه السلام قال، قال لي رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**انت وليُ كل مؤمن و مؤمنة بعدي**)[4] .

وقال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم لما اعطى الراية للامام علي بن ابي

---

(١) مسند بن حنبل ص٦٣، ج١ .

(٢) خصائص امير المؤمنين علي، ص٦٥، النسائي تحقيق محمد هادي الاميني .

(٣) المصدر نفسه، ص٦١ .

(٤) المصدر نفسه، ص٦٤ .

طالب (اللهم اكفه اذى الحر والبرد)[1]، قال الامام فما وجدتُ حراً بعد ذلك ولا برداً .

وقال البغوي في معجمه عن بُريدة ان النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال (ان لكل نبي وصي ووارث وان علياً وصيي ووارثي)[2] .

الامام علي عليه السلام إمام اهل الطريقه

الى الامام *علي عليه السلام* ينتسب جميع اهل الطريقة فهو استاذهم واليه تعود جميع الطرق الصوفية حتى قيل عنه بحر الطرائق وقد اشاد بذلك ائمة ومشايخ الصوفية فقد قال ابن عجيبة (اما واضع هذا العلم فهو النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم علمه اللّه إياه بالوحي والالهام فنزل جبريل عليه السلام اولاً بالشريعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضاً دون بعض واول من تكلم فيها واظهرها سيدنا *الامام علي* كرم *الله وجهه* واخذ عنه الحسن البصري)[3] .

وقال العارف الحراق في شرح الحِكم (اول من تكلم في هذا العلم واظهره سيدنا على رضي الله عنه ثم اخذ عنه اول الاقطاب سيدنا *الحسن* ولده)[4] .

وقال ابو العباس احمد بن يوسف في كتاب المنح الصافية (قال بعض الشيوخ رضي الله عنهم في حق علي عليه السلام انه اعطي العلم اللدني ولا تصح النسبة الى الولاية التي هي منبع الولاية الحقيقية والمعارف الألهية الا من جهته وحقيقته فهو امام الاولياء المحمديين كلهم وأصلهم ومنشأ انتسابهم الى الحضرة المحمدية ومظهر نور الولاية المحمدية حين إنشق قمر النبوة والولاية المندرج احدهما في الآخر)[5] .

وقال الجنيد البغدادي قدس الله سره (صاحبنا في هذا الامر بعد النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذلك امرؤ إعطي عِلماً لَدُناً)[6] .

---

(١) خصائص امير المؤمنين علي، ص٦٥، النسائي تحقيق محمد هادي الاميني ص ٩٥ .
(٢) البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية، لعلي، ص٧٠ .
(٣) البرهان الجلي، ص٦٤ .
(٤) المصدر نفسه، ص٦٤ .
(٥) المصدر نفسه، ص٦٤ .
(٦) البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية الى علي .

وقال ابن عربي (مولانا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه هو إمام الصوفية رضي الله عنه وعنهم وهو اكبرهم وهو قطبهم)[1] .

وقال الحرّالي (سلسلة اهل الطريق تنتهي من جهة المشايخ والمُريدين الى اهل البيت فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها الى تاج العارفين ابي القاسم الجُنيد وبداية ابي القاسم اخذها عن خاله السري والسري إئتم بمعروف ومعروف مولى علي بن موسى وهو عن ابائه* رضي الله عنهم فرجع الكل الى علي (اولئك حزب اللّه)[2] .

مناقبه عليه السلام

قال الزمخشري للامام علي كرم الله وجهه عشر مناقب لم ينلها غيره وإنما اختص بها وحده :

١- انه اول من اسلم من الصبيان واول من يدخل الجنة في هذه الامة قال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم **(ياعلي انك اول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي)** .

٢- انه المتخلف الامين على الودائع من قبل رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم في وقت الهجرة .

٣- انه من الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى إلا النبوه كما ورد في الحديث .

٤- إن الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم آخاه عندما آخى بين الانصار والمهاجرين فقال له انت اخي وصاحبي في الدنيا والآخره .

٥- انه الممدوح بالسيادة لما روي عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه قال لفاطمة رضي الله عنها **(زوجك سيدٌ في الدنيا والآخرة)** .

٦- انه ولي الله وولي رسوله وولي المؤمنين لما نزل في حقه من القرآن الكريم بقوله تعالى: **(إنَّما وليكُمُ اللّهُ ورسولُهُ والذينَ آمنُوا الذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتونَ**

(١، ٢) البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية الى علي .

* واباؤه هم الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب (عليهم السلام) .

الزكاةَ وهُم راكعونَ)[1] .

٧- انه اقضى الصحابة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**اقضاكم علي**) .

٨- انه محبوب المؤمنين ومبغوض المنافقين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم للأمام علي (**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**) .

٩- إنه ذو الأذُن الواعية لما روي عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما نزلت (**وتَعيها أذُنٌ واعِيةٌ**) قال سألت الله ان يجعلها أُذنك ياعلي .

١٠- انه جمع ثلاث مفاخر لم تجمع لأحد سواه وذلك لما روي عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال له (**ياعلي أعطيت ثلاثاً لم يعطها احد غيرك : صهراً مثلي وزوجةً مثل فاطمة وولدين مثل الحسن والحسين**) .

وروي عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لما غزا تبوك استخلف علياً على المدينة فلما نصر الله المسلمين وغنموا اموال المشركين جلس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم السهام فدفع للامام علي سهمين فقام احد الصحابة وقال يا رسول الله أوحيٌ من السماء ام امرٌ من نفسك ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انشدتكم الله هل رأيتم في رأس ميمنتكم صاحب الفرس الاغر المُحجل والعمامة الخضراء لها ذؤبتان مرخاتان على كتفيه، بيده حَربةٍ وقد حمل على الميمنة فأزالها وحمل على الميسرة فأزالها وحمل على القلب فأزاله ؟ قالو نعم لقد رأينا ذلك قال هو جبريل وانه امرني ان ادفعَ بسهمه لعلي)[2] .

وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (**مبارزة علي في يوم الخندق تعادل اعمال الناس الى يوم القيامة**) .

منزلته العلمية

لقد كان للامام علي عليه السلام منذ البداية منزلة رفيعة وخصوصية خاصة تقدم بها على باقي الصحابة الكرام لسابق عناية به من الله سبحانه وتعالى فكان علماً بارزاً

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥ .

(٢) علي امام المتقين ج١، عبد الرحمن شرقاوي .

من اعلام الدين الاسلامي فهو وارث علم النبوة وكاتب وحيها وكاتم سرها *، وهو بحر العلوم وله سرعة ودقة في الاجابة عن الاسئلة التي تعجز الافكار وتحير العقول فقد قال له رجل يا امير المؤمنين كم المسافة بين المشرق والمغرب ؟ فقال مسير يوم مشمس .

وقيل له لو سُد على رجل باب بيته وترك فيه من اين يأتيه رزقه ؟ فقال من حيث يأتيه أجله .

وسأله رجلٌ كم المسافة بين السماء والارض ؟ فقال دعوة مستجابة .

وقيل له صف لنا العاقل ؟ فقال هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل لهُ صف لنا الجاهل فقال قد فعلت .

وسأل ماالفرق بين الحق والباطل ؟ فقال اربعة اصابع، وجمع اصابعه الأربعة ووضعها بين إذنه وعينه .

ولما اراد المسير الى الخوارج قال له ابن الاحمر يا أمير المؤمنين لا تسِر في هذه الساعة ؟ فقال ولِمَ ؟ قال لأن القمر في العقرب، فقال عليه السلام قمرنا ام قمرهم ؟!

وسئل عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام فقال آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى .

وسئل ما هو اصل الاشياء ؟ فقال الماء لقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)[1] .

وسئل عن الايمان فقال الايمان على اربعة دعائم، (الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم وصف الصبر على عشر مقامات وكذلك اليقين والعدل والجهاد وصف كل واحد منها على عشر مقامات فهو اول من تكلم في الاحوال والمقامات)[2] .

وعن ابن مسعود قال كنت عند النبي فسئل عن علي بن ابي طالب فقال **(قُسمت الحكمة عشرة اجزاء فاعطي عليٌ تسعة اجزاء والناس جزءاً واحداً)**[3] .

---

* ومعلوم ان حُذيفة بن اليمان كان كاتم سر النبي ايضاً وقد خصه صلى الله تعالى عليه وسلم بأسماء المنافقين في المدينة

(١) في رحاب الامام علي، محمد رضا الخفاجي، ص٣٤-٣٥ .

(٢) البرهان الجلي، ص٦٠ .

(٣) البرهان الجلي، ص٧٤ .

وقال له يهودي اسألك مسائل لا يعلمها الا نبي او وصي نبي فقال قل فقال اليهودي اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله ؟

فقال الامام اما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود ان العُزير بن الله والله لا يعلم ان له ولداً واما قولك اخبرني عما ليس عند الله فليس عند الله ظلم العباد واما قولك اخبرني عما ليس لله فليس لله شريك فقال اليهودي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله .

وقال الامام علي لو كَسرتُ الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بأنجيلهم وبين اهل الزبور بزورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم واللهِ مامن آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سماء او أرض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء نزلت)[1] .

ومِن مبلغ علمه انه خطب خطبةً خاليةً من الالف واخرى خالية من النقط حيث كان عند رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فتكلم القوم عن اهمية الالف في اللغة فقام الامام علي فقال (حَمدَتُ وعظمتُ من عَظُمتْ منته وسَبُغتْ نعمته وسَبقت رحمته غضبه وتمت كلمته ونفذت مشيئته)[2]، وقال في موضع آخر خطبة خالية من النقط (الحمد لله اهل الحمد ومأواه وله أوكد الحمد واحلاه واسرع الحمد واسراه واطهر الحمد واسماه واكرم الحمد وأولاه)[3] .

ما قاله الامام عليه السلام من الحِكَم

لم يكن الامام علي حكيم زمانه فحسب وانما خَلُدتْ كلماته وحكمه على مر الزمن بحراً لا يخاض وحكيماً فذاً لا يُجارى وقد إخترنا من حكمه الكثيرة نزراً اقل من القليل للاشادة فقط حيث قال :

١- الجاهل صغير وان كان شيخاً والعالم كبير وان كان حدثاً .

٢- الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرءٍ ما يُحسن فتكلموا في العلم تبين اقداركم .

(١) البرهان الجلي، ص٩٣ .

(٢) في رحاب الامام علي ص٢١، محمد رضا الخفاجي .

(٣) المصدر نفسه .

٣- ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمناً .

٤- الولد العاق كالأصبع الزائدة إن تُركت شانت وإن قُطعت آلمت .

٥- إحتج الى من شئت تكن اسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحسن الى من شئت تكن اميره .

٦- اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة .

٧- الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب .

٨- جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى قيام الساعة .

ما قيل في حق الامام علي عليه السلام

قال الكثير من الكتاب والدارسين اراءاً كثيرةً في حق الامام علي عليه السلام فقد قال عنه توماس كارليل في كتاب الابطال (اما عليٌ فلا يسعنا الا ان نحبه ونتعشقه فإنه فتى كبير النفس جليل القدر يفيض وجدانه رحمةً وبراً ويتلظى فؤاده نجدةً وحماسة وكان اشجع من ليث ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف)[١] .

وقال الكاتب أحمد حسن الزيات (ولا نعلم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن سلف وخلف افصح من علي في المنطق)[٢] .

وقال الشيخ محمد عبده (اذا اردت ان تكون كاتباً فذاً فخذ الامام علي عليه السلام استاذاً واتخذ اقواله الدريه في ظلمات ليلك نبراساً)[٣] .

وقال ابراهيم اليازجي (ما اتقنت الكتابة إلا بدرس القرآن الكريم ونهج البلاغة القويم فهما كنز العربية لا ينفد وذخيرتهما للمتأدب، وهيهات أن يظفر أديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة إن لم يحيي لياليه سهراً في مطالعتها)[٤] .

وقال عبد الله بن عباس -وهو حبر الامة- (إن كل ما عندنا من علم التفسير ومتعلقاته مأخوذة من علي عليه السلام وإننا كنقطةٍ من بحر علمه)[٥] .

---

(١) نقلاً من كتاب في رحاب الامام، محمد رضا الخفاجي، ص١٨ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٩ .
(٣) المصدر نفسه، ص٢٠ .
(٤) المصدر نفسه، ص٢٠ .
(٥) البرهان الجلي، ص٨٩ .

وقال جبران خليل جبران وفي عقيدتي ان ابن ابي طالب كان اول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها، وهو اول عربي تناولت شفتاه صدى اغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم، فمن اعجب بها كان اعجابه موثوقاً بالفطره، ومن خاصمه كان من ابناء الجاهلية . مات علي بن ابي طالب شهيد عظمته، مات والصلات بين شفتيه مات وفي قلبه الشوق الى ربه . ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس اناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى، مات قبل ان يبلّغ العالم رسالته كاملة وافية غير انني اتمثله مبتسماً قبل ان يغمض عينيه من هذه الارض، مات شأن جميع الانبياء الباصرين الذين يأتون الى بلد ليس بزمنهم ولكن لربك شأناً في ذلك وهو اعلم .

وقال البارون كاراديغو، في مؤلفه (مفكرو الاسلام) المؤلف باللغة الفرنسية وعليّ ذلك البطل الموجع المتألم، والفارس الصوفي، والامام الشهيد ذو الروح العميقة القرار التي يكمن في مطاويها سر العذاب الالهي .

وقال الاستاذ شبلي الشُميل الامام *علي بن ابي طالب*، عظيم العظماء، نسخة مفردة لم يَرَ لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الاصل لا قديماً ولا حديثاً .

وقال فيه الشاعر بولس سلامة :

كان رَبُّ الكلامِ من بَعدِ طه	واخاه وَصِهْرَه والوصيّا
بطلَ السيفِ والتقى والسجايا	ما رَأتْ مثلَهُ الرماحُ كَميّا
ياسَماءُ اشهَدي ويا ارضُ قَرّي	واخشَعي إنني ارَدْتُ عَلَيّا

وقال الاستاذ ميخائيل نعيمه وبطولات الامام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه وسحر بيانه، وعمق انسانيته، وحرارة إيمانه، وسمو دعته، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم وتعبده للحق أينما تجلى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد لا تزال مقلعاً غنياً نعود اليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد الى بناء حياة صالحة فاضلة .

وقال جورج سجعان جرداق وسواءً لدى الحقيقة والتاريخ أعَرِفَ هذا العظيم ام

لم تعرفه فالتاريخ والحقيقة يشهدان انه الضمير العملاق الشهيد ابو الشهداء علي بن ابي طالب صوت العدالة الانسانية وشخصية الشرق الخالدة !

وماذا عليك يادنيا لو حشدتِ قواكِ فأُعطيتِ في كل زمن علياً بعقلهِ وقلبهِ ولسانهِ وذي فقاره !! .

كراماتــه

* روي انه عليه السلام لما اراد ان يعبر الفرات ببابل واشتغل كثير من اصحابه بتعبير دوابهم فصلى الامام صلاة العصر مع طائفة منهم وفاتت الجمهور الاكبر تلك الصلاة فتكلموا في ذلك فلما سمع سأل الله ان يرد الشمس عليهم فأجابه الله تعالى وعادت لحالها وقت العصر فصلى الجميع ولما سلَّم بالقوم غابت وسمع لها صوت هال الناس فاكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار .

* وقاضى رجلاً أتُهم بنقل الاخبار الى معاوية فأنكر الرجل فقال له الامام لتحلفُّن أنك ما فعلت فقال نعم ثم قال الامام علي ان كنت كاذباً اعمى الله بصرك فما دارت عليه جمعة حتى عَميَ .

* ولما ركب الى الخوارج بعد ان اجتمعوا على قتاله لقيه فارس فقال يا أمير المؤمنين انهم عبروا النهر فقال انت رأيتهم عبروا النهر فقال نعم فقال عليه السلام والذي بعث محمداً صلى اللّه تعالى عليه وسلم لا يَعبرون ولا يبلغون قصر بنت كسرى حتى تُقَتلْ مقاتلتهم على يدي فلا يبقى منهم الا اقل من عشرة ولا يقتل من اصحابي الا اقل من عشرة فكان كما قال عليه السلام .

* وروى الحافظ محي الدين النجار عن اسماء بنت عُميس قالت سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول فزعت ليلةً في فراشي حيث سمعت الارض تحدث علياً بن ابي طالب ويحدثها فأصبحت وانا فزعةٌ فأخبرت والدي صلى اللّه تعالى عليه وسلم فسجد سجدةً طويلة ثم رفع رأسه وقال يافاطمة إبشري بطيب النسل فأن الله فضل بعلك على سائر خلقهِ وامر الارض ان تحدثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرقها الى غربها .

* روى الحسن بن ذكردان الفارسي قال كنت مع امير المؤمنين علي فشكى اليه الناس زيادة نهر الفرات وإغراق مزروعاتهم فدخل بيته ثم خرج وعليهَ جُبَّة رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وعمامته وبيده قضيب فدعا بفرسه فركب ومضى ومعه اولاده والناس حتى وقف على الفرات فنزل عن فرسه وصلى ركعتين ثم قام واخذ القضيب بيده ومشى على الجسر وليس معه سوى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام فأهوى الى الماء بالقضيب فنقص ذراعاً فقال ايكفيكم ؟ فقالوا لا يا امير المؤمنين فأعاد المرة تلو المرة حتى قالوا حسبنا يا امير المؤمنين فركب فرسه وعاد الى منزله.

* وذهب ذات يوم عليه السلام الى السوق لشراء بعض الحاجات فرأى بعض الفقراء يستعطونه فأعطاهم كل ما كان يملك قبل ان يصل الى السوق وبعد ذلك مرَّ به رجلٌ يسوق جملاً فعرض على سيدنا علي شراء ذلك الجمل فقال الامام اريد شراءه ولكني لا املك ثمنه الان فهل تمهلني ريثما يفتح الله عليَّ فأخذ البعير وسار به نحو السوق فرأى رجلاً آخر فقال ياعلي اتبيع لي هذا الجمل قال نعم فأعطاه ثمنه نقداً فأشترى الامام بعض حاجياته التي جاء من اجلها واحتفظ بالباقي ثم عاد الى البيت فقص الحكاية على اهل بيته ولما بلغ ذلك الى الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال يا علي الرجل الاول كان جبريل عليه السلام والثاني كان ميكائيل عليه السلام .

الخلود في الطريقة

لما بُعث الانسان في الحياة الدنيا وذاق طعمها والتلذ بحلاوتها كَرهَ الموت واحب الخلود فيها فراح يفكر في وسيلة للحفاظ على حياته الدنيا واستمرارها بعيدة عن الموت والفناء . وكان الاسكندر (ذو القرنين) واحداً من الافذاذ الذين بذلوا جهوداً كبيرةً لبلوغ ماء الحياة (الخلود) حتى انه قطع المسافات والمسافات ومشى سنين طوال نحو مغربستان للوصول الى هذه الحقيقة ولكنه توفي اثر ذلك ولم يبلغ ما اراده. ولم تخلُ البشرية ممن جاء بعد الاسكندر او قبله من التفكير والمحاولة في البحث عن الخلود ولكنها باءت بالفشل حتى بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بالاسلام موضحاً خلود الانسان في الدارين وبقاءه حياً حياة ابدية عن طريقين :

الاول : الشهادة في سبيل الله : وهي بذل النفس خالصة في سبيل الله دون اية غاية ذاتية او مادية وانما لاجل اعلاء كلمة الحق عالية فيكون الانسان بائعاً نفسه لله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)**[1]، فيخلد ذلك الانسان ويكون حياً في الدنيا والاخرة، **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)**[2] .

الثاني : الطريقة (العبادة) : في غمرة انشغال الانسان بالدنيا وزخرفها لا يذكر الموت إلا حينما يداهمه الكبر والهرم ويشعر بحقيقة فنائه ودنو أجله، ولكن العقلاء من اهل الطريقة فكروا بالموت قبل مجيئه فبدأوا بالعبادات والرياضات الروحية والزهد والتقوى والابتعاد عن ملذات الدنيا ومغرياتها فتحقق لهم الوصول الى الله تبارك وتعالى فرأوا بأعينهم حقيقة الخلود واطمأنوا بأنهم لن يموتوا : **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**[3]، لأن من

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩ .

(٣) سورة يونس، الآية ٦٢ .

راى بعينه لا يخاف بعد ذلك ولا يكون حزيناً فلا يهمه الجوع والعطش ولا مال الدنيا وزخرفها ولا يخاف من الآخرة لانه راى ما رأى وحظي بلقاء ربّه وفني فيه لان الله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان عبثاً : (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**)[1]، ويكون شاخصاً في الدنيا والآخرة لان حياته ومماته سواء : (**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**)[2]، فقد رأى بعينه الدنيا والآخرة ووصل الى الحقيقة وماء الحياة الابدي قال تعالى : (**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**)[3]، ومثال ذلك الانبياء والاولياء الذين لا تبلى اجسادهم في التراب وكذلك سيدنا الخضر عليه السلام علّمه الله سبحانه وتعالى العلم اللدني فأصبح حياً الى يوم الدين، فالعابد السالك في طريق الصوفية المتفاني في الله سبحانه وتعالى يكتسب صفاته الخارقة من قدرة وبصيرة وعلم وغير ذلك قال تعالى في الحديث القدسي (**عبدي اطعني تكن مثلي، اذا قلتَ لشيء كن فيكون**)، اي انه صار خالداً وحياً لايعتريه الموت والفناء وانما يكون انتقاله من عالم الى عالم قال تعالى : (**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**)[4]، فالسلطان هو محبة الله ورسوله والمداومة على ذكر الله والاستغراق في ذاته وصفاته حتى يبلغ مبلغ الرجال ويكون في مصافي العظام ويلبسونه لباس الحق ويُفنى الموت امامه ويذوب فهو يعانق عالم الحق والحق يعانقه والخلود والشهود محيطان به .

---

(١) سورة (المؤمنون)، الآية ١١٥ .

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢١ .

(٣) سورة الحجر، الآية ٦٩ .

(٤) سورة الرحمن، الآية ٣٣ .

المــرأة فــي الطريقــة

قال تعالى : (ياأيّـهـا النـاسُ إنّـا خلقنـاكُم مـن ذكرٍ وأُنثى وجعلنـاكُم شعوباً وقبائلَ لِتعارفـُوا إنّ أكرمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم)[1].

منذ البداية لم يفرق الاسلام بين المرأة والرجل الا بالعمل الصالح اي تقوى الله سبحانه وتعالى، ولقد كان اداء حقوق المرأة ووضعها في المكان اللائق بها واحترام رسالة الامومة التي تحملها من الامور التي اخذها الاسلام بعين الاعتبار وعاب على الجاهلية امتهان المرأة وغبن حقوقها في حرية الرأي والمشاركة ولقد استحقت السيدة خديجة لقب سيدة نساء قريش لانها جمعت الى جانب النسب العريق الطهر والعلم والتقوى، وكان لها دور كبير في اسناد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بنشر الدعوة الاسلامية بكل ما تملك من غالٍ وثمين فأصبحت بما بذلته من جهود مضنية في سبيل ترسيخ عقيدة التوحيد عضواً فعالاً وامرأة مشاركة بكل جوارحها مع الرجال المسلمين في ميدان العمل في الجهاد . وكذا كانت الزهراء عليها السلام فقد واكبت مسيرة الرسالة المحمدية وتفتحت عيناها على الوحي ونور النبوة فلازمت اباها صلى الله تعالى عليه وسلم ايمانا وعقيدة وعاشت الاحداث الساخنة وشهدت المصاعب والاحزان وكانت في بيتها مثالا رائعاً للمرأة المؤمنة التقية عبادة وتسبيحاً وجهاداً وصبراً، وكانت هي والسيدة عائشة من اصدق رواة الحديث النبوي الشريف اسوة بالصحابة رواة الحديث فأستحقت بذلك لقب سيدة نساء العالمين، كيف لا ؟ وهي ابنة رسول الله وقرة عينه وهو القائل عنها **(فاطمة بضعة مني حبها حبي وبغضها بغضي)** .

وكذلك الامر مع نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كنا مؤمنات حاملات تعاليم الدين الاسلامي الى نساء المسلمين وكانت لهن تسابيح كثيرة وكن يستعملن الحصى والنُوى في التسبيح ولقد تعرضن الى الاختبار الشديد حين خيرن بين الله ورسوله وبين زخرف الدنيا فنجحن كلهن في الاختبار حين اخترن الله ورسوله فاستحقن

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

بذلك لقب امهات المؤمنين : (يا ايُّها النَّبيُّ قُلْ لأزواجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنيا وزينَتَها فتَعالَيْنَ أُمَتِّعكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَميلاً)[1] .

وكانت المرأة المسلمة مجاهدة صابرة متحملة الاذى مع زوجها ايمانا منها بصدق الرسالة المحمدية كما هاجرت الكثير من النساء مع ازواجهن من مكة فراراً بالدين الحنيف وكانت من المهاجرات السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث هاجرت الى الحبشة مع زوجها سيدنا عثمان بن عفان، كما كانت المرأة المسلمة من السباقين في التضحية والجهاد في سبيل الله فكانت سمية اول شهيدة في الاسلام وكانت نسيبة الانصارية وخولة بنت الازور وغيرهن كثيرات من النساء اللواتي قدمن الكثير من التضحيات في سبيل الله .

ولقد كان القرآن الكريم ومنذ بدايته لا يفرق بين المرأة والرجل الا بالتقوى ويذكرها الى جانب الرجل قال تعالى : (وَمَنْ يَعمَلْ مِنَ الصالحاتِ مِنْ ذكرٍ أو أُنثى وَهُوَ مُؤمنٌ فأُولئِكَ يَدخلونَ الجنَّةَ)[2]. وقال تعالى: (والحافِظينَ فُروجَهُم والحافظاتِ والذاكِرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللهُ لَهُم مغفرةً وأجراً عظيماً)[3]. وقال تعالى :(فَبايِعهُنَّ واستَغفِرْ لَهُنَّ اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ)[4].

وان من الحقائق الجلية الثابتة بالتجربة والتي لا ينكرها عارف ان حقيقة الطريقة الكسنزانية هي اتباع المنهج الروحي الكامل للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهي ليست طائفة دينية او فرقة سياسية، بل هي نواة الاسلام ومنطلقه الحقيقي ورافده الذي لا ينضب .

ولما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمثل القرآن في كل صفاته وحركاته واعماله الجليلة فصار قرآناً ناطقاً كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خُلق رسول الله تعالى عليه وسلم فأجابت «كان خُلقه القرآن» ، اذن فالطريقة العلية القادرية الكسنزانية هي تطبيق عملي وروحي لنصوص القرآن بكل جوانبها،

(١) سورة الاحزاب، الآية ٢٨ .
(٢) سورة النساء، الآية ١٢٤ .
(٣) سورة الاحزاب، الآية ٣٥.
(٤) سورة الممتحنة، الآية ١٢.

فالطريقة وبصفتها تمثل القرآن اعطت للمرأة مكانتها الخاصة ودورها المشرف في مشاركة الرجل في تكوين الاسرة وتهذيبها على القيم العليا ومبادئ الاسلام السامية وحماية حقوقها وضمان امنها .

ان الرباط المقدس الذي يربط بين الزوجين على اساس ثابت من التفاهم وحرية الاختيار والرغبة تعده الطريقة الكسنزانية الاساس الاول في انجاح الزواج القائم على اساس الرغبة في تطبيق سُنة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم حفظاً للنوع واستمرار العبودية لله جل وعلا وليس لتحقيق الرغبات الشهوانية لفترة معينة ثم يتم التفريق على اساس اتفاق مسبق ، لان مثل هذه الاعمال المشينة موقوفة وملغية شرعاً وقانوناً وعرفاً ولا تخدم الاسلام ، بل تسيئ الى كرامة المرأة وتحط من قدرها وهي النصف الثاني للمجتمع .

اذ أن للمرأة دوراً تربوياً متميزاً فهي أحد الاعمدة الاساسية التي يقوم بها كيان الاسرة الاسلامية والتي تعدها الطريقة المنطلق الاول لتربية الاجيال المسلمة وهي المدرسة التي تتخرج فيها افواج من الرجال المؤمنين المسلحين بسلاح الايمان فمنهم المجاهدون والعلماء والفقهاء الفاضلون، ومنهم القواد والفرسان الابطال الذين فتح الله على ايديهم الممالك والامصار، وإن المرأة المسلمة اذا تشبعت بمبادىء الاسلام وقيمه ومثله وتعاليمه الرفيعة تكون هي النموذج الاعلى والقدوة المثلى فتنعكس آثارها الايجابية جلية واضحة في ابنائها وبناتها في محيط اسرتها الملتزمة المرتبطة بهدي دينها القويم دين الاسلام الحنيف مكونة اسرة حضارية حاملة اخلاقا فاضلة تحقق السلام والطمأنينة وحياة سعيدة متأخية متعاونة في مجتمع اسلامي موحد تنشده الطريقة وتعده هدفاً من أهدافها السامية لتحقيق التقدم الحضاري والانساني على جميع المستويات وفي مختلف المجالات.

يظهر من خلال ذلك ان هدف الطريقة ودورها المشرف هو تكوين اسرة صحيحة قوية البنيان ثابتة الاساس ولا يتم ذلك الا عن طريق المرأة الفاضلة المتحلية بالجوانب الروحية الاسلامية التي تجعل منها نوراً ساطعاً يضيء الطريق لابناء اسرتها وتوجيهه

الوجهة المستقيمة العادلة التي اختارها الله تبارك وتعالى لبني البشر لاداء ما كلفوا به من تحقيق رسالة الخلافة في الارض . ولقد استمرت المرأة المسلمة اضافة الى حمل رسالة الامومة عابدة ربها مؤمنة برسالة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبرزت نسوة تميزن عن غيرهن في الايمان والعقيدة وسلكن طريق الصوفية كرابعة العدوية ورابعة الشامية ومعاذة العدوية وغيرهن كثيرات كل واحدة منهن كانت صاحبة احوال ومقامات ومكاشفات ومشاهدات وبرزت من بينهن رابعة العدوية التي تعد اول امرأة في العصر الاموي صدحت بالعشق الالهي وسمت بروحها فوق عالم الماديات فاصبحت حديث الناس لا في ارض الرافدين فقط وانما في كل زمن وفي كُلّ مكان من العالم يذكر فيه اهل الورع والتقوى والزهد والعبادة، ولقد اثبتت رابعة العدوية وقريناتها السالكات طريق الحق ان المرأة بإخلاصها وطهرها وشفافيتها تستطيع ان تفوق كثيراً من الرجال البارزين في العلم والمعرفة والتقوى والورع وأن تكون لها الاولوية في نيل الدرجات في مضمار سباق التقرب من حضرة الجليل سبحانه وتعالى ولم تتوقف المرأة في سلوكها الطريق القويم عند رابعة العدوية وقريناتها بل ظلت مسيرة المرأة الصوفية مستمرة جيلاً بعد جيل وحملت راية الطهر والعفاف والمنافسة المشروعة في نيل درجات العلا نساء كثيرات ممن سمت ارواحهن وزكت انفسهن وعفت السنتهن عن المآثم فوقفن شامخات راسيات امام اعاصير زخرف الحياة ورياح النفس الامارة بالسوء فكان حبهن لله رفيعاً عبقاً بالتقوى متلألأ بالورع ممزوجاً بالاشواق السابحة في عالم الملكوت، وهكذا الامر مع المرأة الكسنزانية فلقد كانت ولا زالت حضها وافر وقلبها ظافر بحب الله عامر بالايمان تعبد وتذكر وتترقى في الدرجات والى جانب ذلك فهي ترشد وتربي المُريدات وتدير التكايا وتتصدر حلقات التعليم الديني وذلك لما اتصفت به الطريقة الكسنزانية بأنها امتداد لرسالة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث للروح الاسلامية من جديد، فأنها لم تكن تفرق بين الذكور والاناث وتعطي لكل واجبه وحريته في السلوك كما كان ولا زال الاسلام فأن اكرم الخلق عند الله اكثرهم تقوى له جل جلاله :

وتظهر مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات الدينية والمشاركة العملية في الحياة العامة منذ بداية الخليقة حيث قال تعالى : **(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ**

الجنة)[1]، فدلت هذه الآية الكريمة على المشاركة الفعلية للمرأة مع الرجل في الحياة يسراً او عسرا، وإن أعداء الاسلام الذين لم يفهموا الاسلام فهما عصرياً قد اتهموه بانه فرق بين الرجل والمرأة في المجالات الاجتماعية وذلك بنظرهم الى الآية الكريمة الآتية :(الرِّجالُ قوّامُونَ على النِّساءِ)[1]، فكلمة قوامون صيغة مبالغة لـ (قائم) أي كثير القيام بمعنى ان مجال عمل الرجل يختلف اجتماعياً عن مجال عمل المرأة فواجب الرجل تأمين العيش وتوفير الحماية الكافية لاسرته من الاخطار التي تحيط بها وليس معنى ذلك ان الرجل له الحق في التحكم بحرية المرأة في ابداء الرأي او القيام بالواجبات الاساسية ما لم يكن ذلك في معصية الله .

لقد اعطى الاسلام للمرأة حرية العمل وتولي المناصب وبرزت الكثير من النساء اللواتي كانت لهن مطارحات ادبية وحضور لمجالس العلم والفقه وعلى سبيل الشريعة الاسلامية [لم يستثنِ الفقهاء من المساواة في الحقوق بين الجنسين الا الامامة الكبرى – اي الخلافة – وفيما عدا ذلك فقد روي عن عمر بن الخطاب انه ولّى الشفاء على السوق وهي امرأة من قومه ، وروي عن الامام ابي حنيفة انه جوز للمرأة ان تكون قاضياً في الاموال وجوز غيره من الائمة لها ان تقضي في كل الامور، وقد برز ابن حزم هذه المساواة اعتماداً على الآية الكريمة (واذا حَكمتم بينَ النّاسِ انْ تحكُمُوا بالعَدلِ) فهي موجهة بعمومها الى الرجل والمرأة][2] .

يتضح من هذا ان الاسلام قد هيأ فرصاً عقلية وتربوية للمرأة المسلمة فاذا احسنت استغلالها بلغت بها اعلى المراتب التي قدر للرجال بلوغها كما ارتقى الاسلام بالمرأة عن مستوى السلوك الحيواني الى مستوى العلوم الراقية وذلك بدعوته الى تعليم المرأة واهتمامه بثقافتها وتهذيبها وفتح امامها مجالات العمل الواسعة واجاز لها الدخول الى ميادين العمل التي تناسب طبيعتها قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة) .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٥ .

(٢) سورة النساء، الآية ٣٤ .

(٣) اركان حقوق الانسان، د. صبحي المحمصاني، ص٢٩٧ بتصرف .

إن أهتمام الطريقة والتزامها بتعليم المرأة اصول الدين والعبادة وخلق فرص من المساواة بين الذكور والاناث يرجع الى اهتمام الاسلام بهذا المبدأ اذ ان العبادة والتقوى امر من الله تبارك وتعالى لجميع العباد قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ الاَّ ليَعْبُدُونِ)[1].

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

البيعة

البيعة هي العهد والتسليم لله والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالنبوة وقد قرن الله سبحانه وتعالى البيعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالبيعة لله في قوله تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)**[1] .

وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(من صافحني او صافح من صافحني الى يوم القيامة دخل الجنة)**، والمصافحة تعني الاعتراف والشهادة بالنبوة والمعاهدة يداً بيد على الالتزام بقواعد الاسلام، ويتبين من هذا ان من وضع يده على هيئة المصافحة في يد سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تكون يد الله فوق يده وفاز فوزاً عظيماً، واي فوزٍ اعظم من ان تكون يد الله فوق يدك ايها المبايع لرسول الله وأيةُ منزلةٍ تعادل منزلة الرسول العظيم عند الله تعالى إذ جعل مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبايعة لذاته تعالى . وهذا حدث في زمن النبوة اما بعد انتقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى عالم الشهود فقد ورث سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اللمسة الروحية والخلافة في الولاية منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الخلافة هي مشيخة الطريقة وقد ذكر ذلك المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فقال قال (علي بن ابي طالب يا رسول الله دُلني على اقصر الطرق الى الله وأخفها عليٌّ فقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **ياعلي عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات** فقال عليٌّ رضي الله عنه هذه فَضيلةُ الذكر وكل الناس يذكرون فقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **ياعلي لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول (الله)** فقال علي كيف اذكر يا رسول الله ؟ **قال اغمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل انت ثلاث مرات وانا اسمع** فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **لا إله إلا الله** ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعليٌّ يسمع ثم قال علي لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه

---

(٢) سورة الفتح، الآية ١٠.

رافعاً صوته والنبي يسمع)[1]، وورث هذه اللمسة الروحية المباركة سيدنا الامام الحسين الرمز عليه السلام من بعد الامام علي كرم الله وجهه وورثها من بعده الامام زين العابدين وورثها من بعده الامام محمد الباقر وورثها من بعده الامام جعفر الصادق وورثها من بعده الامام موسى الكاظم وورثها من بعده الامام علي الرضا مكوناً بذلك الجناح الأول للطريقة العلية القادرية الكسنزانية **(المسمى بالسلسلة الذهبية)** .

البيعة في القرآن الكريم

نستدل على وجود البيعة واخذ العهد والميثاق وضرورة الالتزام به وعدم النكوث من الآيات القرآنية الاتية :

قال تعالى : **(إنَّ الذينَ يُبايعُونكَ إنّما يُبايعُونَ اللّهَ يَدُ اللّهِ فوقَ أيديهِم فَمَنْ نَكَثَ فإنّما يَنكُثُ على نَفسِهِ وَمَنْ أوفى بِما عاهَدَ عليهُ اللّهَ فَسَيُؤتيهِ أجراً عظيماً)**[2].

وقال تعالى : **(وأوفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إذا عاهَدتّم ولا تَنقُضُوا الإيمانَ بعدَ تَوكيدِها وَقَدْ جَعلتُم اللّهَ عليكُم كَفيلاً)**[3] .

وقال تعالى : **(وأوفُوا بالعَهْدِ إنَّ العهدَ كانَ مَسْئولاً)**[4] .

وقال تعالى : **(وأوفُوا بِعَهْدِي أوفِ بِعَهدِكُم)**[5] .

وقال تعالى : **(لا يَملِكُونَ الشفاعَةَ إلاّ مَنْ اتّخَذَ عِندَ الرّحمنِ عَهداً)**[6] .

البيعة في السنة النبوية

عن البخاري عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال

---

(١) تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ج١، ص٣٤٦، عبد الرحمن الجبرتي .
(٢) سورة الفتح، الآية ١٠ .
(٣) سورة النحل، الآية ٩١ .
(٤) سورة الاسراء، الآية ٣٤ .
(٥) سورة البقرة، الآية ٤٠ .
(٦) سورة مريم، الآية ٨٧ .

(بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وَفىّ منكم فاجره على الله و من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارته . و من اصاب من ذلك شيئاً ثم ستره ُ الله فهو الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك)[1] .

وعن يعلي بن شداد قال حدثني ابي شداد بن اوس رضي الله عنه وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل فيكم غريب -يعني من اهل الكتاب- فقلنا لا يا رسول الله فأمَر بغلق الباب فقال ارفعوا ايديكم وقولوا لا إله الا الله فرفعنا ايدينا وقلنا لا إله الا الله ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم (الا ابشروا فان الله قد غفر لكم)[2] .

اخرج الطبراني في الاوسط وابو نعيم والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن بشير بن الخصاصية قال (أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأبايعه فقلت : علام تبايعني يا رسول الله ؟ فمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده فقال تشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله قلت يا رسول الله كلاً نطيق إلاّ إثنتين فلا أطيقها، الزكاة والله مالي إلاّ عشرة ذَوْدٌ هُنَّ رسل اهلي وحمولتهن واما الجهاد فأني رَجلٌ جبان ويزعمون ان من ولىّ فقد باء بغضب من الله واخاف ان حضر القتال أن أخشع بنفسي فأفرُّ فأبوءُ بغضب من الله فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله عليه وسلم يده ثم حركها ثم قال يا بشير لا صدقة ولا جهاد فَبِمَ إذن تدخل الجنة ؟ قلت يا رسول الله ابسط يدك ابايعك فبسط يده فبايعتُه عليهن)[3] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الايمان .

(٢) اخرجه الامام احمد والطبراني والبزاز ورجاله موثقون .

(٣) اخرجه الامام احمد .

وعن سلمى بنت قيس رضي الله عنها وكانت احدى خالات رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وقد صلّت معه القبلتين قالت (جئت الى رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فبايعته في نسوةٍ من الانصار فلما شرط علينا ان لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف قال ولا تغششن ازواجكن قالت فبايعناه ثم انصرفنا)[١] .

وجاءت أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها الى رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم تبايعه على الاسلام فقال (**أبايعك على ان لا تشركي بِاللّه شيئاً ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تبرجي تبرج الجاهلية الاولى**)[٢] .

(اخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه ان النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار ولم يبلغوا)[٣] .

(واخرج الطبراني ايضاً عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما انهما بايعا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وهما إبنا سبع سنين فلما رآهما رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم تَبسَّم وبسط يده فبايعهما)[٤] .

تبين مما سبق ان البيعة ليست مقصورة على الرجال فقط وانما البيعة تكون للرجال والنساء والاحداث معاً، ولما كانت الطريقة هي الطريق الحقيقي والموصل الى الله تبارك وتعالى فيتوجب على كل ذي عقل وبصيرة بأمور دينه ان يتلقى البيعة على يد وارث الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم وهم آل بيته الاطهار من المشايخ الكاملين عملاً بقوله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**الا من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة الجاهلية**) .

---

(١) رواه احمد وابو يعلي والطبراني .
(٢) اخرجه النسائي وصححه الترمذي .
(٣) اخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد .
(٤) اخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد .

البيعة او العهد في الطريقة الكسنزانية

ينبغي على من يريد سلوك منهج الطريقة الكسنزانية ان يأخذ ما يعرف بالبيعة او (العهد) ويجب ان يتم اعطاء البيعة يداً بيد ولذلك يطلب ممن يريد السلوك وضع يده (على هيئة المصافحة) في يد حضرة الشيخ او احد المُريدين المخولين من قبل استاذ الطريقة بأعطاء البيعة نيابة عنه، وفي حالة اعطاء البيعة للنساء يتم إمساك مسبحة الخليفة -بدلاً من يده- ثم يقوم المُريد بترديد العهد الخاص بالبيعة جملة فجملة بعد الخليفة، ووجوب المبايعة وحتمية ان تكون يداً بيد إنما هو تطبيق للآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[1]، التي نزلت في بيعة المسلمين للرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم في بيعة الرضوان .

إن هذه المبايعة اليدوية وان كانت تبدو طقساً بسيطاً في ظاهرها إلاّ انها في حقيقتها تحمل الكثير من الاسرار الروحية ولذلك فانها توصف (باللمسة الروحية) فعن طريق هذه اللمسة ترتبط روح المُريد بروح استاذ الطريقة الذي هو مرتبط روحياً بالشيخ الذي يسبقه وهكذا عبر حلقة الاتصال الروحي بين مشايخ سلسلة الطريقة حتى تصل الي الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون العهد مبايعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

إنّ اخذَ المُريد لعهد الطريقة يضعه على الطريق الى الله عز وجل وكما سيتبين من نص عهد السلوك الذي يردده المُريد في اول الواجبات التي يلقيها على عاتقه هذا العهد المقدس هو الرجوع عن الذنب والمعاصي والعمل بنية صادقة على تجنبها والالتزام بسُنَّة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان الطاعة وحسن الاتباع للشيخ هما اساس سلوك مُريد الطريقة .

ويتم اعطاء البيعة للمُريد حيث يصافح الخليفة يداً بيد ويردد ما يملي عليه الخليفة

---

(١) سورة الفتح، الآية ١٠ .

بالعبارات الآتية :

- بسم الله الرحمن الرحيم اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى وبالبعث من بعد الموت وبالطريقة التي انزلتها الى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمنت بأن سيدنا محمداً صلى اللّه تعالى عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، يا ربي تُبْتُ ورجعت اليك نادماً من الذنوب والخطايا ، يا ربي توبة .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد قدرتك يارب العالمين .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد الامام علي كرم الله وجهه، ومنه تُبْتُ وبايعت على يد سلسلتي جناحي الطريقة ومنهم يداً بيد على يد الشيخ معروف الكرخي (قدس الله سره) .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد الشيخ الغوث اسماعيل الولياني (قدس الله سره) .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزاني (قدس الله سره) .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزاني (قدس الله سره) .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد السيد الشيخ الغوث حسين الكسنزاني (قدس الله سره) .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزاني (قدس الله سره) .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب، تُبْتُ وبايعت على يد رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم حضرة السيد الشيخ الغوث محمد الكسنزاني الحسيني (قدس الله سره)، وقبلته شيخي ومرشدي واستاذي في الدنيا والآخرة والله على ما أقول شهيد .

ثم يقول الخليفة اعطيتك هذه البيعة وكالةً عن حضرة السيد الشيخ الغـوث محمد الكسنزاني ... أقبلت ؟ فيجيب المُريد نعم قبلت . ثم تُهدى سورة الفاتحة .

الباب الثالث

❖ الشيخ الوارث المحمدي
- رتبة الشيخ
- التدرج في السلوك

❖ الخوارق في الطريقة الكسنزانية

❖ المشيخة في الطريقة الكسنزانية

❖ الشيخ والثروة

❖ الاستقامة على الطريقة

❖ المجاهـــدة

❖ السلوك في الطريقة الكسنزانية
- الرياضـــة
- الخلـــوة
- الخلوة في الطريقة الكسنزانية
- الخلوة الخاصة

❖ خوارق العادات
- دليل الكرامات في الكتاب والسنة
- كرامات الأولياء حق
- كرامات آل البيت
- كرامات الصحابة
- الكرامات في طور جديد
- الكرامات بعد انتقال المشايخ

❖ حكايات الصالحين

من أراد الصلاح فليصر أرضاً تحت أقدام الشيوخ

السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره)

الشيخ (الوارث المحمدي)

الشيخ هو الوارث الروحي المحمدي ومنبع الفيوضات الرحمانية وبنظرته النورانية تتوزع الدرجات وتتغير الأمور وتتم الولايات وعلى يده تسير الأمور الظاهرية والباطنية، ولا يخفى عليه شئٌ من مجريات الأحداث فهو قطب الأرض وخليفة الرسول ويتسلسل نسبه الى سيد الكونين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عارف بالله خبيرٌ بطرائق تزكية النفوس ووسائل تربيتها وهو وحيد زمانه ومأذون بالارشاد من شيخه وقد تناقل هذا الأذن (الارشاد والبيعة) عبر سلسلة من أهل البيت الطاهرين والمشايخ العارفين بدءاً بقطب الوجود سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وذلك لتجديد الرسالة المحمدية واحياء نهجه واعلاء كلمة لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كل مكان .

ولابد للشيخ المرشد الى طريق الحق من شروط يصلحُ معها أن يكون نائباً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وهي ان يكون تابعاً لشيخ بصير أجازه بالارشاد بعده وأن يتسلسل نسبه الى سيد الكونين صلى الله تعالى عليه وسلم وان يكون عالماً ومعرضاً عن حب الدنيا وحب الجاه ومحسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول وكثرة الصلاة والصدقة ومتصفاً بمحاسن الأخلاق كالصبر، والشكر، واليقين، والتوكل، والسخاوة، والقناعة، والحلم، والتواضع، والصدق، والحياء، والوفاء، والوقار، والسكون وامثالها ومثل هذا الشيخ نورٌ من أنوار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلح للاقتداء به)(١) .

قال القشيري (ويجب على المريد أن يتأدب بشيخٍ فأن لم يكن له استاذ لا يفلح أبداً وهكذا أبو يزيد يقول – من لم يكن له استاذ فأمامه الشيطان وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الشجرة إذا نبتت بنفسها ومن غير غارس فأنها تورق لكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له استاذ يأخذ منه طريقته نَفَساً فنَفَساً فهو عابد هواه لا يجد نفاذاً)(٢) .

---

(١) خزينة الاسرار، محمد حقي النازلي، ص١٧٨ .
(٢) الرسالة القشيرية، ص١٩٩.

ولا بد للمُريد السالك من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ لان الطريقة ليست عملاً علمياً ولا بحثاً نظرياً فلا يتم تعلمها بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم إلاّ كحاضرٍ مُقوٍ للتأمل ولا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه ممارساً لسلوك الطريقة . فلا يمكن التطهر من النجاسات المعنوية (الكذب – الحسد – الرياء – الكبر ...الخ) . إلا بالسلوك على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس ليخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية لذا قيل :-

مَنْ يأخذ العلم من شيخٍ مشافهةً يَكنْ عن الزَيغِ والتصحيف في حَرَمِ
ومن يكنْ آخذاً للعلم من صُحُفٍ فعلمُه عند أهل العِلم كالعَدَمِ

وقال الشعراني في الأنوار القدسية (وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الأنسان له شيخاً يرشده الى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب ولا شك ان علاج أمراض الباطن كلها واجب كما تشهد به الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد بالعقاب عليها فعُلِم ان كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده الى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يهتدي لطريق العلاج ولو تكلف، لا ينتفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب .

ولما كان لا بد للمُريد من صحبة شيخ مرشد يسير به نحو طريق الحق ويزكي نفسه ويكسبه من صفاته الخلقية الكاملة من إيمان وتقوى وزهد وورع ويرقيه لينجو من كدوراته القلبية وعيوبه النفسية يتوجب عليه أن يصاحب الوارث المحمدي (الشيخ الكامل) عملاً بقوله تعالى : (يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتـّقـُوا اللهَ وكُونـُوا مَعَ الصّادِقينَ)[1]، وصحبه الشيخ العارف تؤكدها الايات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

قال تعالى : (واصْبِرْ نفْسَكَ مَعَ الذينَ يَدْعُوَن ربَّهُم بِالغَداةِ والعَشـِيِّ يُريدُونَ

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

وَجهَهُ ولا تَعدُ عيناكَ عنهُم تُريدُ زينةَ الحياةِ الدُّنيا)[1].

وقال تعالى : (الأخِلاءُ يومئذٍ بعضُهم لِبَعْضٍ عدوٌ إلاّ المُتّقينَ)[2].

وقال تعالى : (واتّبعْ سَبيلَ مَنْ أنابَ إليَّ)[3].

وقال تعالى: (ويومَ يَعَضُ الظّالمُ على يَديهِ يقولُ يا ليتَني اتّخذْتُ مَعَ الرّسولِ سبيلاً .يا ويْلَتى لَيْتَني لَمْ أتّخِذْ فُلاناً خليلاً. لقَدْ أضَلَّني عَنِ الذِكرِ بَعدَ إذْ جاءَني وكانَ الشيطانُ للإنسانِ خَذُولاً)[4] .

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام :

(هَلْ أتّبِعُكَ على أنْ تُعلِّمَني مِمّا عُلِّمْتَ رُشداً)[5] .

والصحبة ظاهرة في السنة النبوية والحديث النبوي الشريف فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (قيل يا رسول الله أي جلسائنا خيرٌ ؟ قال من ذكرتكم الله رؤيته وزاد في عملكم منطقة وذكركم في الآخرة عمله)[6] .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل)[7]، وعن ابي ذر رضي الله عنه قال (قلت يا رسول اللّه الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل عملَهم قال انت يا ابا ذر مع من أحببت)[8] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن من عباد الله لأناساً ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول اللّه فتخبرنا من هم ؟ قال هم قوم تحابُّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها . فو الله إن

---

(١) سورة الكهف، الآية ٢٨.
(٢) سورة الزخرف، الآية ٦٧.
(٣) سورة لقمان، الآية ١٥ .
(٤) سورة الفرقان، الآية ٢٧، ٢٨، ٢٩.
(٥) سورة الكهف، الآية ٦٦.
(٦) رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح.
(٧) رواه ابو داود والترمذي.
(٨) رواه ابو داود.

وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : (الا انّ اولياءَ اللّهِ لا خوفٌ عليهِم ولا هُم يَحزنُونَ)[1] .

يتضح من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة أنفاً أهمية الصحبة وأثرها في تقوية الربط الروحي بين الشيخ ومريديه وأثرها في تربية وتزكية نفوسهم نحو مراتب الكمال : وللفقهاء والمحدثين أقوال تؤكد على أهمية الصحبة للمريد السالك .

فقد قال الغزالي (الدخول مع الصوفية فرض عين إذ لا يخلو أحدٌ من عيبٍ أو مرضٍ إلاّ الأنبياء عليهم السلام)[2] .

وقال الطيبي (لا ينبغي للعالم ولو تبحر في العلم حتى صار واحد أهلِ زمانه أن يقتنع بما عَلِمَهُ وإنما الواجب عليه الأجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم)[3] .

وقال ابن القيم الجوزي (فاذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟ فاذا كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فُرطاً .... فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته فأن وَجده كذلك فليُبعِدْ منه وإن وجَدهُ من غَلبَ عليه ذكرُ اللّه تعالى وإتباع السنة فليستمسك بغرزه)[4] .

وقال الرازي في تفسيره سورة الفاتحة (وهذا يدل على ان المُريد لا سبيل له الى الوصول الى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا إقتدى بشيخ يهديه الى سواء السبيل)[5] .

وقال ابن حجر الهيتمي (والحاصل ان الأوْلى بالسالك قبل الوصول الى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمرهُ به إستاذهُ الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة)[6] .

---

(١) رواه ابو داود.

(٢) شرح الحكم لابن عجيبة.

(٣) تنوير القلوب للعلامة الشيخ امين الكردي، ص٤٤ .

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم الجوزي، ص٥٢ .

(٥) تفسير مفاتيح الغيب، للامام فخر الدين الرازي، ج١/ص١٤٢ .

(٦) الفتاوي الحديثة لابن حجر الهيتمي، ص٥٥ .

وقال ابن عطاء الاسكندري (فينبغي لمن عزم على الأسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقق سالك للطريق تاركٍ لهواهُ راسخُ القدم في خدمة مولاه فأذا وجده فليمتثل ما أمر ولينتهي عما نهى)[1].

وقال عبد الوهاب الشعراني (فأن فائدة الشيخ إنما هي إختصار الطريق للمريد ومن سلك من غير شيخ تاهَ وقطع عمره ولم يَصلْ الى مقصوده لأن مثالُ الشيخ مثالُ دليل الحجاج الى مكة في الليالي المظلمة)[2].

وقال ابو علي الثقفي (لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلاّ بالرياضة مع شيخ مودبٍ ناصح)[3].

رتبـــة الشيـخ

ورد عن رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم أنه قال (**والذي نفس محمد بيده لئن شئتُ لأقسمن لكم، إن احب عباد الله تعالى الى الله الذين يحببون الله الى عباده، ويحببون عباد الله الى الله ويمشون على الأرض بالنصيحة**)، وهذا الذي ذكره رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة الى اللّه تعالى، لان الشيخ يحبب اللّه الى عبادهِ حقيقةٍ، ويحبب عباد اللّه الى اللّه .

ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في الطريقة ونيابة النبوة في الدعوى الى اللّه . فأما وجه كون الشيخ يحبب اللّه الى عباده، فلأن الشيخ يسلك بالمُريد طريق الأقتداء برسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم . ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى، قال الله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)[4]، ووجه كونه يحبب عباد اللّه تعالى إليه انه يسلك بالمُريد طريق التزكية، وإذا تزكت النفس إنجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الالهية ولاح فيه جمال التوحيد فأحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكيةِ واذا إنجلت مرآة القلب لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها، ولاحت الآخرة

(١) مفتاح الفلاح لابن عطاء الاسكندري، ص٣٠.
(٢) لطائف المنن والاخلاق للامام الشعراني، ج١/ص٤٩.
(٣) طبقات الصوفية للسلمي، ص٣٦٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٣١.

ونفائسها بكنهها وغايتها فتكشفت حقيقة الدارين للبصيرة، فيحب العَبدُ الباقي ويزهد في الفاني، فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين لأنه داعٍ الى الله قريبٌ منه .

قال تعالى : (وإذا سألكَ عبادي عَني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دَعان)[1]، ويتبين من سياق هذه الآية الشريفة ان لكل زمان إمامه وخليفته فهو المرجع الأعلى لقضاء الحاجات وجميع الخيرات وان كلمة الداعي في الآية تعني نائب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعن طريقه تتحقق الدرجات والمراتب الروحية لعاد اللّه الذين توفرت فيهم صفات العبودية (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي)[2] فهو وحيد دهره وباب رحمة الله ورسوله .

التدرج في السلوك

معنى **التدرج** هو الأنتقال من رتبةٍ الى رتبةٍ أو من مقامٍ الى مقام أو من حالٍ الى حالٍ، والأنتقال هو العروج أو الصعود فنقول عرجت في السُلم والمقصود بالعروج هنا ليس الجسماني لأن الله عز وجل ليس في مكان فيسار إليه ولكنه مُتَنزهٌ عن المكان والجسمان وليس العروج والصعود اليه مثل صعود الجبال والأجواء فالقرب منه ليس كقرب المخلوق للمخلوق وإنما قربٌ معنوي وتدرج روحي ... والمُريد المبتدىء (هو الذي يبدأ بقوة العزم في سلوك طرقات المنقطعين الى الله ويتكلف لآداب ذلك ويتأهب بالخدمة والقبول من الذي يعرف الحال الذي إبتدأ به وأشرفَ عليه من بدايته الى نهايته والمُريد هو الذي صح له الأبتداء ودخل في جماعة المنقطعين الى الله بالأسم وشهدت له قلوب الصادقين بصحة الارادة)[3].

ويتم حصول الدرجات [بقدر ما يُنقي العبد قلبه ويطهر نفسه يترقى في الدرجات واحدة تلو الأخرى في هذا الطريق الذي يشكل درجات أساسية أو منازل معينة تشبه المحطات المُعدة لراحة المسافرين ويبين أبو سعيد الخراز كيفية التدرج من درجة الى

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦.
(٢) سورة الفجر، الآيات ٢٩، ٣٠.
(٣) اللُمع للامام الطوسي، ص٤٧.

درجة حيث يقول ان اوائل الطريق الى الله التوبة وذكر شرائطها ثم ينتقل من مقام التوبة الى مقام الخوف ومن مقام الخوف الى مقام الرجاء ومن مقام الرجاء الى مقام الصالحين ومن مقام الصالحين الى مقام المُريدين ومن مقام المُريدين الى مقام المطيعين ومن مقام المطيعين الى مقام المحبين ومن مقام المحبين الى مقام المشتاقين ومن مقام المشتاقين الى مقام الأولياء ومن مقام الاولياء الى مقام المقربين][1] .

ان لكل درجة أو مقام اعمال لابد من عملها وأعمال أخرى لابد من تركها ومهاوي لابد من مراعاتها وتجنب الوقوع فيها فلابد من التخلي عن مذام كل درجة أو مقام والتحلي بمحاسنها . ان المصدر الأصيل للاحوال والمقامات هو القرآن الكريم فقد أفاض في بيان طريق الله عز وجل من البداية الى النهاية وقال تعالى : **(و الذينَ جاهَدُوا فينا لَنهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا)**[2] ولقد خاض محيي الدين بن عربي في الطريق الى الله بحار تلك الاحوال وارتقى تلك المقامات ونَعِمَ بعطاياها وذاق ثمارها ورياها وتحدث عنها وكشف منها ما أُمر بكشفه وهي تراث من العلوم يسع علماء الدنيا قروناً وأجيالاً يتدارسونها وينتفعون بها ولندع محيي الدين بن عربي ليتكلم عن هذه المقامات التي تَنقّلَ في كواكبها :

مقام النور :

يقول هذا مقام نلته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة في مدينة فاس في صلاة العصر وأنا اصلي بجماعة بالمسجد بجانب عين الجبل فرأيته نوراً صافياً غلاباً يكاد من خلفي أكشف من الذي بين يدي غير إني لما رأيته زال عني حكم الخلق وما رأيت لي ظهراً ولم أفرق في تلك الرؤيا بين جهاتي بل كنت مثل الكرة لا أعقل لنفسي جهة .

مقام الوجد والوَله :

وهو أخطر مقامات التصوف وهو ذهول وذهاب عن كل ما سوى الله بحكم المحبة والاشراق وكم من إمامٍ حكم عليه هذا المقام فذهب معه ولم يعد أبداً ولكن العناية شملته وحُفِظ ولقد ذقت هذا المقام ومرَ عليّ وقتً أودي فيه الصلوات الخمس إماماً بالجماعة

(١) حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

على ما قيل لي بأتمام الركوع والسجود وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال وأنا في مثل هذا كله لا علم لي بالجماعة ولا بالمحل ولا بالحال ولا بشيءٍ من عالم الحس لشهود غلب عليّ غبت فيه عني وعن غيري فأخبرت إني كنت إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة وأُصلي بالناسِ فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم لي بذلك .

مقام الفتح في العبارة :

الفتح في العبارة لا يكون إلا للمحمدي الكامل وأقوى مقام صاحب هذا الفتح

• الصدق في جميع أقواله وحركاته وسكونه الى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه وجليسه ما في ظاهره وباطنه من حركةٍ ظاهرةٍ أو باطنه بحيث لا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصدر كلاماً في نفسه ويرتبه في فكره ثم ينطق به بعد ذلك بل زمان تصوره لذلك اللفظ الذي يعبر به عما في نفسه زمان قيام ذلك المعنى في نفسه وصورته فيفتح اللّه له في العبارة فيعرب بقلمه أو بلفظه عما تنفسه بنفسه، ومن علامات هذا الفتح إستصحاب الخشوع وتوالي الأقشعرار عليه في جسده بحيث يحس أن أجزاءه قد تَفرقت .

مقام القيومية

كانت ليلة السبت من رجب سنة ثلاث وثلاثين وستمائة حيث لم يتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقهِ المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق إذ لم يكن إلا الله وقال لي هل هنا أمرٌ يوجب التلبيس والحيرة قلت لا قال هكذا جميع ما نراه من المحدثات ما لأحدٍ فيه أثر ولا شيء من الخلقِ فأنا الذي أخلقُ الأشياء عند الأسباب بالأسباب فتكونَ عن أُمري خلقتُ النَفخَ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر .

مقام حلاوة الفتح :

يقول محيي الدين بن عربي ومن اصحاب هذا الفتح من تلازمه هذه الحلاوة ساعة أو يوماً او اكثر كلٌ حسب ما يُوهَب فليس لبقائها زمن وهذه الحلاوة واللذة لا يمكن أن

تشبهها لذة من اللذات المحسوسة بأنها معنوية ربانية وأثرها في الحس أعظم أثرٍ تنعم به النفس .

مقام الفناء :

وهو درجة المحبين الوالهين الذاهلين عن وجودهم بذهاب حسهم الى باريهم، وحال الفناء هو ان تفنى بالله عن خلقه فلا ترى شيئاً مع اللّه بل الوجود هو رب الوجود وواهب الوجود وخالقه وهو حالٌ ذقت أسراره حتى التبست ظواهره على الفقهاء فرموا فيه على المتصوفة بالعظائم والتبست خواطره على المتكلمين والمتفلسفين فرموا رجال اللّه فيه بالحلول ووحدة الوجود .

مقام العبودية أو الصديقية :

مقام العبودية الصادقة ان ترى اللّه فاعلاً لكل شيء وان تتَصِفَ بصفات العبودية الكاملة وأن لا تغفل عن مشاهدة عبوديتك وأن تكون أعمالك ما ظهر منها وما بطن مفيدةً بهذا القيد محددة بتلك الحدود يقول ابن عربي (وإذا عرف التلميذ من الشيخ انه بهذه المثابة فقد فَتحَ اللّه على ذلك التلميذ بما فيه سعادته فأنه يتجرد الى جانب الحق بتجرد الشيخ، فأنه عرف منه وإتكلَ على الله لا عليه ويقي ناظراً في الشيخ مما يجري الله عليه من الحال في حق ذلك التلميذ من نطق بأمر يأمره به أو ينهاه، أو بعلم يفيده فيأخذ التلميذ من اللّه على لسان هذا الشيخ ويعلم التلميذ في نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه أنه مَحل جريان الربوبية .

ويحصل التدرج في المقامات نتيجة المثابرة والمداومة على العبادات والطاعات وتطبيق أوامر الشيخ في السلوك ولا يعلم المريد مقامه إلا إذا أطلعُه شيخه على ذلك لأن الشيخ هو المربّي العارف بأحوال مريديه وعنه تصدر درجات الترقي الروحي وهو كنز الأسرار والمنح الآلهية .

الخوارق في الطريقة الكسنزانية

ان خوارق العادات وكما ذكرها العلماء هي ستة :

المعجزة ، الارهاص ، الكرامة ، المعونة ، الاستدراج ، الاهانة .

وفيما يأتي توضيح موجز لكل قسم منها :-

المعجزة :

والمعجزة في اللغة : مأخوذة من العجز ، وهو ضد القدرة

وهي في اصطلاح العلماء للكلام : الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي ، الذي هو دعوى الرسالة او النبوة مع عدم المعارضة ، فهو امر يظهر بخلاف العادة على يدي مدعي النبوة ضد تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين الاتيان بمثله .

الارهاص :

وهو ما كان قبل النبوة والرسالة وتأسيساً لها ، كأظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

الكرامة :

وهي امر خارق للعادة ومن جنس المعجزات ما عدا انها لا تكون مقرونة بدعوى النبوة وتظهر على يد الولي تخصيصاً له وتفضيلاً .

المعونة :

وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً له من شدة او هم او غم او امر حزّ به .

الاستدراج :

وهو ما يكون على يد فاسق خديعة له ومكراً به اذ يتم تضليل الشخص القائم بالفعاليات الخارقة من خلال الايحاء له بشكل غير مباشر ، ان نجاح الفعاليات التي يمارسها انما هو دليل على صحة المبدأ والهدف المعين الذي من اجله تمارس هذه الفعاليات ، ويحصل ذلك بمساعدة ارواح سفلية شريرة لفاعلها .

الاهانة :

وهي ما يظهر على يد فاسق تكذيباً له ، كما وقع لمسيلمة الكذاب ، اذ انه تفل في عين اعور لتبرأ فعميت الصحيحة .

ويقول سهل التستري : (الآيات لله ، والمعجزات للانبياء ، والكرامات للاولياء ، والمغوثات للمريدين ، والتمكين لاهل الخصوص) .[1]

ان خوارق العادات لمشايخ الطريقة الكسنزانية والتي تعرف بـ (الكرامات) لا حدود لها اذا اراد الله سبحانه إظهارها على ايدي عباده الكرام ، يقول حضرة السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني قدس الله سره :

« اعتقاد المتبعين الكتاب وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان السيف لا يقطع بطبعه بل الله عز وجل يقطع به، والنار لا تحرق بطبعها بل الله عز وجل المحرق بها ، وان الطعام لا يشبع بطبعه بل الله عز وجل يشبع به، وان الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل يروي به، وهكذا جميع الاشياء على اختلاف الاجناس فالله عز وجل المتصرف فيها وبها وهي آلة بين يديه يفعل بها ما يشاء » .[2]

ويضيف قدس الله سره مشيراً الى حادثة عدم حرق النار لابراهيم عليه السلام بعد ان امرها الله عز وجل بذلك بقوله (**يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم**) [3]

ذلك ان امر الله سبحانه وتعالى للاشياء بقوله (انما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون)، وبهذه القدرة اي قدرة (كن فيكون) تحصل المعجزات للانبياء والكرامات للاولياء، فاذا اراد الله سبحانه وتعالى ان يعطل القوانين المادية لاحد انبيائه او احد الصالحين فقد فعل ، لذلك فان محاولة تحديد ما هو ممكن حصوله من معجزات او كرامات هي ليست محاولة لتحديد ما يمكن ان يظهر على يد النبي او الولي من خوارق العادات وانما هي محاولة لتحديد ما هو في مقدور الله سبحانه وتعالى، وليس لقدرة الله

---

(١) طبقات الصوفية ص ٢١١.

(٢) جيلان الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر الناشر الشيخ محمد الكسنزاني.

(٣) سورة الانبياء ، الآية ٦٩.

من حدود، وان انكار هذه الخوارق هو بمثابة القول بأن هناك قوانين وضعها الله عز وجل ولا يمكن له تغييرها وهذا استنتاج خاطئ .

ان ما يجعل ظاهرة قدرة النار على الحرق قانوناً طبيعياً مألوفاً وانما يجعل حادثة فشل النار في حرق الاشياء ومخالفتها للقانون الطبيعي المألوف غير موجود في العقل فطرياً وانما ينشأ مع تعوده ملاحظة ان النار محرقة ولما كانت هذه الظاهرة الخارقة هي بالتعريف خروجاً على المألوف فأن العقل الذي يعمل ويحكم من خـــلال (المألوف) بطبيعة عمله وقدرته لن يستطيع ان يحدد ما يمكن ان يحدث ما هو غير مألوف.

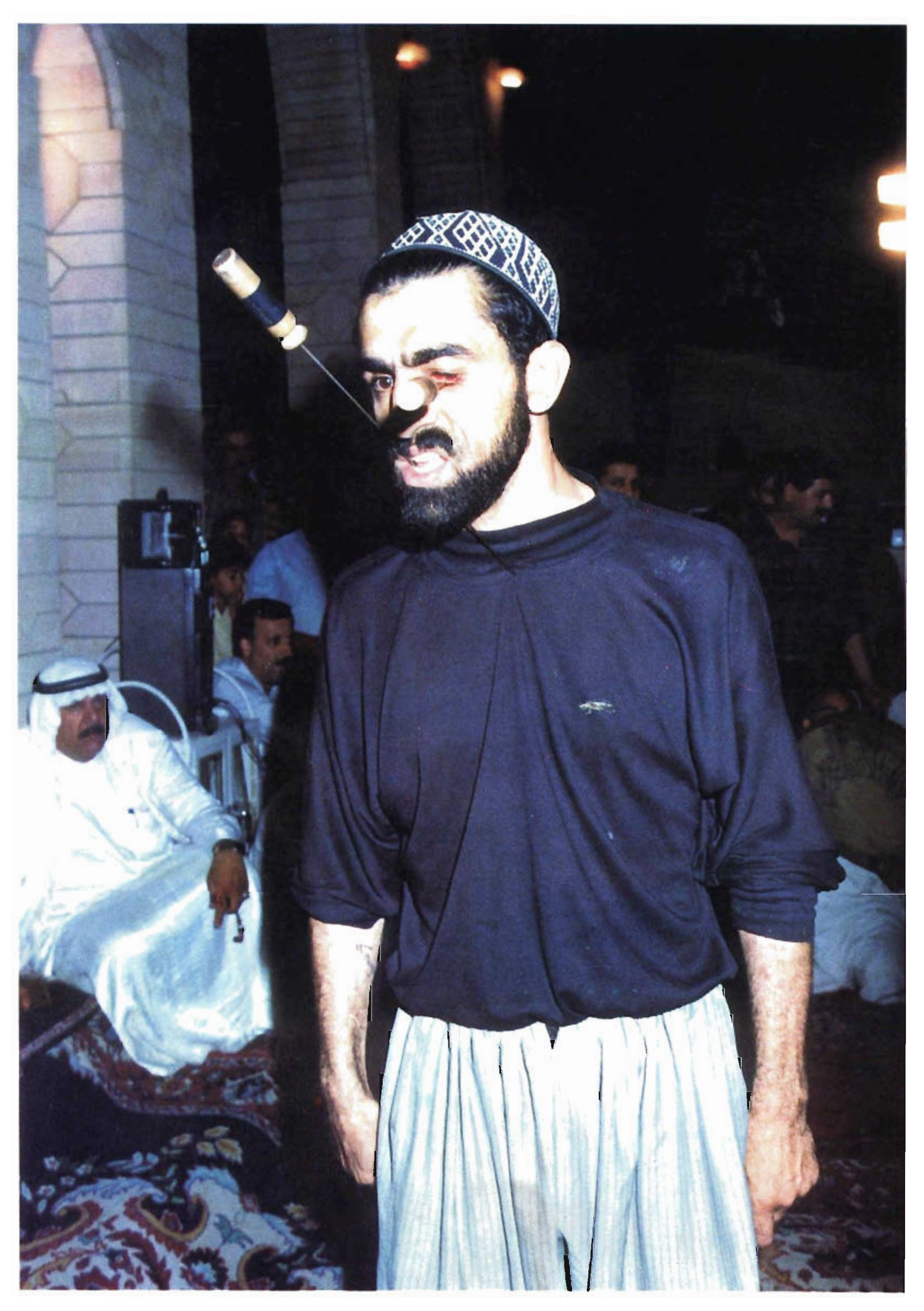
ان الخوارق في طريقتنا الكسنزانية ما هي الا امتداد حي لمعجزات الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لاثبات وجود الله عز وجل والاقرار بوحدانيته ولهداية الضالين والمنكرين الى طريق الحق والايمان .

ومن الفعاليات الخارقة التي يمكن ان يمارسها مريدو الطريقة الكسنزانية دون غيرهم :

اولاً : يقوم المريد بأدخال ادوات حادة (كالحراب والسيوف) في مناطق مختلفة من جسمه ولا تخضع هذه الادوات لاية عملية تعقيم مسبقة بل دائماً تكون وحسب النظرة الطبية ملوثة، اما اجزاء الجسم التي تستخدم في هذه الفعاليات فتشمل (الخدين، اللسان، قاعدة الفم، شحمة الاذن، الذراع، عضلات الصدر، البطن بمناطقها المختلفة، البطن والظهر في آن واحد) .

ثانياً : يقوم المريد بإدخال الخناجر في جوانب مختلفة من عظم الجمجمة وكذلك في عظم الترقوة ويقوم المريد بتثبيتها بمساعدة مطرقة معدة لهذا الغرض.

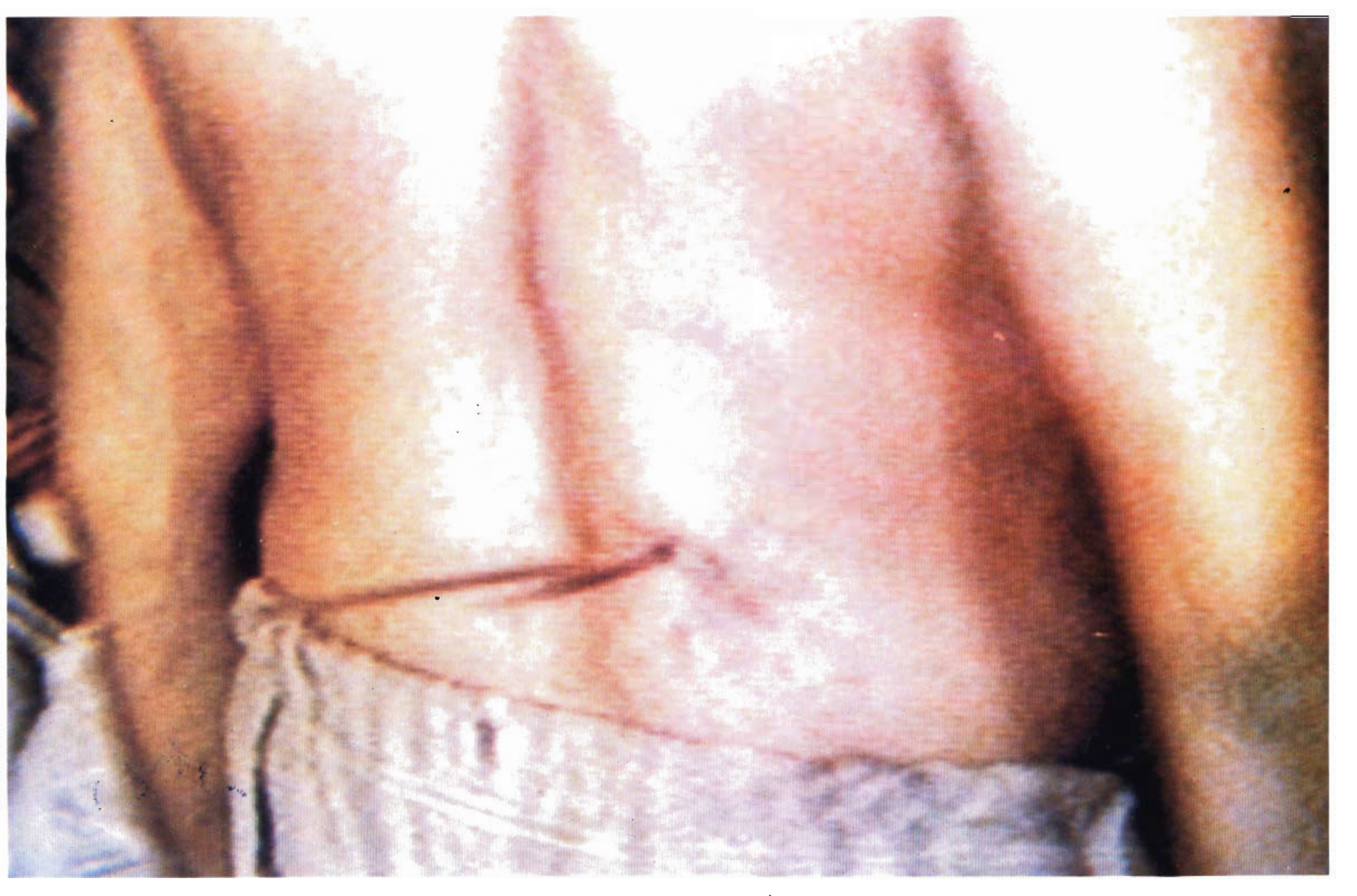
ثالثاً : اكل الزجاج وابتلاعه من قبل المريد سواء كان زجاج الاقداح او زجاج اللمبات الكهربائية وبذلك يضاف عنصر خطورة آخر هو سُمية مادة الزئبق التي تطلى بها عادة تلك اللمبات ، والشكل الاخر من الفعاليات التي يمارسها المريدون هو مضغ وابتلاع امواس الحلاقة الحادة غير المستعملة.



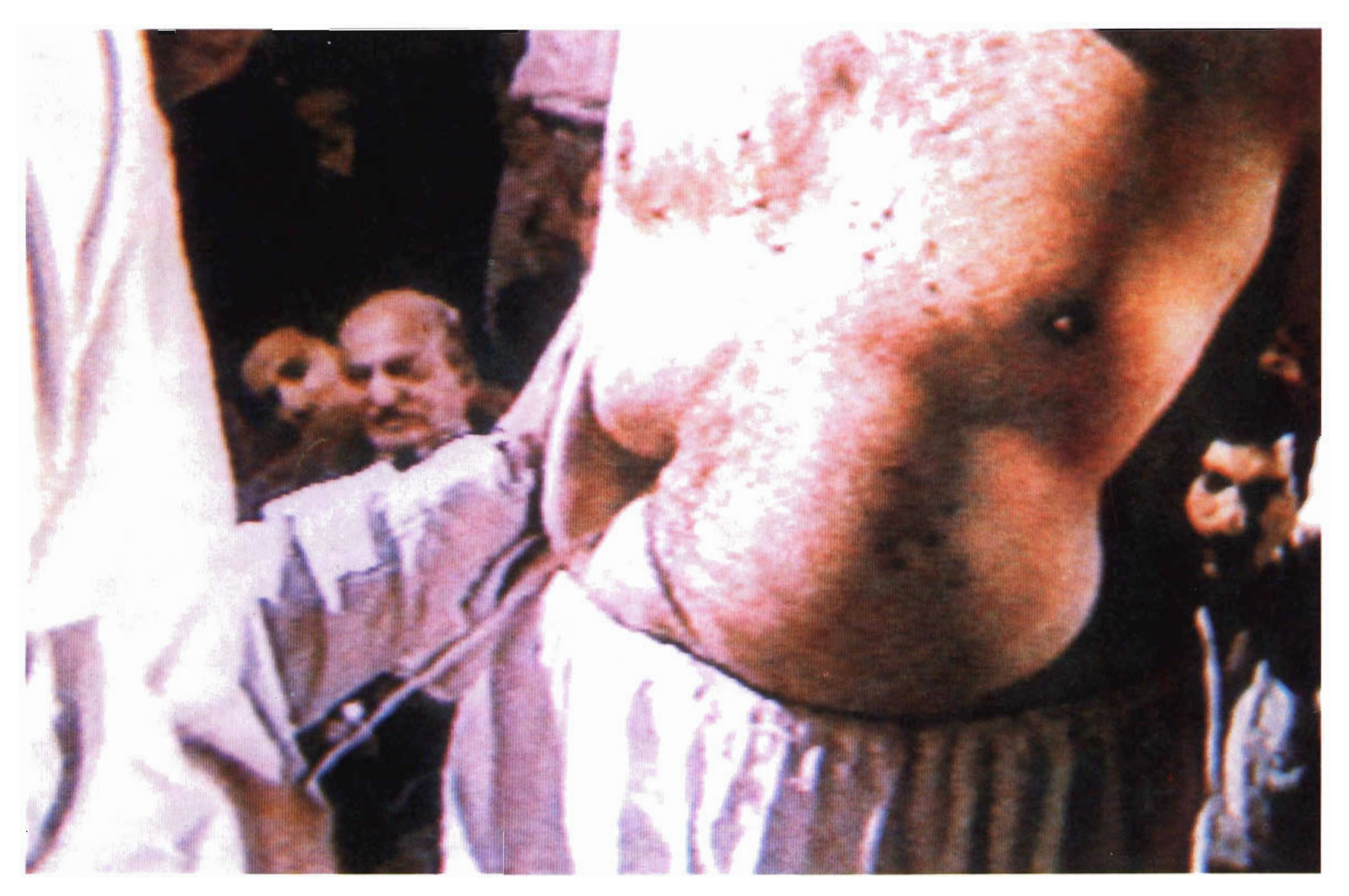
صورة لمريد كسنزاني وقد أُدخل حربة في احدى عينيه وحربة اخرى خرقت قاعدة الفم.



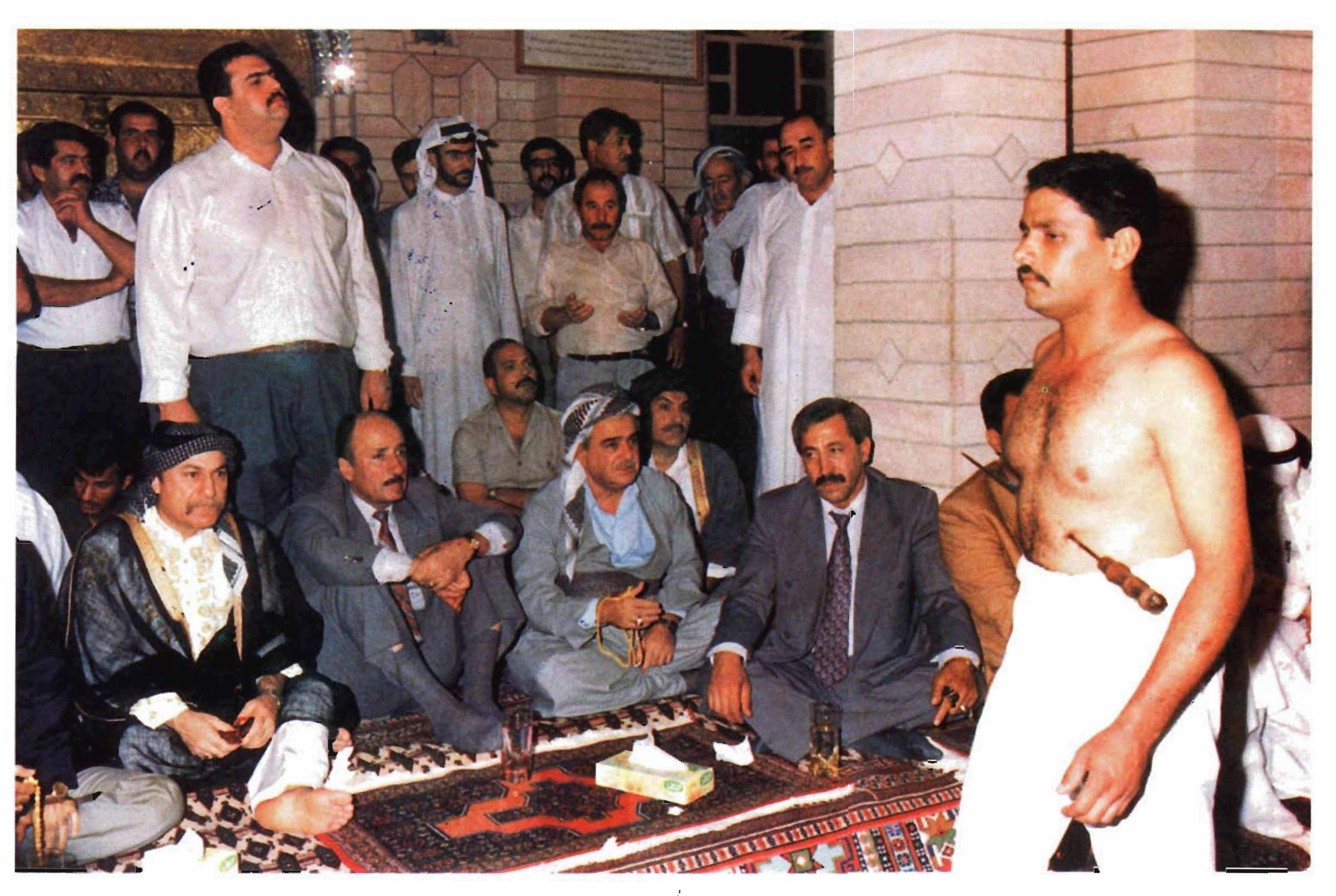
صورة لمريد كسنزاني وقد أُدخلت (حربة) في جانب بطنه مخترقة الكبد.



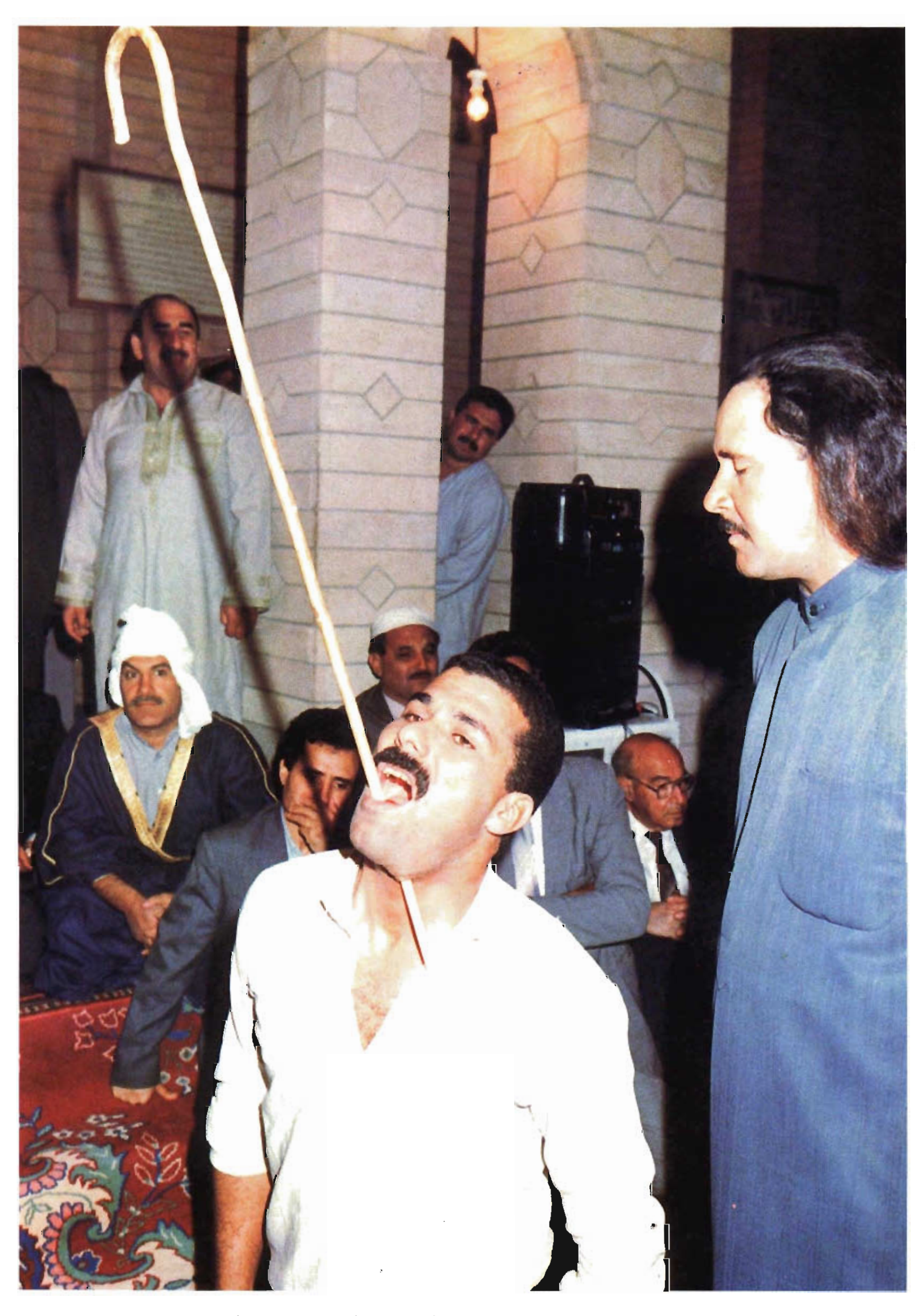
صورة لمريد كسنزاني وقد أُدخلت (حربة) في بطنه مرت من جانب العمود الفقري.



صورة لمريد كسنزاني وقد يتبين من خلالها لحظة خرق (الحربة) لجدار البطن ونفاذها الى الاحشاء الداخلية.



صورة لمريد كسنزاني وقد أُدخلت (حربة) في عضلات بطنه.



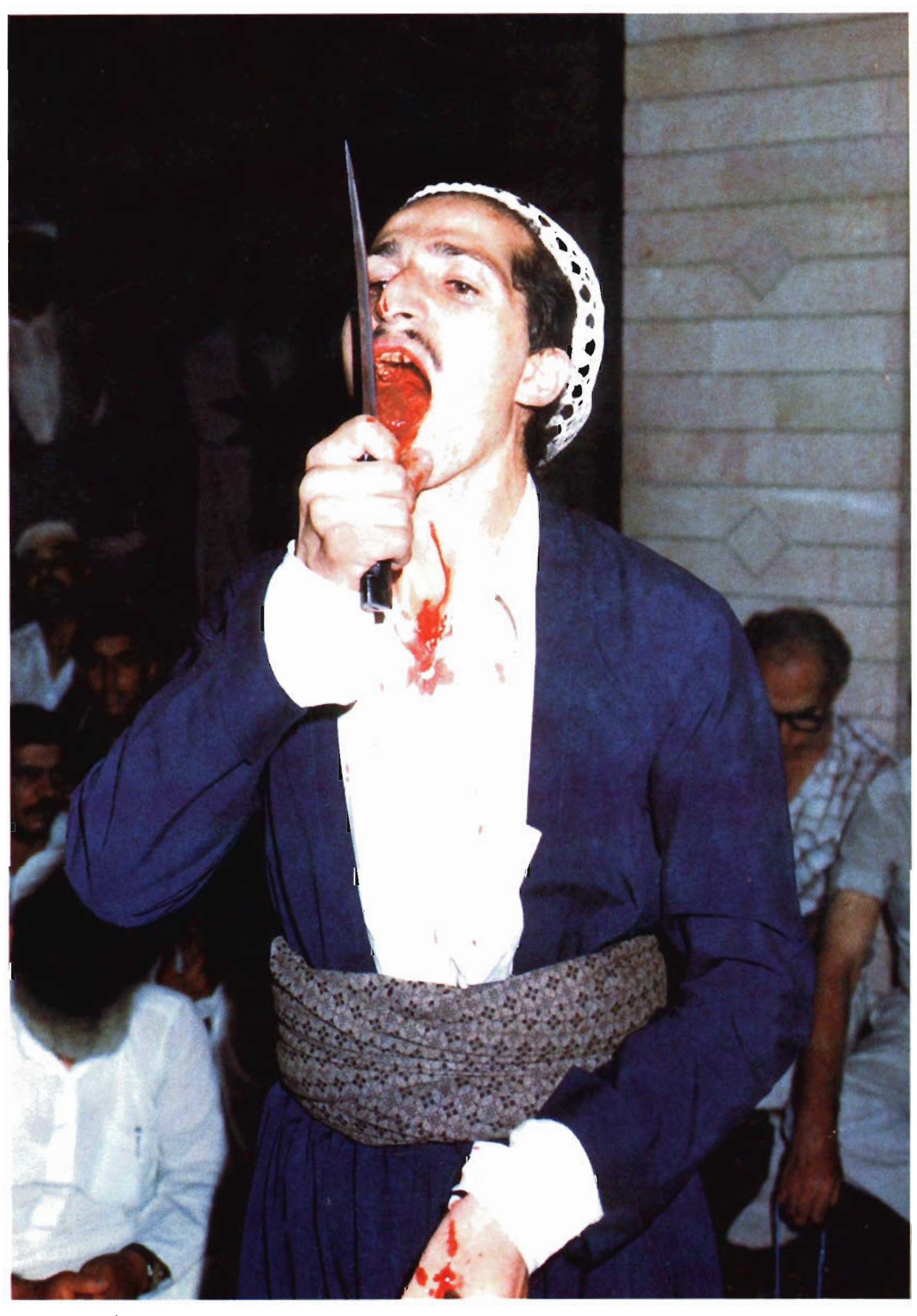
صورة لمريد كسنزاني وقد ادخل في قاعدة فمه عصا خشبية.



صورة لمريد كسنزاني وقد ادخل (حربة) في لسانه.



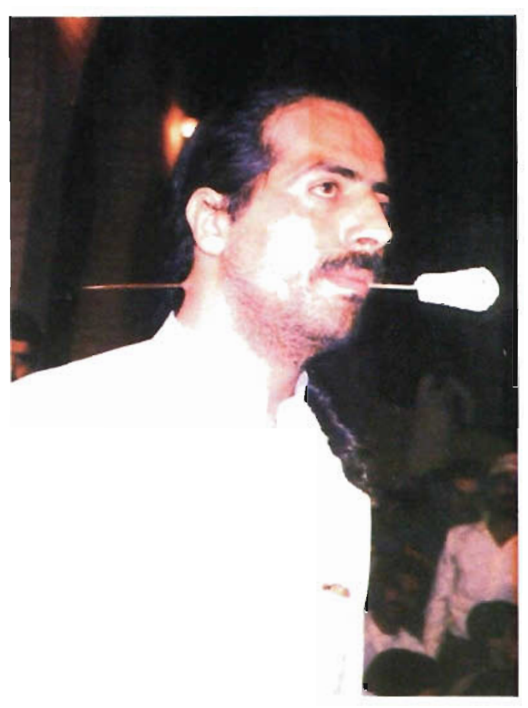
صورة لمريد كسنزاني وقد غرس عدد من الخناجر الحادة في مواضع مختلفة من عضام جمجمته باستخدام المطرقة.



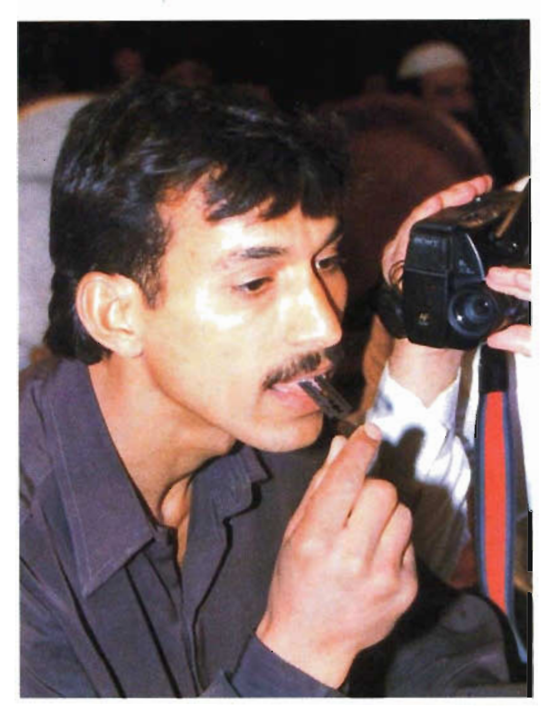
صورة لمريد كسنزاني وهو يمرر لعدد من المرات لخنجر حاد على لسانه ويظهر من خلال الصورة الدم المتدفق من لسانه.



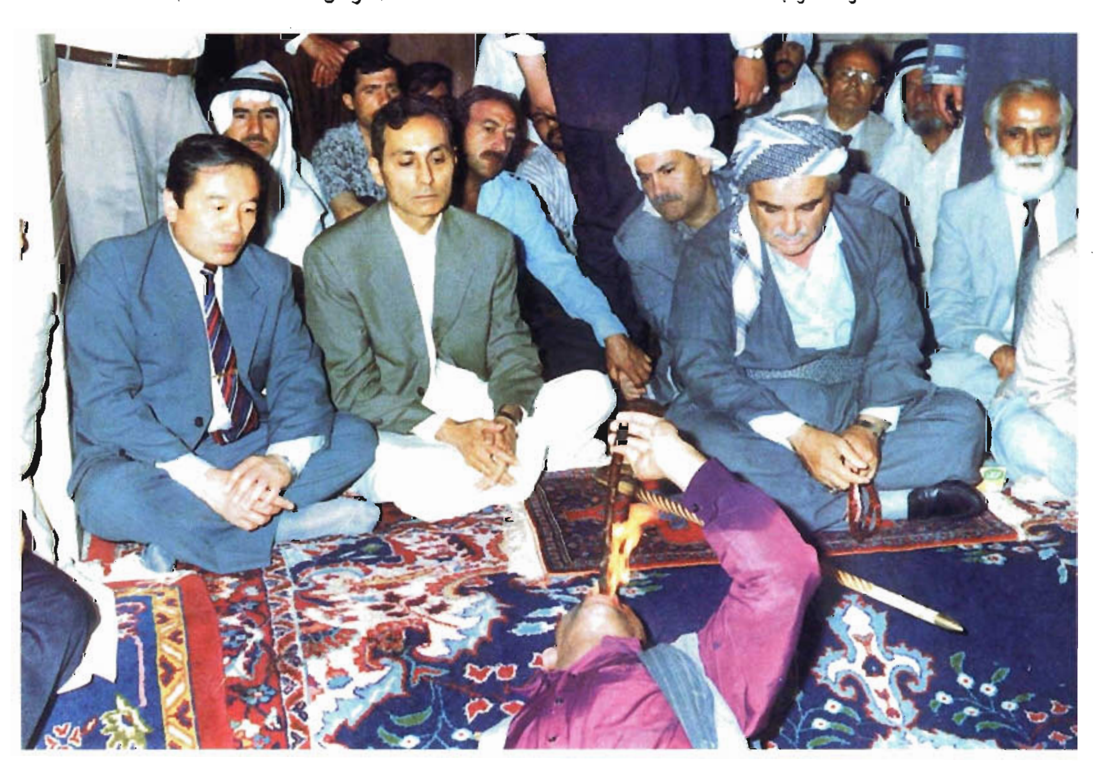
صورة لمريد كسنزاني وقد ادخلت (حربة) في رقبته.



صورة لمريد كسنزاني وقد أدخل (حربة) في خلال فمه مخترقة الرقبة.



صورة لمريد كسنزاني وهو يلتهم (أمواس الحلاقة الحادة).



صورة لمريد كسنزاني وهو يشرب النار.



صورة لمريد كسنزاني وهو يأكل زجاج لمبة (فلوريسان) كهربائية.



صورة لمريد كسنزاني وهو يعرض لسانه الى لدغات الافعى السامة.



صورة لأحد أبناء المريدين الكسنزانيين وقد أدخلت (حربة) في خديه.



صورة لمريد كسنزاني وقد ادخل (خنجراً) في بطنه ومخرجاً منها أحشاءه الداخلية والامعاء الدقيقة.

رابعاً : مقاومة النار ويتمثل ذلك بأن يشرب المريد النار المنبعثة من المشعل الناري ووضعه في فمه او حمل المريد قطعة حديدية تعرف بـ (الصاج) بعد ان توضع داخل النار وتسخن الى درجة الاحمرار ثم يحملها المريد بيديه العاريتين واسنانه لفترة زمنية ليست بالقصيرة، ومن الاشكال الاخرى لممارسة هذه الفعاليات حمل المريد بيد عارية قطعاً من الفحم الساخن (الجمر) ووضعها في فمه فيضاف الى خطر الاحتراق خطر استنشاق غاز اول اوكسيد الكاربون السام المنبعث نتيجة الاحتراق .

خامساً : مقاومة سم الافاعي والعقارب وفي هذه الفعالية يعرض المريدون ايديهم للدغات الافاعي السمة والعقارب، كما يعرضون السنتهم بشكل مقصود لهذه اللدغات، وفي اكثر الاحيان وعند استعراض هذه الفعاليات يقوم المريد بأكل رأس الافعى او التهام العقرب كاملة.

سادساً : مقاومة الصدمة الكهربائية حيث يعرض المريد جسمه ولعدة دقائق لتيار كهربائي بحيث يكون جسمه مكملاً لدورة كهربائية كاملة، وغالباً ما يوضع مصباح خلال الدورة لتوضيح واثبات سريان التيار خلال الدائرة الكهربائية

اضافة لما تقدم من الفعاليات الخارقة هناك فعاليات اخرى يمارسها مريدو الطريقة الكسنزانية فمنهم من يضرب على رأسه حجراً ضخماً او يضرب رأسه على الحائط بقوة لمرات عديدة ومتكررة او يمرر خنجراً حاداً على لسانه عدة مرات محدثاً فيه جروحاً عميقة تلتئم بشكل فوري او يمرر حربة في منطقة الرقبة، وهناك من المريدين من يطلق على نفسه عيارات نارية دون ان يؤدي به ذلك الى الموت .

ان ممارسة فعالية الخوارق في طريقتنا الكسنزانية من قبل المريدين ليست من الواجبات التي تفرضها الطريقة على المريدين لان هذه الفعاليات هي وسيلة لا غاية، وان هدف مشايخ الطريقة من وراء السماح لمريدي الطريقة بممارسة هذه الفعاليات الخارقة هو ارشاد الناس وحثهم على الرجوع الى طريق الحق والصواب والانخراط في مسلك الطريقة قال تعالى (**ادعُ الى سبيل رَبِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنةِ**)، لذلك لا يجوز

اطلاقا ممارسة هذه الفعاليات الخارقة في غير سياقها الارشادي القويم كأستخدامها للتفاخر امام الناس مثلاً اذ ان هذه الفعاليات تجري بفضل القوة الروحية لمشايخ الطريقة قدس الله اسرارهم وان ممارستها ومدى الحاجة الى القيام بها يحدده شيخ الطريقة في حالة وجوده وجوداً ظاهرياً في ذلك المكان، وفي الحالات الاخرى اي في حالة الارشاد فأن المريد نفسه يحدد مدى الحاجة لممارسة مثل هذه الفعاليات الخارقة لغرض الارشاد الذي يُعَد في فكر طريقتنا من اهم العبادات المفروضة على المريدين وواجب في كل وقت لا في اوقات محددة كغيرها من العبادات، فاذا وجد المريد ان ارشاده لشخص معين او لمجموعة من الناس يصبح ذا تأثير اقوى اذا صاحبته ممارسة بعض الفعاليات الخارقة الخاصة بطريقتنا يكون لزاماً عليه ممارسة هذه الفعاليات .

ان حقيقة الامكانية الفورية لاصلاح تلف جسم المريد والتئام الجروح فيه او مقاومة جسمه للنار او الصدمات الكهربائية او سموم الافاعي والعقارب هي امكانية القوة الروحية لمشايخ الطريقة الكسنزانية ذات القدرة غير المحدودة في الدَرَك لمن يقوم بهذه الفعاليات ولا علاقة للمريد بهذه الامكانية اطلاقاً، لذلك نلفت النظر الى ان هذه الفعاليات ما هي الا كرامات لمشايخ طريقتنا الكسنزانية تظهر على ايدي مريدي الطريقة .

ومما تجدر الاشادة به مدى التضحية والشجاعة التي تظهر جلياً على المريدين المتبعين طريقتنا الكسنزانية وهم يمارسون هذه الفعاليات الخارقة والتي تؤدي بفاعلها من غير المريد وفي ظروف اخرى الى الموت لا محالة، وهذا يدل دلالة واضحة على عمق الايمان الراسخ والشجاعة الفذة التي تمثل صورة حية ومتجددة لجهاد صحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين كانوا يحرصون على الاستشهاد في سبيل الله واعلاء كلمته فتوهب لهم الحياة .

ان الخصائص الفريدة التي تتميز بها الفعاليات الخارقة في طريقتنا الكسنزانية دون غيرها من الظواهر الباراسايكولوجية هي (التكرارية) اي ان هذه الخوارق باستطاعة المريد القيام بها متى شاء بعد طلب الرخصة من الشيخ، وهذا بالتأكيد تَفوّق لا حد له على الحوادث والقدرات الباراسايكولوجية والتي هي ظواهر ظرفية اي ان وقت ومكان حدوثها لا يقع تحت سيطرة احد .

المشيخة في الطريقة الكسنزانية

ان الجلوس على سجادة المشيخة في نظر اهل الطريقة هو اختيار وتعيين علوي يجري بأمر الله تبارك وتعالى وامر رسوله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين، وهو ينحصر كما ثبت روحياً وفي عالم الارواح في النخبة الطيبة المباركة من ذريات واحفاد مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية (**الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شئ**)(١) وان من اختير من بين هؤلاء لهذه المهمة المقدسة يكون دائماً موضع نظر الله ورعايته وعنايته فيفيض عليه ما يفيض من انوار جده المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ومدده وعونه ما يجعله فريد دهره وامام زمانه لتحقيق الامانة العظمى امانة الله في خلافة الارض (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون**)(٢) ولنشر الخير والنور والسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهداية الناس الى طريق الحق والايمان، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة (**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً**)(٣) وليحمل راية الطريقة والارشاد في كل مكان لتثبيت مفاهيم الاسلام ومثله العليا التي تمثلها جلية واضحة طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية حتى اهتدت بنورها الجموع الغفيرة في كل بقاع الارض .

ان سجادة المشيخة لا تثبت لاحد او تأتي اليه عن طريق الصدفة او بواسطة الكسب والعمل بل تأتي بإذن سابق من سلسلة مشايخ الطريقة مبتدئة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى حضرته يعود تعيين كل خلف او توكيل كل امر يتعلق بالطريقة منتهية بمن اختاره الله وعينه بفضله لحمل رسالة الطريقة ومسؤوليتها الكبيرة التي سرعان ما تصبح قوة روحية هائلة في يد الشيخ محققة له الاعاجيب من الامور الخارقة والاسرار الغريبة ما لا يخطر على بال احد ، ذلك لان المشيخة امر يرتبط بالقوة الروحية التي هي خارجة عن حدود المادة - ميدان الطاقة البشرية - فهي ليست منصباً دنيوياً

١) سورة الطور، الآية ٢١.
(٢) سورة الانبياء، الآية ١٠٥.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

مادياً ملموساً بحيث يمكن التزاحم عليه لان القوة الروحية التي تمنح للشيخ المعين على المشيخة فيض آلهي وقدرة ربانية جلّت عن الادراك البصري لذاتها ، فالايمان بها عن طريق رؤية افعالها فقط وليس لمسها كمادة لانها تجلّت عن ذلك .

ولذا فلا يمكن لاحد ان يفكر في نيل المشيخة بالجد والاجتهاد المنافسة لانها مكتوبة مقدرة في لوح مقادير الله سبحانه وتعالى ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحصورة في آل بيته الطاهرين (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[1] وتثبيتاً لحقيقة المشيخة في الطريقة الكسنزانية وحصرها في هذه العائلة المباركة نورد لكم الحقائق الاتية :-

الحقيقة الاولى :

١. تبين بوضوح من وصية الشيخ اسماعيل الولياني (قدس الله سره) غوث زمانه حيث قال في وصيته : (لا يمكن في اي حال من الاحوال والى قيام الساعة ان ينقطع الغوث من بين ابنائي واحفادي من الاجيال اللاحقة عبر السنين والاحقاب كما ان رتب الغوثية ستظل موجودة فيهم خاصة بهم) .

٢. ان معظم مريدينا المنضوين تحت لواء الطريقة يتميزون عن غيرهم ويصل المجتهدون منهم الى رتب الاقطاب وهي حالة مستمرة وملموسة مواكبة لمسيرة الطريقة الى يوم الدين .

الحقيقة الثانية :

تتجلى حقيقة بقاء المشيخة في هذه العائلة المباركة في معاهدة حضرة الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني قدس الله سره مع الله تبارك وتعالى حيث قال (انني قد اخذت من الله تبارك وتعالى عهداً وميثاقاً بأن تظل المشيخة باقية في اهل الطريقة واصحابها الحقيقيين ولا تخرج عنهم ابداً حتى وان لم يبق من افراد العائلة الكسنزانية

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

سوى عجوز عمياء فاستلمت المشيخة وسارت بها فأن الله تبارك وتعالى يسهل لها طريقها ويكون في عونها ما دامت هي متمسكة بالطريقة وتسلك سبيل الارشاد) .

الحقيقة الثالثة:

التي تؤكد ان المشيخة تكون بأذن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وانها باقية في اهل الطريقة العلية الكسنزانية تثبتها الحقيقة الاتية :

(روي عن الشيخ فرج السيد علي حينما كان في الخلوة في زمن الشيخ السلطان حين قدس الله سره العزيز وكان قد خطر له في نفسه اثناء خلوته حينما رأى حضرة الشيخ عبد الكريم قدس الله سره العزيز قد ركب فرسه على زيه الكامل مهاباً محتشماً وقد احاط به عدد من رجاله واتباعه وهو يقصد البراري للصيد فلما رآه على هذه الحال لم يتمالك نفسه الى ان قال اهذا هو الشيخ الذي خلف لنا الشيخ السلطان حسين قدس الله سره العزيز من بعده ليشغل سجادة المشيخة فتكررت هذه الحالة عنده ثلاث مرات او اكثر وبعدها بُلّغ الشيخ فرج بالحضور اما حضرة الشيخ السلطان حسين قدس الله سره العزيز فلما مثل بين يديه امتقع لونه من هيبته وقال له حضرة الشيخ قدس الله سره العزيز ماذا خطر ببالك يا شيخ فرج كف عن هذه الخطرات والله والله والله ما انا عينته ونصبته شيخاً على سجادة المشيخة انما جدنا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بتعيينه وجلوسه على سجادة المشيخة فصفا بعد ذلك قلب الشخ فرج من الخطرات وعاد الى خلوته مطمئن النفس .

الحقيقة الرابعة:

ومما يؤكد ايضاً بقاء المشيخة محصورة في اهل الطريقة العلية الكسنزانية رؤيتي ولقائي سيدنا محمد صلى الله تعلى عليه وسلم في المنام قبل وفاة والدي الشيخ عبد الكريم قدس الله سره العزيز بفترة قصيرة حضيت بلقاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام وكان صلى الله تعالى عليه وسلم متكئاً بظهره المبارك على مرقد

الشيخ السلطان حسين وهو مستقبل القبلة وحالما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم سرت باندفاع نحوه حتى جثوت على ركبتي بين يديه الشريفتين وبكل خشوع وخضوع مددت يدي وصافحت بكفي كف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث انتابني اثر ذلك نشوة روحية غامرة وحضور وحبور قلبي لا يمكن وصفه وبيانه، وفي هذه اللحظات المفعمة بالاشراقات الروحية السامية واللقاء الجسدي بحضرته تبين لي بوضوح انتقال حضرة الشيخ الى عالم الشهود والحق واني انا الذي سوف اخلفه والله على ما اقول شهيد .

الشيـــخ و الثـــروة

يعتقد الكثير من الناس بأن أموال الشيخ أو ثروته تعد مظهراً من مظاهر الترف والبذخ والعظمة والجاه إذ إن مثل هذه الأمور – في رأيهم – لا تليق بمكانة شيخ الطريقة أو أنها لا تتفق مع الصفات التي لابد من توفرها في الشيخ كالزهد والورع والصبر والمجاهدة التي هي من خصائص المتصوفين والتي تميزهم عن غيرهم ولكن الحقائق تثبت غير ذلك وتؤكد بان الشيخ الكامل بحكم مركزه الروحي والاجتماعي وبحكم منزلته الدينية لدى الخاصة والعامة يؤمه ويتوجه اليه يومياً الكثير من المريدين والاتباع واصحاب الحوائج إضافة الى ما تكلفه شؤون التكية (بيت الذكر) من النفقات المتعلقة بأمور الارشاد والطريقة في انحاء المعمورة، حيث ان كل ذلك يقتضي أموالاً طائلة لخدمة الطريقة والدين .

انّ الشيخ لا يهدف من وراء الاكتساب الشرعي للأموال الى التمتع الشخصي بها لأنه أبعد ما يكون عن ذلك فلا يطلب المال إلا لأجل الله وفي سبيل الخير العام ومما يثبت حقيقة ما أشرنا اليه هو ان مهمة الارشاد مهمة مباركة وشاقة وكبيرة تقع مسؤوليتها على الشيخ في نشر الإيمان والخير والفضيلة في النفوس عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تحصل عملية الجهاد هذه إلاّ بتعاون أهل الخير والأيمان فيما بينهم **(وَتَعاوَنُوا علىٰ البِرِّ و التَّقْوىٰ ولا تَعاونُوا علىٰ الإِثْمِ و العُدوان)**[1]، وذلك بتوجيه الأموال واستخدامها في نشر الأيمان وترسيخ العقيدة وتأمين المأوى والمؤونة للوافدين من أماكن مختلفة، لذا فإنّ ثروة الشيخ تُعدُّ ميزانيةً عامة للمريدين فهي بيت مال المسلمين .

ولقد كان الصوفية قديماً وحديثاً يضربون في الأرض للعيش والكسب من فضل الله تعالى وتدل ألقاب المتصوفين على اعمالهم التي كانوا يزاولونها في حياتهم اليومية لكسب قوتهم فمنهم الوراق، والخوّاص، والبزاز، والحلاج، والزجاجي، الصيرفي، والفراء

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

. وكان بعضهم فقيراً والآخر غنياً ومنهم العازف عن الدنيا ومنهم أصحاب ثروات عظيمة التي يؤدون فيها حق الله وينفقون منها في سبيله : (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(1) .

[والفرق بين الصوفية وغيرهم هو ان الدنيا لا تستعبدهم وانما تستعبد غيرهم وانهم لا يلقون بقيادهم إلاّ لله سبحانه وتعالى فلا يلقون بقيادهم الى مالٍ أو جاه أو منصب أو رياسة أو غير ذلك مما يَذلُّ أهل الدنيا وأهل الاهواء الذين يتخذون دنياهم واهواءهم آلهة يعبدونها من دون اللّـه إنهم أغنياء أو فقراء تحققوا بقوله تعالى : (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)(2)](3).

وتتضح هذه الأمور في الحقائق الآتية :

١- بينما كان الشيخ الغوث الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره جالساً في مجلسه يَعِظ مُريديه خطر على قلب أحد المريدين خاطر يقول : كيف يمكن أن يكون قيد فرس الشيخ مصنوعاً من الذهب وهو الشيخ الزاهد سلطان العارفين العازف عن الدنيا وزخرفها ؟! ولما إنتهى الشيخ قدس الله سره من وعظه مَثُلَ بين يديه فقير ذو خصاصه* فعرض على الشيخ حالته فأمر الشيخ خادمه بأن يعطيه قيد فرسه الذهبي ليسد الفقير به حاجته ثم التفت الى ذلك المُريد وقال : لمثل هذه المواقف نجمع الاموال ونحتفظ بها يا ولدي .

٢- روى ابن عطاء الله في كتاب لطائف المنن (قال بعض المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والأجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض اصحاب هذا الشيخ أن يسافر الى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الشيخ اذا دخلت الى بلد كذا فأذهب الى أخي فلان فأقرأه مني السلام واطلب الدعاء منه لي فأنه ولي من أولياء الله تعالى قال : فسافرت حتى قدمت تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدلت على

---

(1) سورة الذاريات، الآية ١٩.

(2) سورة الحديد، الآية ٢٣.

(3) المنقذ من الضلال، عبد الحليم محمود، ص٢٣.

* شدة الفقر .

دار لا تصلح إلاّ للملوك فتعجبت من ذلك وطلبته فقيل لي هو عند السلطان فأزداد تعجبي، وبعد ساعة، وإذا هو آتٍ في أفخر ملبس ومركب، وكأنما هو ملك في موكبه. قال : فأزداد تعجبي أكثر من الأول . قال : فهممت بالرجوع وعدم الأجتماع به، ثم قلت : لا يمكنني مخالفة الشيخ . فأستأذنت، فأذن لي، فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد، والخدم، والشارة الحسنة، فقلت له : أخوك فلان يسلم عليك . قال: جئت من عنده ؟ قلت : نعم . قال : إذا رجعت اليه قل له : إلى كم اشتغالك بالدنيا ؟ وإلى كم اقبالك عليها ؟ والى متى لا تنقطع رغبتك فيها ؟ فقلت : هذا واللّه أعجبُ من الاول، فلما رجعت الى الشيخ، قال : إجتمعتَ بأخي فلان ؟ قلت : نعم . قال : فما الذي قال لك ؟ قلت : لا شيء. قال : لابد أن تقول لي ؟ فأعدت عليه ما قال، فبكى طويلاً وقال : صدق أخي فلان، هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده، وعلى ظاهره، وأنا أخذها من يدي، وعندي اليها بقايا التطلع .

وقد رأينا في هذا المجال من الواجب ان نُذكّر مُريدينا بأن التكية (بيت الذكر) هي من المراكز الروحية اينما كانت وهي الموقع الأساس لانطلاق الطريقة وتوجيهاتها نحو الخير العام ونشر العمل الصالح بين المسلمين في كل مكان، وان هدف الطريقة هو محضُ هداية الناس الى طريق الله والتمسك بذكره تعالى وتقواه، وتكوين مجتمع اسلامي يسوده الايمان والاخاء والمساواة والتعاون والمحبة تحت راية الطريقة ومنطلقاتها الصحيحة .

ولما كان للتكية هذ المسؤولية وهذه الاهمية في البناء الروحي للمجتمع وبحكم احتلالها مكانة بيت مال المسلمين وقيامها بالانفاق المالي على كافة الامور المتعلقة بعمل الطريقة فقد وجب ان يكون هذا البيت بيت مال للجميع، فزكاة المريدين تكون مخصصة له اضافة لما يقدم بأسم الطريقة من تبرعات المريدين واهل الخير حيث تتجمع هذ الاموال في التكية الرئيسية وتوظف لخدمة الدين والجهاد في سبيل الله ومن وكل عليها فهو مأمور بالحفاظ عليها وعدم استخدامها في اغراضٍ شخصية خاصة لانها اموال موقوفة لخدمة عباد الله فقد اخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابي حميد الساعدي رضي الله عنه قال استعمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلاً من الأزد

يقال له ابن لُتَبيّة على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهديَ اليّ، قال فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال (اما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فياتي فيقول هذا لكم وهذا هدية اهدي اليّ افلا جلس في بيت ابيه وامه حتى تاتيه هدية ان كان صادقاً ؟! والله لاياخذ احدٍ منكم شيئاً بغير حقه الا لقي الله يحمله يوم القيامة ان كان بعيراً له رغاء او بقرة لها خوار او شاةً تيعر) ثم رفع يديه حتى روي بياض ابطيه ثم قال (اللهم هل بلغت)

فضم رسول الله صلى الله عليه وسلم المال الذي جاء به ابن لتبية كله الى بيت مال المسلمين.

الاستقامة على الطريقة

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)[1].

وقال تعالى : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا)[2].

ما أعظم هذه البشرى من الله تبارك وتعالى الى عباده المؤمنين الذين استقاموا على طريقه تبارك وتعالى والتزموا بأوامره وانتهوا عن نواهيه يالها من بشرى رُفِعَ عنهم الخوف والحزن وبلغوا مرتبة عالية ليكونوا من أهل الجنة التي وعدهم الله بها بسبب استقامتهم واخلاصهم في عبادة الله فطوبى لكم أيها المؤمنون المستقيمون فالله تبارك وتعالى قد خصكم بنعمة لم يخص بها غيركم وهي أنه وليكم وراعيكم ينزل عليكم رحمته.

والأستقامة هي مواصلة السلوك الدائم والسير على نهج القرآن الكريم ونهج الرسول العظيم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان عظيماً في إستقامته على الجهاد وصبوراً على العبادة فهو حقاً مثال رائع وقدوة مثلى، ومن عظيم عباداته انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقيم الليل حتى تورمت قدماه الشريفتان وحينما وجِّه الى حضرته لِمَ هذا الجهد وان الله تبارك وتعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان جوابه (أفلا أكون عبداً شكوراً) .

قال القشيري : الإستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ)[3]، ومن لم يكن مستقيماً في حالته لم يترفع من مقام الى غيره ولم يثبت سلوكه على صحته .

وقال أيضاً : سمعت أبا علي الدقاق يقول الإستقامة لها ثلاث مدارج أولها

---

(١) سورة فصلت، الآيات ٣٠، ٣١.

(٢) سورة الجن، الآية ١٦.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٢.

التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة، فالتقويم من حيث تأديب النفوس والأقامة من حيث تهذيب القلوب والاستقامة من حيث تقريب الأسرار .

وقال ابو بكر بن فورك : السين في الاستقامة سين الطلب أي طلبوا من الحق ان يقيمهم على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم واعلم أن الاستقامة توجب ادامة الكرامة قال تعالى : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا)[1] فلم يقل سقيناهم بل قال أسقيناهم يقال اسقيته اذا جعلتُ له سقياً فهو يشير الى الدوام . وقال ابن عطاء في شرح الآية (اي استقاموا على إنفراد القلب بالله) .

وحُكِي عن الشبلي انه قال : الاستقامة ان تشهد الوقت قيامةً، والاستقامة في الاقوال لمن ترك الغيبة وفي الافعال بنفي البدعة وفي الاعمال بنفي الفِتْرة وفي الأحوال بنفي الحجبة .

وقال الواسطي : الأستقامة هي الخصلة التي بها كمنت المحاسن وبفقدها قبُحت المحاسن .

وقال ابو علي الجوزجاني (كن صاحب الأستقامة لا طالب كرامة فأن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة .

ونقل القشيري قول ابي علي السنوسي : (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقلت له رُوي عنك أنك قلت شيبتني هود فما الذي شيبك منه قصص الانبياء أو هلاك الأمم فقال لا ولكن قوله : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرتَ)[2] .

فالاستقامة هي الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق .

قال الجنيد قدس الله سره : رأيت شاباً من المُريدين في البادية تحت شجرة من أم غيلان فقلت ما اجلسك ها هُنا قال حال افتقدته فمضيت وتركته فلما إنصرفت من الحج إذ أنا بالشاب وقد إنتقل الى موضع قريب من الشجرة فقلت ما جلوسك ها هُنا فقال وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فَلَزمتَهُ قال الجنيد فلا أدري ايهما أشرف،

(١) سورة الجن، الآية ١٦.

(٢) سورة هود، الآية ١١٢.

لزومه لأفتقاد حاله أو لزومه للموضع الذي لقي فيه مراده .

فالاستقامة بعد ذلك هي المداومة للسالكين والمؤمنين على العبادات والطاعات حتى يحظوا بلقاء ربهم (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[1]، فَهُمْ في غاية النشوة والرضا بعطاء اللّه تعالى لهم .

وما استقام إمرؤ على أوامر اللّه تعالى وتقواه إلاّ رسم له طريقاً يحقق له الفوز في دنياه وأُخراه قال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)، واذا كانت الاستقامة هي اصل كل العبادات بما فيها الفرائض وتطبيق الشريعة فأن المؤمن أو السالك لابد أن يكون من السبّاقين الأولين في أمور الجهاد والأرشاد لأمتثال أوامر اللّه تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) .

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩٩.

المجاهـــدة

المجاهدة : إشتقاقاً من الجهد وهو الطاقة المبذولة لعمل معين والجهاد كل صراع بين الحق والباطل أريد به وجه الله سبحانه وتعالى، فالصراع بين المسلمين والمشركين يسمى جهاداً وصراع الأنسان مع نفسه جهاداً أيضاً .

قال تعالى : (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى.فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**)[1]، وثواب المجاهدة عند الله هدايته لعباده المجاهدين.

قال تعالى : (**وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**)[2] .

وقال تعالى : (**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**)[3] .

وقال تعالى : (**وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)[4] .

ورُوى عن الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم أنه قال (**رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر** فقيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ **قال جهاد النفس**)

وقال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم**) .

وعن فضالة ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**المجاهد من جاهد نفسه في الله**)[5].

وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (**ما من عمل احب الى الله تعالى من الجوع والعطش**) .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (**الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع والعطش**) .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (**جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله**) .

---

(١) سورة النازعات، الآيات ٤٠، ٤١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.
(٤) سورة التوبة، الآية ٤١.
(٥) اخرجه الترمذي.

والمجاهدة عند اهل الطريقة هي عملية ليِّ عنان النفس وترويضها على الطاعات وكسر حدة شهواتها وقد علموا بنظرهم الثاقب وبصيرتهم النيرة أن الجوع أقوى سلاح ضد هذه الشهوات .

قال *الامام الصادق عليه السلام* (طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه . ومن هزم حينئذٍ هواه ظفر برضى الله . ومن جاوز عقله نفسه الأمّارة بالسوء بالجهد والأستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى، فقد فاز فوزاً عظيماً . ولا حجاب أظلمُ وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى، وليس لقتلهما وقطعهما سلاح واله، مثل الافتقار الى الله سبحانه . والخشوع والجوع والظمأ بالنهار، والسهر بالليل، فأن مات صاحبه مات شهيداً، وان عاش واستقام أداه عاقبته الى الرضوان الأكبر . قال تعالى عز وجل : ((**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**)) . واذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في الاجتهاد فوبّخ نفسك ولُمها وعيّرها تحثيثاً على الأزدياد عليه واجعل لها زماناً من الامر وعناناً من النهي وسقها كالرابض للفارة الذي لا يذهب عليه خطوة من خطواتها، إلاّ وقد صحح أولها وآخرها وكان رسول الله يصلي حتى تتورم قدماه ويقول : أفلا أكون عبداً شاكراً أراد أن تعتبر به أُمته فلا تغفلوا عن الأجتهاد والتعبد والرياضة بحال . ألا وانك لو وجدت حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضاءت بنورها لم تصبر عنها ساعةً واحدة ولو قُطّعتَ إرباً إرباً فما أعرض عنها من أعرض إلاّ بحرمان فوايد السلف من العصمة والتوفيق)[1] .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره : (لا تشتغل بغسل ثياب بدنك وتَذرنَّ ثياب قلبك وسخة، إغسل القلب أولاً ثم إغسل الثياب آخراً، إجمع بين الغسلين والطهارتين، إغسل ثيابك من الوسخ واغسل قلبك من الذنوب ولا تغتر بشيءٍ فأن ربك فعال لما يريد)[2] .

وقال قدس الله سره (المؤمن يشتفي من نفسه إذا جاعتها الأذية، يقول لها وعظتك فلم تتعظي من هذا حذرتك يا جاهلة يا كافرة ياعدوة الله . كل من لا يحاسب نفسه ولا

---

(١) العالم الفكري للامام الصادق، عادل خير الدين ص٢٩١.

(٢) جلاء الخاطر كلام السيد الشيخ عبد القادر، ص٣٧ الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزاني.

يحاققها ولا يعظها لا يفلح قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (**من لم يكن له واعظ من نفسه لم ينفعه وعظ واعظ**) . فمن اراد الفلاح فليعظ نفسه ويزهدها ويجاهدها)[1].

وقال ايضاً (اترك الشهوات فتركُها فيه الشفاء وصفاء القلوب، الشبع من الحلال يُعمي القلب ويسكره فكيف من الحرام ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (**الحميةُ راس الدواء والبطنة راس الداء و آكل الجسد ما اعتاد**) . فالبطنة تطفيء نور الفطنة ومصباح الحكمة ونور الولاية)[2].

قال الامام الجنيد قدس الله سره (سمعت السري السقطي يقول : يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مَبلَغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت، وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة)[3].

قال أبو عثمان المغربي رحمه الله (من ظن أنه يفتح له بهذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها لا بلزوم المجاهدة فهو في غلط)[4].

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى (من زيَّن ظاهرهُ بالمجاهدة حَسَّنَ الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى : (**و الذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا**) . وأعلم انه من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدةٍ لم يجدمن هذه الطريقة شمةً)[5].

قال زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى (إن نجاة النفس أن يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلب منها ربها)[6].

قال محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في كتاب الفتوحات المكية : (ولما رأت عقول أهل الأيمان بالله تعالى إن الله تعالى قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية، علمت أن ثمّ علماً أخر بالله لا تصل اليه من طريق الفكر، فأستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات وقطع العلائق والأنفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار إذ كان متعلّق الأفكار الأكوان، واتخذت هذه الطريقة من

---

(١) جلاء الخاطر كلام السيد الشيخ عبد القادر، الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزاني ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣-٤-٥) الرسالة القشيرية ص٤٨-٥٠ .

(٦) تعليقات على الرسالة القشيرية/ زكريا الأنصاري.

الأنبياء والرسل) .

وقال ابن عجيبة (المجاهدة فطم النفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات وخرق عوائدها في جميع الحالات)[1] .

ولما كانت النفس جاسوس إبليس اللعين ووسيلة في الأغواء فقد أشتد السالكون في محاربة هذا الجاسوس واتخذوا من الجوع سيفاً بتاراً لا ينثلم ضده، قال عبد الواحد بن زيد متحدثاً عن أهل الطريقة (والله ما مشوا على الماء إلا بالجوع ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع)[2] ، فأنت ترى الأهتمام والتركيز على الجوع لان فيه يحصل صفاء القلب ونفاذ البصيرة ويزداد الفكر توقداً . وفي الجوع أيضاً تذل النفس ويزول البطر والطغيان وتكسر شهوات المعاصي وبالجوع يحصل السالك خفة في البدن وزوال للنوم فهو المساعد الأول على السهر، قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه (الشبعُ نَهرٌ في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده الملائكة وتنهزم الشياطين من جائعٍ نائم فكيف اذا كان قائماً)[3] .

وقال ابو القاسم القشيري (اساس باب الطريق هو الجوع لأنهم لم يجدوا ينابيع الحكمة تحصل إلاّ به)[4] ، وحدد ابن عجيبة مراجع المجاهدة بثلاثة مراجـــع :-

١- أن لا يأكل إلا عند الفاقه .

٢- أن لا ينام إلا على غلبة شديدة .

٣- أن لا يتكلم إلا عند الضرورة .

وهذا حال سيدنا السلطان حسين الكسنزاني قدس الله سره حيث بقي سنة كاملة طعامه فيها ملعقة صغيرة من العسل وقليل من الشاي في اليوم الواحد .

وهكذا كان حال أبيه الشيخ عبد القادر الكسنزاني وأخيه الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدست اسرارهما، جربوا فوجدوا النور كله في خلو البطن .

ولما كسر المُريد نفسه بالجوع وذللها فقد أصبحت تنقاد اليه فعليه ان يوجهها الى

---

(١) معراج التشوف الى حقائق التصوف/ابن عجيبه.

(٢) الرسالة القشيرية.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

التهذيب والتأديب فيلزمها ترك الكبر والعجب والغرور والغضب وتحقير الناس والطمع في الدنيا وحب الذات حتى تستقر وترى نفسها على حقيقتها ضعيفة ذليلة وتعلم قدرة الله فتقع في حبه تدريجياً فتأنَسَ به وتستوحش عن غيره وتهيم في البراري حائرة مقبلة على العطش والجوع اقبالها على الطعام والشراب .

[وأول مرحلة في المجاهدة عدم رضا المرء عن نفسه وإيمانه بوصفها الذي أخبر عنه خالقها ومبدعها : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)[1] . وعلمه أن النفس أكبر قاطع عن الله تعالى كما أنها أعظم موصل اليه وذلك أن النفس حينما تكون أمارةً بالسوء لا تتلذذ إلا بالمعاصي والمخالفات، ولكنها بعد مجاهدتها وتزكيتها تصبح راضية مرضية لا تُسر إلا بالطاعات والموافقات والأستئناس بالله تعالى][2] .

[ولما كان طريق المجاهدة وَعرُ المسالك متشعب الجوانب، يصعب على السالك ان يلجه منفرداً كان من المفيد عملياً صحبة مرشدٍ خبيرٍ بعيوبها عالم بطرق معالجتها ومجاهدتها، يستمد المُريد من صحبة المرشد (شيخ الطريقة) خبرةً عمليةً بأساليب تزكية نفسه، كما يكتسب من روحانيته نفحاتٌ قدسيةٌ تدفع المريد الى تكميل نفسه وشخصيته، وترفعه فوق مستوى النقائص والمنكرات، فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرشد الأول والمزكي الأعظم الذي ربى اصحابه الكرام وزكى نفوسهم بقاله وحاله، كما وصفه الله تعالى بقوله : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[3]][4] .

(**والخلاصة** إن المجاهدة أصل من أصول الطريقة وقد قالوا من حقق الأصول نال الوصول ومن ترك الأصول حُرِمَ الوصول .

وقالوا أيضاً : من لم تكن له بداية محرقةٌ بالمجاهدات لم تكن له نهاية مشرقة والبدايات تدل على النهايات)[5] .

---

(١) سورة يوسف، الآية ٥٣ .

(٢) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص١١٦ .

(٣) سورة الجمعة، الآية ٢ .

(٤) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص١١٨ .

(٥) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص١٢٩ .

السلــوك فــي الطريقـــة

لما كان الشيخ هو المربّي والطبيب المعالج لنزوات النفس وكبح شهواتها من اجل السير بالمُريد نحو النجاة والصفاء فقد فرض المشايخ الكرام قدس الله اسرارهم سلوكاً خاصاً لمُريدي طريقتنا اضافة الى الاوراد وفروض الطاعة التي فرضها القران الكريم ويهدف هذا السلوك الى تنوير قلب المُريد وصفاء سريرته والسمو به نحو الامور الروحية كنوع من المجاهدات ضد النفس وفيها يتعاون المُريد مع الشيخ لتطبيق السلوك وبالتالي الانتصار على سلطان الغواية النفسية وينقسم السلوك في الطريقة الى قسمين :

اولاً – الرياضة (الترويض النفسي) : ومُدة الرياضة فيه اربعون يوماً وينص المنهج على ما يلي :–

أ. يمتنع المُريد عن اكل المنتوجات الحيوانية ومشتقاتها كافة في فترة الرياضة .

ب. يقلل من اكل الخبز تدريجياً لان له صفة وتأثير اللحوم على النفس وشهواتها .

جـ. يقلل من كلام الدنيا ويَجدُّ في ذكر الله سبحانه تعالى .

د. يَجدُّ في إيجاد الطعام الحلال والابتعاد عما فيه شبهة مهما كانت صغيرة .

هـ. يقلل من شرب الماء وخاصة البارد منه لانه يحث على الغفلة او النوم . ولتسهيل مهمة المُريد السالك تُقسَّم فترة الرياضة الى اربع مراحل لكل مرحلة عشرة ايام من حيث الطعام وكما يأتي :–

العشرة الاولى : للمُريد رغيف واحد من الخبز يومياً مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي .

العشرة الثانية : للمُريد نصف رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والشاي يومياً .

العشرة الثالثة : للمُريد ربع رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي يومياً .

العشرة الرابعة : السبعة الاولى له ثلاث تمرات يومياً بدون خبز .

الثلاثة ايام الاخيرة : يكتفي بالماء والشاي فقط .

العبادات

أ. الاذكار : اضافة الى الاوراد اليومية المكلف بها المُريد (ورد الصباح، ورد العصر، ورد العشاء) . يعمل المُريد بالاوراد الدائمية وبعدد مئة الف مرة لكل ورد .

ب. الصلاة : على المُريد اضافة الى الصلواة الخمس ان يؤدي السنن التالية :

- سنة الوضوء : وهي ركعتان بعد كل وضوء وقبل ان تجف الاعضاء .
- ركعتان قبل صلاة الفجر .
- سنة الضحى : ووقتها بعد إرتفاع الشمس مقدار رُمح وعددها اربعة في أقلها .
- اربع ركعات قبل صلاة الظهر واربعٌ بعدها .
- اربع ركعات قبل صلاة العصر .
- ركعتان بعد صلاة المغرب وبين صلاة المغرب والعشاء سنة الاوابين وعددها ست ركعات في الاقل .
- ركعتان قبل صلاة العشاء وركعتان بعدها .
- صلاة الوتر : ثلاث ركعات بعد صلاة العشاء .
- سنة صلاة التسابيح : وهي اربع ركعات وكما يلي :

١- الركعة الاولى : بعد الفاتحة وقراءة سورة من القرآن الكريم يقول (استغفر اللّه سبحان اللّه والحمد لله ولا إله الا اللّه والله اكبر ولا حول ولا قوة الا باللّه العلي العظيم) خمس عشرة مرة ثم بعد ذلك يقولها عشر مرات في كل حركة (ركوع . سجود . اعتدال . وقوف) فيكون مجموعها في الركعة الواحدة خمس وسبعون مرة وهكذا بقية الركعات .

ملاحظة : لا يحق للمُريد المتريض النوم في الليل مطلقاً وله ان ينام بعد شروق الشمس لمدة ساعة . ومن المستحسن للمُريد ان يصوم ايام الاثنين والخميس من كل اسبوع والايام البيض وهي (١٣-١٤-١٥) من كل شهر قمري .

ثانياً - الخلوة : الخلوة من الخلو وهو الفراغ والمكان الخالي الذي لا يتواجد فيه إنسٌ عموماً واصبح الرجل خالياً اي بقي وحده لا انيس من البشر معه .

فأصل الخلوة هو الابتعاد عن البشر والانقطاع الى الله سبحانه وتعالى للاجادة في عبادته والتفكر في آلائه واحسان شكره . والخلوة عند بعض العارفين هي العزلة عن النفس وماتدعو إليه مما يشغل عن ذكر الله وقيل (الخلوة الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر)، ومشروعية الخلوة واردة في القران الكريم قال تعالى : على لسان اصحاب الكهف : (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُواْ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا)[1] .

وقال تعالى : (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً)[2] .

وأول من إبتدأ سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان يعتزل الناس في غار حراء حتى أتاه الحق من ربه وما ترك ذلك بعد البعثة . وأقل الخلوة عشرة ايام لأعتكافه عليه الصلاة والسلام عشراً، واكثرها لاحدٌ له وتشير آراء اهل الطريقة الى الاربعين يوماً نسبةً الى مواعدة النبي موسى عليه السلام وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي).

ويرى ابن عربي ان زمن الخلوة يختلف بأختلاف اصحاب الخلوة فيقول (وليس لها حدٌ زمني معين فقد يفتح لواحد في يومين عين ما يفتح لآخر في شهرين) .

والخلوة أن يستوحش المؤمن الناس ويأنس بربه ولا يرى غيره متجرداً عن نفسه فيبتعد عن حديث الناس ومشاغل الحياة ومغرياتها فيفرغ قلبه من الهموم وتَصفو أفكاره ويجّد في مناجاة ربه معلناً له انه قد ترك كل شيء وجاء اليه بقلب سليم من جميع الادران التي تطغي على قلوب الناس فينزل النور على قلبه وتتنور بصيرته حتى تتفجر ينابيع الحكمة في قلبه ويستقر فيه ما شاء الله من علوم الغيب .

وعلى صاحب الخلوة ان يمارس الرياضة ومجاهدات سابقة للخلوة بفترة كي تعتاد النفس على الحالة وتصبح فيها طبعاً وعادة ولا تشعر بالتغير المفاجيء فينشغل عن الذكر والمناجاة . قال الامام الصادق عليه السلام صاحب العزلة متحصن بحصن الله تعالى ومتحرس بحراسته فيا طوبي لمن تَفرد سراً وعلانيةً وهو يحتاج الى عَشرةِ خصَّال،

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٦ .

(٢) سورة المزمل، الآية ٨ .

علم الحق والباطل، وتحبب الفقر، واختيار الشدة والزهد، واغتنام الخلوة والنظر في العواقب ورؤية التقصير في العبادة مع بذل الجهود وترك العجب وكثرة الذكر بلا غفلة، فإن الغفلة مصطاد الشيطان ورأس كل بلية وسبب كل حجاب .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره كيف لا يحب الصالحون الخلوة وقلوبهم قد إمتلأت بالأنس من ربهم عز وجل ؟ شراب القرب يحييهم والصحو يميتهم وكلام الشوق يقربهم ويطلعهم على الاسرار تحسبهم مجانين بالاضافة الى الخلق، عقلاء وحكماء وعلماء بالأضافة الى اللّه عز وجل، من اراد ان يكون زاهداً فليكن هكذا وإلا فلا يتعب . يامتكلّفاً يامُتصنعاً ياهْذياناً بما انت عليه، هذا الأمر لا يتم بصيام النهار وقيام الليل والتخشّن في المطعم والملبس مع وجود النفس والبؤس والجهل ورؤية الخلق، لا يجيء هذا الشيء الا بهُداه . ويلك، أخلِص وتخلّص لعل في الأمر دِقّة خفت، اصدق وقد وصلت وقُرّبت، إعلُ بهمتك وقد علوت، سلم وقد سلِمت، وافق وقد وفقّت، إرض وقد رُضي عنك، اسرع وقد تممّ الحق عز وجل لك، اللهم تولّ امورنا وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[(١)] .

وضرورة الخلوة ان يحاول السالك قدر الامكان إخفاء عمله هذا عن الناس قال ابن عربي (شروط الخلوة ان قدرت ان لا تعرف أحداً أنك في خلوة) والقصد منها تطهير القلب وإفراده لذكر الله تعالى إستعداداً لتقبل النور المرسل إليه من اللّه ولكنها لا تكون بدون شيخ عارف يُعلّم المُريد اذا جهل ويذكره إذا غَفل وساعده على طرد الوساوس الشيطانية والهواجس النفسية .

فالخلوة بدون أمر الشيخ مخطرةٌ كبيرة تُخرج المُريد عن حدود التقوى وتجرفَهُ الى مهاوي الضياع .

ولصاحب الخلوة امورٌ لا بد ان يعمل بها وهي حب الفقر والزهد وبذل الجهد وترك العجب وكثرة الذكر وحدة البصيرة وتجاوز الغفلة ويُقسِّم ابنُ عَربي اصحاب الخلوات على ثلاثة اقسام حسب غاياتهم . فجعل القسم الاول الذين يطلبون الخلوة لصفاء الفكر لانهم يطلبون العلم من افكارهم وهم علماء المادة وقال ابن عربي وهذه الخلوة لا يدخلها أهل

---

(١) جِلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، الناشرالسيد الشيخ محمد الكسنزاني، ص٧٧-٧٨ .

الله . وأما القسم الثاني فهم من غَلبت عليهم وحشة الناس حتى أهل بيتهم وإستوحشوا الحركة في الحياة فطلبوا الخلوة حباً في السكون والهدوء .

وأما القسم الثالث فهو خلوة اهل الله المحبين للذكر لا الفكر فليس للفكر عليهم من سلطان ويطلبون علماً من ربهم فلا يريدون وارداً ولا شهوداً ولا يستلذون بما يصل لهم من هذه الاشياء اثناء الخلوة وانما هدفهم علم الله جل شأنه وعلا)[1] .

اهميّة الخلوة

قال الامام الشافعي (ومن احب ان يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الاكل وترك مخالطة السفهاء وبعض اهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب)[2] .

وقال الامام الغزالي (واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فأنها دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصبُ اليه مياه كريهةٌ كَدِرةٌ قذرة من انهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف)[3] .

وقال ابن عربي (فأن المتأهب الطالب للمُريد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود إذا لزم الخلوة والذكر وفرَّغ المحل من الفكر وقَعدَ فقيراً لا شيء له عند باب ربه حينئذٍ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلم به الاسرار الالهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه وتعالى بها على عبده الخضر فقال : **(عَبداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رحمةً مِنْ عِنْدِنا وعلَّمناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً)**[4]، وقال تعالى : **(و اتقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ)**[5]، فيحصل لصاحب الهمة في الخلوة مع الله وبه جلّت هيبتهُ وعَظمت مِنته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة بل كل صاحب نظرٌ وبرهان ليست له هذه الحاله)[6] .

---

(١) كتاب الخلوه لابن عربي .
(٢) بستان العارفين للنووي، ص٤٧ .
(٣) احياء علوم الدين ج٣، ص٦٦ .
(٤) سورة الكهف، الآية ٦٥ .
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٢ .
(٦) الفتوحات المكية ج١، ص٣١، ابي عربي .

وقال الدكتور مصطفى السباعي (والخلوة والقيام لله بالعبودية في اعقاب الليل لذةٌ لا يدرِكها إلا من أكرمهُ اللّه بها وقد كان إبراهيم بن ادهم رحمه الله يقول في اعقاب تهجده وعبادته نحن في لذةٍ لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها)[1] .

وليست الخلوة هي آخر مرحلةٍ في السلوك بل هي خطوة في طريق الوصول الى الله تعالى ولا بد ان تليها خلواتٌ ومجاهدات طويلة ومذاكرة متواصلة بهمةٍ وصدقٍ واستقامة .

---

(٦) مذكرات في فقه السيره، الدكتور مصطفى السباعي، ص١٨ .

الخلوة في الطريقة الكسنزانية

يدخل المُريد الخلوة للمواظبة على ذكر الله تعالى ومجالسة الحق جل شأنه ومناجاته كما ورد في الحديث القدسي (**انا جليس من ذكرني**) .

ولا بد للمُريد من اخذ الامر بالخلوة من الشيخ لانها بدون امره ومراعاته ومراقبته خطرة جداً على المُريد بسبب النشاط القوي الذي يبديه الشيطان ضده وتفننه في الغواية ولا يسلم من الوقوع في حبائله من لم يكن له شيخ يرشده إذا تاه ويعلمه إذا حارَ وينبهه إذا غفل ويدلّه على الطريق الصحيح .

الطعام : يقسم الطعام الى اربعة مراحل مدة كل واحد منها عشرة ايام .

العشرة الاولى : للمُريد رغيف واحد من الخبز يومياً مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي .

العشرة الثانية : للمُريد نصف رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي يومياً .

العشرة الثالثة : للمُريد ربع رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي يومياً .

العشرة الرابعة :

السبعة الاولى : له ثلاث تمرات يومياً بدون خبز .

الثلاثة ايام الأخيره : يكتفي بالماء والشاي فقط .

العبــادات

أ. الأذكار : إضافة الى الاوراد اليومية المكلف بها المُريد (ورد الصباح، ورد العصر، ورد العشاء) يعمل المُريد بالأوراد الدائمية وبعدد مئة الف مرة لكل ورد واذا انتهى منها قبل انتهاء الخلوة يعود بها مرة اخرى من البداية .

ب. الصلاة : على المُريد اضافة الى الصلواة الخمس ان يؤدي السنن الآتية :

- سنة الوضوء : وهي ركعتان بعد كل وضوء وقبل ان تجف الاعضاء .
- ركعتان قبل صلاة الفجر .
- سنة الضحى : ووقتها بعد إرتفاع الشمس مقدار رمح وعددها اربعٌ في أقلها .
- اربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربعٌ بعدها .
- اربع ركعات قبل صلاة العصر .
- ركعتان بعد صلاة المغرب وبين صلاة المغرب والعشاء .

ملاحظة : بعد صلاة المغرب يقف المُريد ويذكر (ياخبير) مئة مرة وهو واقف يومياً ثم يجلس يباشر بالاوراد، وعلى المُريد ان يمشي مئة خطوه ويسبح بهذه التسبيحة (صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يارسول الله) مئة مرة يومياً.

الجلوس : يجلس المُريد في الخلوة كما يجلس في الصلاة (وضع التحيات) واذا تعب يسمح له بالتربع لأجل الاستراحة فقط، ويتجه بأتجاه القبلة وهو مغمضٌ عينيه ويعمل بأوراده ولا يحق له الأتكاء ولا يخطر على باله خاطر دُنيوي مطلقاً .

الخلـــوة الخاصــــة

وهي الخلوة التي اوصى بها السيد الشيخ الغوث اسماعيل الولياني قدس الله سره العزيز لتصفية نفوس المُريدين وترقية احوالهم وهي ليست فرضاً عليهم وانما ممارستها أمرٌ اختياري لزيادة التقرب الى اللّه تعالى ومدتها مئة وعشرون يوماً مقسمة على ثلاث مراحل لكل مرحلة اربعون يوماً وبنفس الاسلوب المتبع في الخلوة الكسنزانية من حيث الطعام والعبادة بأستثناء الاذكار حيث تكون كما يأتي :

- تبدأ الخلوة بذكر (لا إله الاّ الله) لمدة اربعين يوماً وبعدد سبعين الف مرة يومياً .

- وفي الاربعين يوماً الثانية يذكر السالك (اللّه) وبعدد سبعين الف مرة يومياً .

- وفي الاربعين يوماً الثالثة يذكر السالك (هُو) وبعدد سبعين الف مرة يومياً .

فيصبح قلب السالك لا يرى إلا اللّه وينسلخ قالبه البشرى الى الروحانية ولا ينطق إلا بالله تعالى فيصل قلبه الى اليقين وتنقطع عنه العلائق الدنيوية فيفوز فوزاً عظيماً إن شاء الله وهذا اصل شغل السالكين الى طريق الله عز وجل .

خــوارق العــادات

الخوارق هي عمل اشياء خارجة عن حدود تصور العقل البشري او كسر قوانين اعتاد الناس عليها والِفتها الطبيعة البشرية والاتيان بما هو مخالف لها وتقسم الى اربعة تقسام :

١- اعمال خارقة للعادة يستحيل على البشر الاتيان بها اذا اعتمد على قوته وحده وهي من الله سبحانه وتعالى يجريها على يد انبيائه لاظهار صدقهم وتكون مقرونة بدعوى النبوة وتسمى **(معجزات)** .

٢- اعمال خارقة ايضاً يجريها الله سبحانه وتعالى على يد اوليائه تكريماً لهم ولاظهار صدق صلاحهم ولا تقرن بدعوى النبوة وتسمى **(كرامات)** .

٣- اعمال غريبة الحدوث يجريها الله سبحانه وتعالى على يد اعدائه لاظهار كذبهم في دعواهم وتأتي مخالفة لطلبهم وتسمى **(اهانات)** كما حدث لمسيلمة الكذاب حين تفل في عين ارمد طلباً لشفائه فعميت وتفل في بئر مالح فغار الماء وجف البئر ومسح رأس يتيم فصار اقرعاً .

٤- اعمال خارقة يجريها الشيطان على يد اوليائه ليضلهم عن السبيل وتأتي حسب طلب القائم بها وتسمى **(استدراجات)** فان استعمل فيها تعاويذ واستخدم فيها جان فهي سحر والعمل به كفر لقوله تعالى: **(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)**[1] .

فالكرامات هي اعمال خارقة للعادة والطبيعة يقوم بها اولياء الله من السالكين او مُريديهم ويظهرها الله سبحانه وتعالى على ايدي هؤلاء الصالحين تكريماً لهم وليس بامكان المُريد عمل شيء منها مالم يستمد من بركة الشيخ ويتوسل بجاهه عند الله، وقوة الكرامة تعتمد على درجة او مرتبة الشيخ في الادراك فما يقوم به الشيخ الفلاني قد يعجز عنه غيره الذي يسلك نهجاً غير هذا النهج برغم اجتماع الطرق واتصالها جميعاً

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٢ .

بحضرة الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم ولكن الفتح الرباني للعباد السالكين يختلف باختلاف اجتهادهم في السلوك والعبادة .

ولقد اعتاد الناس على تسمية كل امر خارق بالسحر ونسبه الى اعمال شيطانية ولكن الكرامة غير ذلك فكل عمل من هذا النوع ينهار امام الحقيقة كالحيل والخدع البصرية التي لا وجود لها على الواقع اما الكرامات فقد اثبت المشايخ الكرام حقيقتها باللمس والنظر وقد دحضت كرامات مشايخ الكسنزان كل التحليلات النفسية والتأثيرات المغناطيسية وصور الاشعة وثبت للجميع ان الحراب تخترق الاكباد وان الخناجر تدخل في الرؤوس حقاً وحقيقة وان التأثير الروحي للشيخ والرابطة الروحية بينه وبين مُريديه بعيدة كل البعد عن التأثير المغناطيسي وانما هي لمسة روحية الهية مستمدة من نور الله متصلة على شكل سلسلة مع حضرة الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم .

دليل الكرامات في الكتاب والسنة

دلت قصص كثيرة من القرآن الكريم على وجود الكرامات واثباتها لغير الانبياء فمنها قصة اصحاب الكهف حيث ناموا ثلاث مائة سنة وازدادوا تسعاً بلا غذاء ولا مقومات الحياة ودل اجماع الامة على انهم ليسوا انبياء .

* وتساقط الرطب على السيدة مريم من نخلة يابسة يُعد من الكرمات لانها ليست نبية وانما اجمع العلماء على ولايتها .
* كما ان نقل عرش بلقيس على يد آصف ابن برخيا في طرفة عين يعد من كرامات آصف لانه لديه علم الكتاب وهو ليس نبياً وكذلك ورد في القرآن الكريم افعال سيدنا الخضر عليه السلام التي لم تكن الا كرامات له وذَكره القران انه عبد صالح .
* كما ان رؤية زوجة فرعون بيتها في الجنة اثناء التعذيب يعد من الكرمات لها .

واما في الحديث النبوي الشريف فقد وردت احاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم عن كرامات الاولياء فمنها حديث الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم عن جُريج الراهب الذي كلمه الطفل الرضيع ومنها حديث الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم عن

اصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار ثم انفرجت بدعائهم كما ان حديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن البقرة التي كلمت صاحبها عندما اثقل عليها الحمل دليل على ورود الكرامات في الحديث النبوي الشريف .

كرامات الاولياء حق

أجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له ان يخرق العادة إذا شاء .

وجاء في كتاب اليواقيت والجواهر ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره (كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعدَ الصوفية على قواعدها التي لا تزلزل ويؤيد ذلك ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ، إلاّ اذا سلك طريقهم) قال ايضاً (من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم في اعمالهم ما يقع على ايديهم من الكرامات والخوارق) .

كرامات آل البيت عليهم السلام

لقد كان وما زال لآل البيت النبوي الشريف سلام الله عليهم اجمعين كرامات واعمال خارقة يعجز عنها من لم تكن له تلك العناية الألهية الخاصة وذلك التكريم الرباني العظيم، وقد تناولنا بعضاً من كرامات *الامام علي* عليه السلام في موضعها وآثرنا ان نسرد هنا بعضاً من كرامات الائمة بعده من اولاده واحفاده عليهم السلام، واستفدنا من كتاب كشف الغمه في معرفة الائمة للعلامة ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي حيث جمع عدداً كبيراً من كرامات الائمة الاطهار في كتابه الآنف الذكر ولما احتجنا الى ذكر الكرامات كدليل لأثباتها رجعنا اليه مُعيناً، يقول صاحب كتاب كشف الغمه:

* روى سالم بن حفصه قال عمر بن سعد *للحسين* عليه السلام يا ابا عبد الله إن قبلنا ناساً سفهاء يزعمون اني اقتلك فقال *الحسين* عليه السلام انهم ليسوا بسفهاء ولكن حلماء اما انه يقر بعيني انك لا تأكل بُرّ العراق الا قليلاً .

* وروى الكليني قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا محمد بن اسماعيل بن موسى بن جعفر قال حدثني ابي عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد عليهم السلام ان *علي بن الحسين زين العابدين* دعا لحبّابة الوالبيه فرد الله عليها شبابها وأشار اليها بأصبعه فحاضت لوقتها ولها يومئذٍ مئه وثلاث عشر سنة .

* وقال ابو حمزة الثمالي كنت يوماً عند *علي ابن الحسين* عليه السلام فاذا عصافير يطرن حوله ويصرخن فقال يا ابا حمزة هل تدري ما تقول هذه العصافير ؟ قلت لا قال فانها تقدس ربها وتساله قوت يومها .

* وكان *علي بن الحسين* عليه السلام في سفر وكان يتغذى وعنده رجل فاقبل غزال في ناحية يتقمم فقال له *علي بن الحسين* أُدنُ فكل فأنت آمن فدنا الغزال من السُفرة فقام الرجل الذي كان معه بحصاة فقذف بها ظهره فنفر الغزال ومضى فقال *علي بن الحسين* أخفرت ذمتي لا كلمتك كلمة ابداً .

* وعن عمر بن سالم قال سرتُ مع *ابي جعفر* – يعني الامام الباقر عليه السلام – ما بين مكة والمدينة وهو على بغلة وانا على حمار اذ اقبل ذئب يهوي من رأس الجبل حتى دنا من *ابي جعفر* فحبس البغلة ودنا الذئب حتى وضع يده على قربوس سرجه وتطاول بخطمه واصغى اليه *ابو جعفر* باذنه ملياً ثم قال اذهب قد فعلت فرجع الذئب فقال لي اتدري ما قال؟ فقلت الله ورسوله وابن رسوله اعلم قال انه قال لي يا بن رسول الله ان زوجتي في ذلك الجبل قد عسر عليها ولادتها فادع الله ان يخلصها ولا يسلط احداً من نسلي على احد من شيعتكم قلت قد فعلت .

* وتلكأت ناقة *علي بن الحسين* عليه السلام في المسير فاراها السوط وقال لتنطلقنَّ او لأفعلنَّ فانطلقت وما تلكأت بعد ذلك حتى وصلت .

* وعن مالك الجهيني قال كنت قاعداً عند *ابي جعفر* الباقر عليه السلام فنظرت اليه وجعلت اقول في نفسي لقد عظمك الله وكرمك وجعلك حجة على خلقه فالتفت الي وقال يا مالك الامر اعظم مما تذهب اليه .

* وعن ابي الهذيل قال قال لي *ابو جعفر* الباقر عليه السلام يا ابا هذيل انه لا تخفى علينا ليلة القدر ان الملائكة يطوفون بنا فيها .

* وعن عبد الله بن عطاء المكي قال اشتقت الى *ابي جعفر* الباقر عليه السلام وانا بمكة فقدمت المدينة ما قدمتها الا شوقاً اليه فأصابني في تلك الليلة مطر وبرد شديد فانتهيت الى بابه بعد منتصف الليل فقلت اطرقه الساعة او انتظر حتى يصبح ؟ وبينما انا افكر سمعته يقول يا جارية افتحي الباب لابن عطاء فقد اصابه الليلة برد واذى .

* وعن عباد بن كثير البصري قال قلت *للباقر* عليه السلام ما حق المؤمن على الله ؟ فصرف وجهه عني فسألته ثلاثاً فقال من حق المؤمن على الله ان لو قال لتلك النخلة اقبلي لاقبلت فنظرت والله الى النخلة التي كانت هناك قد تحركت مقبلةً فأشار اليها قُرّي لم أعْنِك .

* وعن جابر قال كنا عند *الباقر* عليه السلام نحو خمسين رجلاً اذ دخل عليه كُثيّر

النوّاء فسلم وجلس ثم قال ان المغيرة بن عمران يزعم ان معك مَلكاً يُعَرِفُكَ الكافر من المؤمن وشيعتك من اعدائك فقال الباقر ما حرفتك ؟ قال ابيع الحنطة فقال كذبت فقال وربما الشعير، قال ليس كما ذكرت بل تبيع النوا، فقال من اخبرك بهذا قال الملَك الرباني يُعرفني شيعتي من عدوي ولست تموت الا تائهاً، قال جابر فلما انصرفت الى الكوفة ذهبت في جماعة نسأل عن كُثيّر فَدُلِلنا على عجوز قالت مات تائهاً منذ ثلاثة ايام .

* وعن ابي البصير قال دخلت على *ابي عبد الله* - يعني الصادق عليه السلام - وانا اريد ان يعطيني من دلالة الامامة فلما دخلت وكنت جُنباً قال يا ابا محمد اما كان لك فيما كنت فيه شغل، تدخل علي وانت جُنب ؟ فقلت ما عملته الا عمداً، فقال أولَم تُؤمن ؟ قلت بلا ولكن ليطمئن قلبي قال نعم يا ابا محمد قم فأغتسل .

* وعن شعيب العقرقوفي قال دخلت انا وعلي بن حمزة وابو البصير على *ابي عبد الله* الصادق عليه السلام ومعي ثلاثمائة دينار فصببتها قُدامه فأخذ منها قبضة ورد الباقي عليَّ وقال يا شعيب رد هذه المئة دينار الى موضعها الذي اخذتها منه فلما خرجنا من عنده قال ابو بصير يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردها عليك ؟ قلت اخذتها من عروة اخي سراً منه وهو لا يعلمها قال شعيب فلما عددنا الدنانير وجدناها مئة دينار كاملة .

* وعن رزام بن مسلم مولى خالد بن عبد الله القسري قال ان المنصور قال لحاجبه اذا دخل عليَّ جعفر بن محمد يعني الصادق عليه السلام فاقتله قبل ان يصل اليَّ فدخل ابو عبد الله فجلس فأرسل المنصور الى الحاجب فنظر اليه وجعفر قاعد عنده ثم قال له عد الى مكانك قال فاقبل الحاجب يضرب يداً بيد فلما قام *ابو عبد الله* وخرج دعا الحاجب فقال باي شيء امرتك ؟ فقال والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج ولا رأيته الا وهو قاعد عندك .

* وعن هشام بن احمر قال كتب *ابو عبد الله* رقعة في حوائج لاشتريها وكتب اذا قرأت الرقعة خرِّقها فاشتريت الحوائج واخذت الرقعة فادخلتها في زنفلجتي وقلت أتبرك

بها وقدمت عليه فقال ياهشام اشتريت الحوائج ؟ قلت نعم قال وخرّقت الرقعة ؟ قلت ادخلتها زنفلجتي واقفلت عليها الباب اطلب البركة وهو ذا المفتاح قال هشام فرفع جانب مُصلاّته وقدّم الى الرقعة وقال خرِّقها فخرقتها ورجعت فَفَتشْتُ عنها فلم اجدها .

* وعن عمر بن يزيد قال اشتكى *ابو عبد الله* شكاة شديدة فخفت عليه وقلت في نفسي اسأله عن الامام بعده فبادرني بالجواب قبل ان اسأله وقال ليس عليٌ من وجعي هذا بأس .

* وروى عن يونس بن ظبيان قال كنت عند *الصادق* عليه السلام مع جماعة فقلت قول الله لابراهيم : (فَخُذْ أَربعةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِليْكَ)[1] أكانت اربعة من اجناس مختلفة ام من جنس واحد ؟ فقال اتحبون ان اريكم مثله ؟ قلت نعم فقال ياطاووس فاذا الطاووس طائر بحضرته وقال ياغراب فاذا الغراب بين يديه ثم قال ياباز فأذا بازٌ بين يديه ثم قال ياحمامة فاذا حمامة بين يديه ثم امر بذبحها كلها وتقطيعها ونتف ريشها وان يخلط ذلك كله بعضه ببعض ثم اخذ برأس الطاووس فقال ياطاووس فراينا لحمه وعظامه وريشه يتميز عن غيره حتى التصق ذلك برأسه وقام الطاووس بين يديه حياً ثم صاح بالغراب فقام حياً وبالبازي والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها احياء بين يديه .

* وعن هشام بن الحكم قال اردت شراء جارية بِمِنى وكتبت الى *ابي الحسن* - يعني الكاظم عليه السلام - اشاوره فلم يردُ علي جواباً ولما كان الطواف مرّ بي يرمي الجمار فنظر الي والى الجارية ثم اتاني كتابه (لا ارى بشرائها بأساً ان لم يكن في عمرها قلة) فقلت والله ما قال لي هذا الحرف الا وها هنا شيء، لا والله لا اشتريها قال هشام فما خرجت من مكة حتى دفنتْ .

* وعن الوشاء قال حدثني الحسين بن علي قال حججت انا وخالي اسماعيل بن الياس فكتبت الى *ابي الحسن* - الكاظم عليه السلام - وكتب خالي ان لي بنات وليس لي ذكر وقد قتل رجالنا وقد خلفت امراتي حاملاً فادعُ الله ان يجعله غلاماً وسمّه فوقّع

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

في الكتاب قد قضى الله حاجتك فسمّه محمداً فَقَدِمنا الكوفة وقد ولد له غلام قبل وصولنا بستة ايام .

* وعن عثمان بن عيسى قال ابو الحسن لابراهيم بن عبد الحميد يا ابراهيم قال لبيك قال الى اين ؟ قال الى قبا، قال في اي شيء ؟ قال كنا نشتري في كل سنة هذا التمر فأردتُ ان آتي رجلاً من الانصار لاشتري منه التمر، فقال وقد أمِنتم الجراد ؟ ثم مضى فاخبرت ابا الاعز وقلت واللهِ لا اشتري هذا العام نخلة فما مرت خامسة حتى بعث الله جراداً فاكل عامة ما في النخل .

* وعن المفضل بن عمر قال بعد وفاة *الامام الصادق* عليه السلام ادّعى ابنه عبد الله الامامة بعد ابيه فأمر *موسى* -الكاظم عليه السلام - بجمع حطب كثير في وسط داره وارسل الى اخيه عبد الله فلما صار اليه ومع *موسى* جماعة من الامامية امر *موسى* بطرح النار في الحطب فأحترق حتى صار جمراً ولا يعلم الناس السبب في هذا العمل حتى قام *موسى* وجلس بثيابه في وسط النار واخذ يحدث الناس ساعة ثم قام فنفض ثوبه ورجع الى المجلس فقال لاخيه عبد الله ان كنت تزعم انك الامام بعد ابيك فأجلس في ذلك المجلس، قالوا فرأينا عبد الله قد تغير لونه وقام فخرج من بيت *موسى* .

* وقال اسحاق بن عمار اقبل ابو بصير مع *ابي الحسن* - الكاظم عليه السلام - من المدينة يريد العراق فنزل في منطقة (زبالة) فدعا بعلي بن ابي حمزة وكان تلميذاً لابي بصير فجعل يوصيه بحضرة ابي بصير ويقول ياعلي اذا صرنا الى الكوفة تقدم في كذا وافعل كذا فغضب ابو بصير وخرج من عنده فقال لا والله ما أرى هذا الرجل، انا أصحبه منذ حين ثم يتخطاني بحوائجه الى بعض غلماني، فلما كان من الغد حُمَّ ابو بصير فدعا بعلي بن ابي حمزة فقال استغفر الله مما حصل في صدري من مولاي ومن سوء ظني فيه، كان قد علم اني ميت واني لا ألْحَقْ بالكوفة فمات ابو بصير هناك .

* عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن بعض اصحابه ان *ابا الحسن* - علي الرضا عليه

السلام - خرج من المدينة يريد الحج في السنة التي حج فيها هارون الرشيد فأنتهى الى جبل عن يسار الطريق يقال له (فارع) فنظر اليه *ابو الحسن* ثم قال (يا فارع هادمه يُقطّع ارباً ارباً) فلم ندرِ ما معنى ذلك فلما بلغ هارون ذلك الموضع نزله وصعد جعفر بن يحيى الجبل وامر ان يبنى له مجلس فلما رجع من مكة صعد اليه فأمر بهدمه فلما انصرف الى العراق هارون الرشيد قطّع جعفر بن يحيى ارباً ارباً .

* وكانت امرأةٌ بخراسان تسمى زينب فأدعت انها علوية من سلالة *فاطمة* عليها السلام فسمع بها *علي الرضا* عليه السلام فقال هذه كذابة فسفهت عليه وقالت كما قدحت في نسبي فانا اقدح في نسبك فأخذ بيدها واحضرها عند السلطان وقال ان هذه كذابة على *علي وفاطمة* عليهما السلام وليست من نسلهما فان من كان حقاً بضعة من *علي وفاطمة* فان لحمه حرام على السباع فالقوها في بركة السباع فان كانت صادقة فلا تقربها السباع فلما سمعت ذلك منه قالت فانزل انت الى بركة السباع فان كنت صادقاً فانها لا تقربك فقام *الامام علي الرضا* عليه السلام الى بركة السباع وقال والله لأنزلنَّ اليها فنزل والناس ينظرون من اعلى البركة فلما حصل بين السباع أقعت جميعها الى الارض على اذنابها وصار يأتي اليها واحداً واحد ويمسح وجهه ورأسه وظهره الى ان اتى على الجميع ثم طلع والناس ينظرون اليه فقال للسلطان انزل هذه الكذابة فأمتنعت فأمر السلطان اعوانه بألقائها فمذ رأتها السباع وثبوا عليها وافترسوها .

* وعن ابراهيم بن موسى قال الححت على *ابي الحسن* عليه السلام في شيء طلبته فكان يعدني، فخرج ذات يوم يستقبل والي المدينة فلما انفرد وحده اتيته وليس معنا ثالث فقلت جعلت فداك هذا العيد قد اظلنا واللهِ ما املك درهماً فما سواه، فحك بسوطه الارض حكاً شديداً ثم ضرب بيده فتناول منه سبيكة ذهب فقال استنفع بها واكتم ما رأيت .

كـرامـــات الصحـابـــة

لقد كان للصحابة الكرام كرامات عديدة ولكنهم لم يكونوا محتاجين اليها كي يزيد اعتقادهم فقد كان ايمانهم كبيراً واخلاصهم اكبر الا ان كرامات الصحابة لم تكن لها اهمية بالغة في وقتها لخُفوتِها امام نور النبوة في ذلك الوقت ولكنها ازدادت وكثرت بعد انتقال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم الى دار البقاء ونذكر منها :

* ان الامام *علي بن ابي طالب* كرم الله وجهه رفع باباً حديدياً في يده يعجز عن رفعه عدة رجال وذلك في معركة خيبر .
* وان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اخبر قبل وفاته انه ستولد له مولود انثى بعد وفاته فكان كذلك .
* وصاح عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ياسارية الجبل) وهو على المنبر في المدينة وسارية في نهاوند بالعراق فسمعه سارية ونفذ امره، كما القى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً في النيل وكان يفيض فيغرق المزروعات فنقص النيل كثيراً حتى خاف الناس فالقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه كتاباً اخر يقول (ان كنت تجري من قِبَلِكَ فلا حاجة لنا بك وان كان الله يجريك فنسأله ذلك) فعاد النيل الى جريانه الاعتيادي .
* وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه (مابالُ احدكم يدخل علي وفي عينيه اثر الزنا) قال هذا لرجل رأى امرأة في الطريق فتأملها بشهوة .
* ومشى جعفر بن ابي طالب في الهواء وشرب خالد بن الوليد السم فلم يضره .
* وكان سعد بن ابي وقاص اذا دعا استجاب الله دعائه وكان البراء بن عازب من الصحابة اذا اقسم على الله ابره وكان خُبيب بن عدي اسيراً عند المشركين ويأتيه العنب في غير وقته .
* وقد اضاء سوط أُسيد بن حُضير لما خرج من عند رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم في ليلة ظلماء حتى وصل الى داره . وكان عامر بن قيس الصحابي العابد يأخُذ العطاء فلا يجد سائلاً الا اعطاه فيعود الى بيته والدراهم كاملة .

الكرامات في طـور جديـد

دأب الاولياء منذ البداية في سلوكهم على الاحتفاظ بكراماتهم سريةً بسبب الحياء الذي كان ينتابهم ومنعاً لسوء الظن بهم من قبل الاخرين ولكن الولي يجوز له اظهار كرامته اذا كان هناك سبب يدعو الى ذلك كزيادة اعتقاد المُريدين او تثبيت ايمانهم : **(قُـلْ هَـاتُـوا بُرهانَكُمْ اِنْ كُنتُـم صَـادِقِين)**[١] .

وما كان للناس ان يتبعوا بشراً مثلهم مالم يجدوا فيه حالةً تفوّق عليهم وهذا دأب الانبياء كذلك قـال تعالى : **(يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اتّـقُـوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ)**[٢]، ونتيجة لذلك فقد اظهر المشايخ الكسنزانيون كراماتهم لسببين :

أ. **انتفاع الناس بها** : كان الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم مناراً ومنبع بركة للمسلمين فكانوا ينتفعون بدعائه في شفاء امراضهم وتفريج كربهم وكانوا يتبركون بأدواته صلى اللّه تعالى عليه وسلم وقد ظهرت فوائد جمة للصحابة من جراء استعمالهم لادوات الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم وكانوا يستسقون به وبآله من بعده، ولما كان المشايخ وارثي نوره ولمسته الروحية فقد ساروا على نهجه ومنحوا بركاتهم الضعفاء والمرضى ونفع الله بهم خلقاً كثيراً .

ب. **احياء السنة النبوية** : نتيجة للتطور الحضاري وهجوم المدينة الحديثة بكل ما تحويه من اغراءات وتعشق للمادة، ولتقادم العهد واتساع الهُوّة بين الاسلام الحق المتمثل بالرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم واصحابه وبين الجيل الحديث فقد ادى الى جعل هذا الجيل ينظر الى الاسلام وكأنه حالةٌ قديمةٌ واصبحت شخصية الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم وبطولات الصحابة شيئاً عادياً لا تثير في نفوس الشباب الاّ ما تثيره أية شخصية بطولية في أدب معين واصبح الشباب المسلم يرى في القصص والروايات والافلام ما يجعله يتخيل ان كل ما يقرأه عن الاسلام مشابهٌ لهذه الافكار او بعبارة اخرى اصبح بعض الشباب المسلم يعتقد أن كُلّ ما كتب عن الاسلام هو خيال كُتّاب وان قصة التوحيد وحادثة الاسراء والمعراج

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١١ .

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩ .

ليست الا جزءاً من ادب الجاهلية صاغته خيالات الكُتّاب كما صاغت الكوميديا الالهية ورسالة الغفران وقصة حي بن يقظان، ناهيك عن الالعاب البهلوانية والخدع البصرية التي يقوم بها اصحاب السيرك معتمدين على قوانين فيزيائية وكيميائية واسس نفسية فأختلط الامر على الشباب حتى ان المعجزة التي كانت تُعدّ أمراً خارقاً قبل اربعة عشر قرناً اصبحت الان امراً عادياً في نظر الجيل الجديد لما يراه من خوارق على الشاشة، أضف الى ذلك ان تعاليم الدين الاسلامي الحنيف تقوم على اساس مخالفة النفس والرغبات مما جعل الشباب الذي اعتاد اطلاق هواه ينفر منها وبذلك فأن المصلح الديني والمرشد الداعي الى احياء الدين والسنة لا بد له من اظهار كرامات جديدة خارقة بمستوى الحضارة في هذا الزمن ولكي يقتدي به الناس لا بد من التأثير الروحي عليهم بواسطة النور الالهي المستمد من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فليس ثمة فرق بين عرب الجزيرة ومجتمع اليوم من ناحية الجهل الديني، فالكرامات هي جزء من بركات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنها بأسلوب جديد يتناسب ومتطلبات العصر الحديث والحضارة الجديدة والفكر الراقي الى مستوى اعلى من الفكر البدوي في الجزيرة العربية قبل اربعة عشر قرناً وهي المعجزة الصغرى التي يمنحها الله سبحانه وتعالى لاوليائه تحقيقاً لاصطفائه لهم وتثبيتاً لقلوب مُريديهم واقبال الناس على التوبة على ايديهم والسلوك على نهجهم الذي اختاره الله لهم واعدهم لينهضوا بمهمة احياء الدين، ولقد نجح المشايخ الكسنزانيون المؤيدون بالله في جذب الشباب الضائع من حلقة الفراغ الى فلك الدين الاسلامي الحنيف بواسطة اظهار كراماتهم سواء في اثبات خوارق جسدية او شفاء امراض اعجزت الطب الحديث لذا فأن اظهار الكرامات اصبح امرً واجباً وضرورياً للشيخ المرشد .

الكرامات بعد انتقال المشايخ

الكرامة بالنسبة للولي هي حالة او درجة وصل اليها ونالها بالتكريم الحاصل له من قبل الله سبحانه وتعالى ولما كان الله سبحانه وتعالى هو الفاعل للكرامات ومجريها

على ايدي اوليائه فلا يقصد المُريد المستمد من الشيخ نسْبَ الشيخ الى القدرة على الخلق والايجاد والاستقلال بالفعل وتحريك الاشياء وشفاء الامراض، ان مثل هذا الاعتقاد لا يمكن ان يصدر عن مسلم عاقل ولكن الذي يحصل هو التوسل الى الله بجاه الشيخ قدس الله سره عند الله لعلم المُريد ان الشيخ صاحب حظوة عند الله وموضع تفضيل على باقي الناس، وكرامات المشايخ في حياتهم الدنيا كثيرة وواضحة لا ينكرها الا معاند او سفيه وغالباً ما تكون في قضاء حوائج الناس لارادة الله سبحانه ان ينفع البشر بهم فهي اما أن تكون بدعائهم او بالتوسل الى الله بهم .

ان الكرامة تحصل بفعل الله تعالى وارادته لا شريك له في ذلك اما الاولياء فهم محل ظهور الكرامات اذ ان الله سبحانه وتعالى اختار هؤلاء الاشخاص ليكونوا محلاً لاظهار الخوارق امام الناس بفعله وبما ان الله سبحانه وتعالى حيٌّ دائماً فأن هذه الكرامات مستمرة ايضاً دائمة بدوامه . ان الولي عندما ينتقل الى العالم الاخر لا تنقطع كراماته لسببين :

أ. ان الولي بعد انتقاله من الحياة يكون في عالم البرزخ وان عالم البرزخ يُعَدُّ من الموجودات في الدنيا لانه حاصل قبل البعث وكل حال قبل البعث والنشور لا يعد من الاخرة وبذلك فأن الولي في حال البرزخ تستمر كراماته ويقضي حوائج الناس بأمر الله وفعله .

ب. ان الله سبحانه وتعالى يوكل بأضرحة الاولياء ملائكة يتولون قضاء امور الناس وحوائجهم فزيارة اضرحة الاولياء والتوسل بهم الى الله امر لا غبار عليه لان الله سبحانه وتعالى عندما احب الاولياء وجعلهم موضع سره وخوارقه فقد حببهم الى الناس ونفع الناس بهم ثم مكنهم من التصور في صور عديدة فتظهر روحانياتهم في وقت واحد في اماكن متعددة ومختلفة المسافات نظراً لغلبة الروحانية فيهم على الجثمانية، فالذي يحصل هو تعدد صور الروحانية بالنسبة للاولياء وليس الجثمانية وبذلك فأن الاولياء لا تنقطع كراماتهم بعد الانتقال الى عالم البرزخ وانما تبقى مستمرة وهم يدركون المُريدين والمحتاجين عن الطريقين اللذين مر ذكرهما .

حكايـات الصالحيـن

* جاءت إمرأة الى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره بولدها وقالت رأيت قلب ولدي شديد التعلق بك وخرجت عن حقي فيه لك فأخذهُ وأمرهُ بالمجاهدةِ وسلوك الطريق فجاءته أُمه يوماً فوجدته نحيلاً مصفرّاً من آثار الجوع والسهر وأكل خبز الشعير فتركته ودخلت للشيخ فرأت بين يديه دجاجاً يأكله فقالت ياسيدي تأكل الدجاج ويأكل ولدي الشعير فوضع يده على العظام وقال قومي بأذن اللّه فقامت الدجاجة فقال الشيخ إذا صار إبنك كهذا فليأكل ماشاء .

* ومن كراماته قدس الله سره العزيز أنه كان لا يرضع في يوم رمضان في فترة رضاعته، وكان لا يصيبه الذبابِ قط وراثةً من جده المصطفى صلى اللّه تعالى عليه وسلم .

* وأنه كان يعظ في مجلسه قدس الله سره فمرت عليه حدأةٌ فصاحت وشوشت على الحاضرين فقال يا ريح خُذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحيةٍ ورأسها في ناحيةٍ أخرى وعندما إنتهى من وعظهِ نزلَ عن الكرسي وأخذها بيده ومرَّ يده الأخرى عليها وقال بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت .

* ومرت به قدس الله سره ثلاثة أحمال خمرٍ للسلطان صاحب الشرطة فقال لهم قفوا فأبوا فقال للدواب قفي فَوقفت وأُخذ من معها من الأعوان القولنج فَضجوا وتابوا فزالَ الألمُ وإنقلبَ الخمر خلاً ففتحوها فأذا هي خلّ .

* واتاه بعض الرافضة بقُفَّتين مخيطتين وقالوا له قل لنا ما فيها فوضع يده على إحداهما وقال في هذه صَبيٌ مُقعدٌ فَفُتِحتِ فأذا فيها ذلك فأمسك يده وقال له قم فقام يَعدو ثُمَ وضع يده على الأخرى وقال فيها صبي لا عاهة به ففُتحت فأذا فيها ذلك فأمسك بناصيته وقال له اقعد فقعد فتابوا عن الرفض ولزموا مجلس الشيخ .

* وجاءه رجل من بغداد وقال إختَطفَ الجان إبنتي فقال له إذهب الى محل كذا وخُط دائرة وقل عند خطها بسم الله على نية عبد القادر ففعل الرجل كما أمره فمرَّ عليه

الجن زمراً زمراً الى ان جاءَ ملِكهم فوقف بازاء الدائرةِ وقال له ما حاجتك قال فذكرت له البنت فأحضر من إختطفها ودفعها إليّ وضرب عنق الجنّي فقلت له ما رأيت كأمتثالكَ لأمر الشيخ فقال نعم انه لينظر من داره الى المرَدَةِ وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته .

* سُعي عند المنصور *بالامام جعفر الصادق* عليه السلام فلما أُحضر الساعي قال له أتحلفُ فقال نعم فلما حَلفَّهُ فقال قل (برئتُ من حول الله وقوته والتجأت الى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا) فحلف الرجل ثم مات مكانه .

* قال شقيق البلخي خرجت حاجاً في سنة (١٤٩هـ) فنزلت القادسية فبينما انا انظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد ان يكون كَلاً على الناس في طريقهم والله لأمضين اليه ولأوَبخَّن فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم وتركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا الامر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق بأسمي ما هذا إلاّ عبدٌ صالح فلحقت به فوجدته يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي امضي اليه وأستحله فصبرت حتى جلس واقبلت نحوه فلما رآني قال ياشقيق إقرأ: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)[1] وتركني ومضى فقلت من هذا الفتى فقيل هذا *الامام موسى الكاظم*.

* وحكي عن *الامام علي الرضا* أنه أخبر بأنه يأكل عنباً ورماناً فيموت فكان كذلك، وأنه قال لرجل صحيح سليم إستعد لما لا بُدَّ منه فمات بعد ثلاثة أيام .

* وعن مسافر قال كنت مع *الامام علي الرضا* عليه السلام بمنى فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطٍ وجهه بمنديل من الغبار فقال الامام مساكين هؤلاء ما يدرون ما يحل بهم في هذه السنة فكانت نكبتهم على يد الرشيد .

* قال الشيخ علوان الحموي في نسمات الاسحار لما بلغ الحسن البصري قتل الحجاج

---

(١) سورة طه، الآية ٨٢.

لسعيد بن جبير قال اللّهم يا قاصم الجبابرة إقصم الحجاج فما بقي إلاّ ثلاثاً حتى وقع في جوفه الأكلة والدود فمات .

* ورأى بعض الأولياء ليلة موت الحسن البصري أن ابواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي إلا ان الحسن البصري قدم على اللّه وهو عنه راضٍ .

* في فصل الربيع يقدم بعض الصيادين بصيد نوع من الطيور يسمى (زرزور) وبعدد كبير ويجمعونها في داخل اقفاص معدة لذلك ثم يبيعونها في الاسواق والمحلات فكان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزاني كلما يراها ينادي على الصياد فيشتري منه الطيور بأجمعها ويدفع ثمنها مقدماً ثم يجلس حضرته فيمد يده الشريفة الى داخل القفص فيخرج منه زرزوراً واحداً فيطلقه في الهواء وهكذا واحداً بعد واحد حتى يطلق سراح الجميع وهو يبتسم . وهكذا يجب ان يكون شيخ الطريقة قدوةً في الرحمة والشفقة بالحيوانات والطيور ويهبهما الحياة الحرة من جديد .

* قال اليافعي كان لحبيب العجمي زوجةٌ سيئة الخلق فقالت له يوماً إذا لم يفتح الله عليك بشيء فأجر نفسك واعمل فخرج الى مكان ما وصلى العشاء ثم أتى بيته خجلاً من توبيخها مشغول القلب من شرها فقالت أين اجرتك فقال لها ان الذي أستأجرني كريم واستحييت من استعجاله فمكث كذلك اياماً عديدة يصلي في ذلك المكان الى الليل وتقول له زوجته كل يوم اين أجرتك فيقول استأجرني كريم فخفت من استعجاله فلما طال عليها الحال قالت له اطلب أجرتك من هذا او أجر نفسك من غيره فوعدها انه يطلب الأجرة وخرج على عادته فلما امسى الليل عاد الى منزله خائفاً منها فرأى في بيته دخاناً ومائدةً منصوبة وزوجته مستبشرة فرحةٌ فقالت له قد بعث لنا الذي استأجرك ما يبعث الكرام وقال رسوله قولي لحبيب يجّد في العمل وليعلم انا لم نؤخر أجرته بُخلاً ولا عدماً فليقرُّ عيناً وليَطِبْ نفساً ثم أرته كيساً مملوءً دنانيراً فبكى حبيب وقال لزوجته هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السموات والأرض فلما سمعت ذلك تابت الى الله عز وجل واقسمت انها لا تعود الى ما كانت عليه .

* قَعد الجُنيد البغدادي في الجامع يتكلم على الناس بالغداة فوقف عليه غلام نصراني

متنكر وقال ايها الشيخ ما معنى قول الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**إتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله**) فأطرق الجُنيد رأسه ثم رفعه فقال أسلم فقد حان وقت اسلامك فأسلم الغلام .

* قال خير النساج رضي الله عنه كنت جالساً في بيتي فخطر لي ان أبا القاسم الجُنيد في الباب أخرج إليه فنفيت ذلك عن سرّي وقلت وسوسةٌ فوقع خاطر ثانٍ كذلك فنفيت ذلك عن سري فوقع خاطر ثالث كذلك فقلت انه خاطر حق وليس بوسوسة ففتحت الباب فأذا الجُنيد قائم فَسلم عليٌّ وقال يا خير لِمَ لم تخرج من الخاطر الأول

* قال نجل الشيخ ابي بكر الشبلي كنت ارى من والدي الشيخ ابو بكر الشبلي ما يدل على انه عالم بحالي في غيابي عنه فاذا اشتغلت بطاعةٍ قابلني بوجه مسرور واذا اشتغلت بلعبٍ قابلني بضد ذلك ولما شاورته في السفر الى الديار الهندية قال ارى ان المدة قرب إنقضاؤها وكنت أود أنك تحضر وفاتي فقلت أتخلف عن السفر؟ فقال لا بل سافر وأنت في وديعة الله تعالى وما أراده اللّه سيكون فكان الأمر كما قال .

* قال السراج روينا انه مرَّ بالسيد احمد الرفاعي جماعة من الفقراء وكان صغيراً فوقفوا ينظرونه فقال أحدهم لا إله الا الله محمد رسول اللّه ظهرت هذه الشجرة المباركة فقال الثاني تتفرع لها فروع فقال ثالث عن قليل يشتمل ظلها وقال الرابع عن قليل يكثر ثمرها ويشرق قمرها فقال الخامس عن قليل ترى الناس منها العجب ويكثر نحوها الطلب وقال السادس عن قليل يعلو شأنها ويظهر برهانها فقال السابع كم يغلق لها باب وكم يظهر لها اصحاب .

* وروي ان الشيخ احمد الرفاعي كان يقرأ القرآن وهو شاب على الشيخ علي بن القاريء الواسطي فصنع شخص طعاماً ودعا اليه ابن القاريء واصحابه، جماعة آخرين من القراء وغيرهم فلما أكلوا الطعام كان معهم قوّال فشرع يغني ويدق في يديه والسيد احمد الرفاعي جالس عند نعال القوم فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا وثب السيد احمد الرفاعي وخسف الدف الذي كان معه فالتفت القراء الى الشيخ علي بن القاريء وقالوا له هذا صبيٌ مالنا معه مطالبة والمطالبة عليك فقال لهم

ابن القاريء اسألوه فأن اتى بالجواب وإلاّ عليَّ المطالبة فالتفتوا اليه وقالوا لِمَ كسرت الدف فقال لهم أي ساده نرجع الى أمانة القوال يخبرنا بما خطر بباله فأي شيء قال أتبعناه، فسألوا القوال عما بباله فقال اني كنت بارحة أمس عند قوم يشربون فَسكِروا وتمايلوا كتمايلكم فخطر لي أن هؤلاء كهؤلاء فلم يتم خاطري حتى قام هذا الصبي وخسف الدف فعند ذلك نهض القُراء الى السيد احمد الرفاعي وقبلوا يده .

* وكان السيد احمد الرفاعي اذا طُلب منه ان يكتب له عوذة ولم يكن عنده مداد يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد فكتب يوماً لشخصٍ بغير مداد فأخذ الشخص الورقة وغاب مدةً ثم جاء بها ورفعها اليه ليكتب له فيها على سبيل الأمتحان فلما نظر اليها الشيخ احمد الرفاعي قال أي ولدي هذه مكتوبة وردّها اليه من غير ضجر .

* وكان عبد الله بن مبارك من اكابر المجتهدين واعلام العارفين حكى عنه الامام اليافعي انه فتح عينيه عند الوفاة ثم تبسم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون .

* ومرت رابعة العدوية يوماً بشيبان الراعي فقالت له اني أريد الحج فأخرج لها من جيبه ذهباً لتنفقه فمدت يدها الى الهواء فأمتلأت ذهباً وقالت له أنت تأخذ من الجيب وانا أخذ من الغيب فمضى معها على التوكل .

* وقيل أن لصاً دخل الى بيت رابعة العدوية وهي نائمة فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده فوضعها فوجده فحملها فخفي عليه فأعاد ذلك مراراً كثيرةً فهتف به هاتف دع الثياب فأنّا نحفظها ولا ندعها لك وان كانت نائمة. قال البوني وهذا التحقق التمكين بقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ﴾(١) .

* أخرج الطبراني أنه كان لرجلٍ أُمّ مقعدة نحو عشرين سنة فقالت له اذهب الى أحمد بن حنبل وسله ان يدعو لي فأتاه ودق الباب فلم يَفتح له وقال من هذا فقال أمي مقعدة وتسألك الدعاء فقال نحن أحوج أن تدعو لنا فرجع فوراً الى البيت فرأى أمه تمشي على رجليها .

* وقال ابن ابي الورد رأيت المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقلت ما

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

شأن احمد بن حنبل قال سيأتيك موسى فأسله فأذا بموسى عليه السلام فقلت يا نبي الله ما شأن احمد بن حنبل قال أُبتليَ في السرّاء والضرّاء فوُجد صادقاً فأُلحق بالصديقين .

* كان للشيخ محيي الدين كركوك مُريداً هندياً يشتغل في بستانه في قرية (قُوْله) التابعة لقضاء چچمال وفي معرض الحديث عن أجود أنواع التين تأسف المُريد الهندي وقال يا ليتني كنت الآن في بستاني في الهند فاحضر اجود انواع التين للشيخ فقال له الشيخ محيي الدين كركوك اتحب ان تكون في بستانك الآن ؟ فقال نعم فقال له تعال الى رجلي ففتح عينه فاذا هو ببستانه فملأ سلةً من التين الجيد وأحضر أقلاماً من التين للزراعة وتساءل كيف الرجوع الى الشيخ ؟ فهتف به هاتف ان اغمض عينك فأغمضها ثم فتحها فاذا هو امام شيخه فقام بزرع الاقلام في بستان الشيخ وانتجت التين المعروف بتين (قُوْله) .

* قال عبد الرحمن بن احمد يوماً لسهل بن عبد الله التستُري عندما أتوضأ للصلاة يسيل الماء من بين يديَّ على شكل قضبان من ذهب وفضة فقال سهل أما علمت ان الصبيان اذا بكوا يعطون خشخاشةً لينشغلوا بها .

* قال الجنيد البغدادي دخلتُ على السري السقطي يوماً فقال لي كان يجيئني عصفور كل يوم فأفتُّ له الخبز فيأكل من يدي فنزل وقتاً من الاوقات فلم يسقط على يدي ففكرت في نفسي ما السبب ؟ حتى تذكرت أني أكلت طعاماً جيداً في ذلك اليوم فقلت لا اكل بعدها وانا تائب منه فعاد العصفور يسقط على يدي .

* قال ابو بكر الدقاق كنت ماراً في حي بني أسرائيل فخطر ببالي ان علم الحقيقة مباين للشريعة فَهتفَ بي هاتف من تحت الشجرة كل حقيقة لا يتبعها الشريعة فهي كفر .

* حكي عن ابي سعيد الخراز قال كنت في بعض أسفاري وكان يظهر لي كل ثلاثة ايام شيء آكله وحدث ان مضت ثلاثة ايام ولم يظهر شيء فضعفتُ وجلستُ فهتف بي هاتف أيهما أحب اليك سببٌ ام قوةٌ فقلت القوة فقمت من وقتي فمشيت اثني عشر

يوماً ولم اذق شيئاً ولم أضعف .

* قال ذو النون رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت وقلت انك تكثر الصلاة فقال انتظر الاذن من ربي في الانصراف، قال فرأيت رقعةً سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور الى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك .

* وحكي عن بعضهم قال كنا في مركب فمات رجلٌ كان معنا وهو عليل فأخذنا في جهازه واردنا ان نلقيه في البحر فصار البحر جافاً ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبراً ودفناه فلما فرغنا أستوى الماء وارتفع المركب وسرنا .

* وقيل ان الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة فأشترى حبيب العجمي طعاماً بالنسية (دَينْ) وفرقَهُ على المساكين وخاط كيسه وجعله تحت رأسه فلما جاءوا يتقاضونه أخذه من تحت رأسه فاذا هو مملوء بالدراهم فقضى منها ديونهم .

* وقيل ان ابراهيم بن الادهم اراد ان يركب السفينة فأبوا إلاّ ان يعطيهم ديناراً فصلى على الشط ركعتين وقال اللّهم قد سألوني ماليس عندي فصار الرمل دنانيراً .

* قال احمد بن منصور قال لي استاذي ابو يعقوب السنوسي غسلت مُريداً فامسَك أبهامي وهو على المغتسل فقلت يابُني خلِّ يدي انا ادري أنَّك لست بميت وإنّما هي نقلة من دارٍ الى دارٍ فَخلّى يدي .

* قال ابراهيم بن شيبان صحبني شابٌ حسن الارادة فمات فأشتغل قلبي به جداً وتوليت غسله فلما اردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها مني وناولني يمينه فقلت صدقت يا بني انا غلطت .

* قال علي الخواص عطشت في بعض اسفاري وسقطت من العطش فاذا أنا بماءٍ رُشَّ على وجهي ففتحت عيني فاذا برجلٍ حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقاني الماء وقال كن رديفي وكنت بالحجاز فما لبثت إلاّ يسيراً فقال لي ما ترى ؟ فقلت أرى المدينة فقال انزل واقرِىء رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم مني السلام وقل

اخوك الخضر يقرئك السلام .

* قال علي الخواص كنت في البادية مرةً فسرت في وسط النهار ووصلت الى شجرة وقربها ماء فنزلت فاذا انا بسبعٍ عظيم اقبل فأستسلمت فلما قرب مني إذا هو يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبةً وشققت الموضع الذي في القيح وشددت على يده خرقة فمضى .

* وقيل أصاب عبد الواحد بن زيد (فالج) فدخل وقت الصلاة وأحتاج الى الوضوء فقال من ها هنا فلم يجبه أحد وخاف فوت الوقت فقال ياربِّ احللني من وثاقي حتى اقضي طهارتي ثم شأنك وأمرُك قال فصحَّ حتى أكْمل طهارته ثم عاد الى فراشه وصار كما كان .

* قال خليل الصياد غاب ابني محمد فوجدنا عليه وجداً شديداً فأتيت معروف الكرخي فقلت يا ابا محفوظ غاب إبني وأمه واجدة عليه فقال ما تشاء ؟ فقلت أدعُ اللّه ان يرده فقال اللّهم إن السماء سماؤك والارض وما بينهما لك إيتِ بمحمد، قال خليل فأتيتُ باب الشام فأذا هو واقف فقلت يا محمد فقال ياابتي كنت الساعة بالانبار فهتف بي هاتف أن عُدْ الى بغداد .

* وحكي عن الكتاني في أنه قال كان عندنا رجل من اصحابنا هاجت عينه فقيل له الا تعالجها ؟ فقال عزمت على أن لا اعالجها حتى تبرأ، قال فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لو كان هذا العزم على اهل النار لأخرجناهم كلهم من النار .

* حكي ان السيدة آمنة بنت *موسى الكاظم* كان يُسمع عند مقامها قراءة القرآن بالليل وقيل ان رجلاً جاء الى الخادم بعشرين رطلاً من الزيت وعاهد الخادم ان يوقد ذلك في ليلة واحده فصبه الخادم في القناديل واشعلها فلم يوقد منها شيء فتعجب الخادم من ذلك فرآها في المنام وهي تقول رد عليه زيته فأنّا لا نقبل إلاّ الطيب وسله من اين اكتسبه فلما اصبح جاء الى صاحب الزيت فقال له خذ زيتك قال ولِمَ ؟ قال انه لم يوقد فيه شيء ورأيت السيده في المنام فقالت انِّا لا نقبل إلاّ الطيب فقال صدقت السيده إني رجلٌ غشاش .

* قال ابراهيم الخواص نزلت الى دجلة وكان الماء مداً والريح تلعب بالموج فرأيت رجلاً بين الموج يمشي على الماء فسجدت وجعلت بيني وبين الله ان لا ارفع رأسي حتى اعلم من الرجل فلم أطل السجود حتى حركني وقال قم ولا تعاود انا ابراهيم الخراساني .

* وقال ابراهيم الآجري مما نقل عنه القشيري جاءني يهودي يتقاضى عليَّ في دين كان له عليَّ وانا قاعد عند الأتون فقال لي اليهودي يا ابراهيم ارني آيةً أُسلِمْ عليها فقلت له تفعل قال نعم فقلت انزع ثوبك فلففته ولففت على ثوبه ثوبي وطرحته في النار ثم دخلت الأتون واخرجت الثوب من النار فاذا ثيابي بحالها لم يصبها شيء وثيابه في وسطها صارت حراقةً فأسلم اليهودي .

* وقال المانوي خطف التمساح صبياً فأتت أمه مذعورةً الى الشيخ ابراهيم الدسوقي فأرسل نقيبه فنادى بشاطيء البحر يا معشر التماسيح من ابتلع صبياً فليطلع به فطلع ومشى معه الى الشيخ فأمره ان يلفظه فلفظه حياً .

* وحكي عن ابراهيم بن معضاض الشافعي الزاهد العابد انه أُخبر بموته قبل وفاته ونظر الى موضع قبره وقال يا قُبير جاءك دُبير وكان يُضحِك أهل مجلسهِ إذا شاءَ في حال بكائهم ويبكيهم إذا شاء في وسط ضحكهم .

الباب الرابع

❖ مقامات الطريقة

- التوبة
- التوكل
- الخوف
- الرجاء
- الصدق
- الإخلاص
- الصبر
- الورع
- الزهد
- الرضا
- الشكر

ما أكلت تفنيه وما لبست تبليه وما عملت من خير أو شر تلاقيه، والتوجه الى اللّه حتم مقضي وفراق الأحبة وعد مأتي

السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني (قدس الله سره)

مقامـات الطريقــة

التــوبــة

هي الرجوع عن التصرفات السيئة الخارجة عن الطاعة المبغضةُ عنده سبحانه وتعالى . وتوبة المسلم نور يتوقد في القلب بفضل الله ورحمته بعد ان أضله الشيطان باغوائه وهي لعامة البشر لانه لا يخلو اي بشر من وسوسة الشيطان وخواطره او من الغفلة عن ذكر الله، لذلك فأن التوبة واجبة على كل البشر وقد ورد وجوبها في آيات قرآنية عديدة نذكر منها :

قال تعالى : (يا أيُّها الذينَ آمنُوا تُوبُوا الى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً)[1] .

وقال تعالى: (وتُوبُوا الى اللَّهِ جَميعاً ايُّهَ المُؤْمِنُونَ لَعلَّكُم تُفْلِحُونَ)[2].

وقال تعالى : (ثُمَّ تَابَ عَلَيهِمْ لِيَتُوبُوا إنَّ اللَّهَ هُوَ التوَّابُ الرَّحيمُ)[3] .

وقال تعالى : (وإنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)[4] .

وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ياايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مئة مرة)[5]، وتوبته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت في الاستغفار وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)[6] . وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (مفتاح التقوى التوبة، والثبات عليها مفتاح القرب من الله عز وجل، التوبة هي اصل كل خير وفرعه ولهذا لا يفتر الصالحون عنها في جميع احوالهم، توبوا يا مُريدين ياعصاة،

---

(١) سورة التحريم، الآية ٨ .

(٢) سورة النور، الآية ٣١ .

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٨ .

(٤) سورة طه، الآية ٨٢ .

(٥) رواه مسلم عن ابن عمر .

(٦) صحيح مسلم عن طريق ابي هريره .

صالحوا ربكم بالتوبة هذا القلب لا يصلح لله عز وجل وفيه ذرة من الدنيا وطمع في احد من الخلق فان اردتم صحبته فاخرجوا هذين كليهما من قلوبكم فهذا لا يضركم اذا اتصلتم به عز وجل اتتكم الدنيا والخلق وانتم معه على بابه وهذا شيء مجرب قد جرّبه الزاهدون التاركون، توبوا واعترفوا بتقصيركم، التوبة مياه الحق عز وجل يحيي الأرضَ بعد موتها بالغيث ويحيي القلوب بعد موتها بالتوبة واليقظة)[1] .

وقال قدس الله سره :[اكثروا من الاستغفار والتوبة فانهما اصلان عظيمان لامور الدنيا والآخرة أمر نوح عليه السلام قومه بالاستغفار ووعدهم في جوابه بالمغفرة وتسخير الدنيا ووقوفها في خدمتهم فقال لقومه حاكياً عن قوله تعالى : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)[2] .

وقال ايضاً قدس الله سره (متى تتوبون يا مدبرين ياعصاة ؟ صالحوا ربكم عز وجل بواسطة التوبة لولا حيائي من الله عز وجل ومن حلمه لقمتُ وأخذت بيد واحد منكم وقلت له أنت فعلت كذا وكذا تُب الى الله عز وجل لا كلام لك ومعك حتى يقوى ايمانك بمولاك عز وجل فحينئذ تتعلق بالعروة الوثقى وهي وصول قلبك اليه فيباهي بك النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم الأمم، يامن آمن بلسانه متى تؤمن بقلبك ؟ ايمان اللسان مع كفر قلبك لا فائدة منه)] [3] .

ويقسم اهل الطريقة التوبة على عدة اقسام .

قال الامام القشيري سمعت ابا علي الدقاق يقول التوبة ثلاثة اقسام (توبة، انابة، اوبة) فكل من تاب خوفاً من العقاب هو صاحب توبة، وكل من تاب طمعاً في الثواب هو صاحب انابة، وكل من تاب امتثالاً لامر الله –رغبةً لا رهبة– فهو صاحب أوبه .

وقال القشيري التوبة للمؤمنين لقوله تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ)[4]، والأنابة للاولياء المقربين لقوله تعالى: (وَجَاءَ بِقَلْبٍ

---

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص١٣ .

(٢) سورة نوح، الآيات ١٠، ١١، ١٢ .

(٣) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر.

(٤) سورة النور، الآية ٣١.

منيب)[1]، والأوب للانبياء والمرسلين لقوله تعالى : (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[2].

وحقيقه التوبة هي انتباه يطرأ على الفكر فيوقظ القلب من رقود الغفلة عن ذكر الله فيؤدي به الى ترك المعاصي الظاهرة والباطنة الصغيرة والكبيرة والاقبال على الله بكل جوارحه تاركاً التفكير بالذنوب متفائلاً بالمغفرة وشرطها ترك قرناء السوء وهجرة الاصحاب الفسقة الذين يحببون المعصية الى العبد وينفرونه من الطاعة ثم الالتحاق بصحبة الصادقين والصالحين الأخيار من المشايخ الكرام لان صحبتهم والسلوك على ايديهم يُعد سياجاً يردعه عن العودة الى حياة المعاصي وعليه ان يكف عن التفكير بالذنوب السابقة لان ذلك يؤدي الى اليأس من غفرانها والاحباط في السلوك كما ان اليأس كفر لقوله تعالى : (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[3].

ويقسّم ابن عربي التوبة على عدة اقسام :

(١) توبة العوام وهي ثلاثة انواع :

أ. توبة عوام المؤمنين عن الصغائر التي صدرت منهم بسهو او غفلة او جهل او نسيان قال تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)[4] .

ب. توبة الفاسقين وهي الندم على ما مضى من الذنوب وترك الذنب في الحال والعزم على تركه في المستقبل ورد المظالم الى اهلها واذابة النفس في الطاعة والبكاء في الاسحار بحضرة الملك الجبار .

جـ. توبة الكافرين بدخولهم الاسلام والأيمان به واداء حق الله عليهم ونعته بالرب ونعت انفسهم بالعبيد .

(٢) توبة الخواص وهي على نوعين :

أ. توبة عن الافكار والاخطار من واردات الدنيا ووساوسها وهي مقام عوام الاولياء

---

(١) سورة ق، الآية ٣٣.
(٢) سورة ص، الآية ٣٠.
(٣) سورة يوسف، الآية ٨٧.
(٤) سورة النساء، الآية ١٧ .

وخواص المؤمنين .

ب. توبة خواص الخواص وهي توبة عن إشتغال القلب بغير اللّه وهي مقام الانبياء وخواص الاولياء[1] .

التوكـــل

التوكل لغةً : اظهار العجز والاعتماد على الغير، اتكل فلان في امره اذا اعتمد عليه، وواكله مواكلة اذا اتكل كل واحد منهما على صاحبه[2] .

وهو الايمان بقدرة الله تعالى على ادارة الامور وتوجيهها والتصرف بالعبد كيفما يشاء سبحانه وتعالى، وعند ذلك يسلِم العبد الامور له ويوكلها اليه وهو اول المقامات في الطريقة فبدون التوكل لا يدخل المُريد ولا يعد سالكاً في طريق القوم .

ومشروعية التوكل في القرآن الكريم وردت في آيات عديدة منها :

قال تعالى : **(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)**[3] .

وقال تعالى : **(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)**[4] .

وقال تعالى : **(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)**[5] .

ان الله سبحانه وتعالى جعل التوكل من صفات المؤمنين وقرنه بالايمان فالانسان المؤمن المتوكل يعتمد بقلبه على الله سبحانه وتعالى ويعتقد حق الاعتقاد بان الله هو المعطي للاشياء منعاً او بسطاً وان العبد بحركته وجهده لا يزيد في الرزق وبترك الطلب لا ينقص من رزقه مع عدم ترك الاسباب لان الله سبحانه وتعالى قسّم الارزاق فمنها ياتي بطلب ومنها ياتي بلا طلب، قال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم **(لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً)**[6] .

(١) تحفة السفة، ص٢١ لابن عربي .
(٢) مختار الصحاح الفخر الرازي .
(٣) سورة الطلاق، الآية ٣ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٢ .
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .
(٦) رواه ابن ماجه في السنن والترمذي وابن حنبل .

وهذا توكل العامة، اما توكل اهل الطريقة السالكين فيكون في امر الاخرة التي لم يعلموا امرها اما الرزق في الدنيا فقد علموا ان الله كفى العباد ذلك .

وقال الشيخ الحسن البصري قدس الله سره (من توكل وقنع ورضي أتاه الشيء بلا طلب)[1]، وقال ابراهيم ابن ادهم التوكل (ان يستوي عندك افخاذ السباع والمتكيء على الحشايا)[2]، وقال يحيى بن معاذ (التوكل ثلاث درجات اولها ترك الشكاية والثاني الرضا بالمقسوم والثالث المحبة)[3] .

ويرى ابن معاذ ان ترك الشكاية هو من صفات المتوكلين الصالحين اي استسلام واعتماد على الله في جميع الاحوال سواء كانت يسراً او عسراً واما الرضى بالمقسوم فيعدها من صفات المتوكلين الابرار، واما توكل المحبة لله فيرى ابن معاذ انه توكل الانبياء .

وحقيقة التوكل هي الاعتماد الكامل على الله سبحانه وتعالى والثقة التامة به قال ذو النون (التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة)[4] .

ولقد ظهرت اول حالة التوكل بين الصحابة عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندما سأله الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ماذا تركت لاولادك قال تركت لهم الله ورسوله . وحقيقة التوكل هي ان يندمج التوكل بالفناء اي بمعنى نسيان التوكل فيكون حالة طبيعية تصدر بشكل طبيعي لا شعوري اي انه لا يكون من الاعمال التي يُشتَغل بها في السلوك وانما هو حالة مر بها المُريد وانطبعت في نفسه .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ياموتى القلوب، ما قعودكم عندي ؟ يا عبيد الدنيا والسلاطين، يا عبيد الاغنياء، يا عبيد الغلاء والرخص، لو بلغ ثمن حبةٍ من الحنطة ديناراً لا ابالى، المؤمن لا يهمه رزقه لقوة يقينه وإتكاله على ربه عز وّجل لا تعد نفسك من المؤمنين إنعزل منهم سبحان من اوقفني بينكم .

الاقسام قد فرغ اللّه عز وجل منها، لا يزيد فيها ذرّة ولا يَنقص منها ذرّة . قال

---

(١) مقدمة في التصوف وحقيقته، ص٤٢ النيسابوري تحقيق يوسف زيدان .
(٢) المصدر نفسه، ص٤٥ .
(٣) المصدر نفسه، ص٤٧ .
(٤) المصدر نفسه، ص٤٨ .

النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم **(فرغ اللّه عز وجل من الخلق والرزق والاجل، قد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة)** لا تشتغلوا بطلب ما قد قُسم فان ذلك الاشتغال لَعِبٌ وحُمق . جميع احوالكم قد دبرها الله عز وجل وارّخها في اوقات معلومة . ما دامت غير مطمئنّة بالمجاهدة فهي لا تؤمن بهذا، ولا تترك الحرص واللجاج قبل الطمأنينة، تؤمن به دعوى باللسان . كونوا عقلاء، تهذّبوا بما أقول، لا تشتغلوا بطلب المقدور المكّون الذي لا بد منه ومن وجوده عندكم ومجيئه إليكم في اوقاته المؤرّخة في علم اللّه عز وجل . عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم **(لو قال العبد اللهمّ لا ترزقني لرزقه على رغم انفه)** .

ياغلام، إن الدين عند اللّه الاسلام، وحقيقه الاسلام الاستسلام . عليكم بتحقيق الاسلام ثم بتحقيق الاستسلام . صفّوا ظواهركم بالاسلام وصفّوا بواطنكم بالاستسلام . سلّموا انفسكم الى ربكم عز وجل وارضوا بتدبيره لكم . اتركوا قدرتكم للقدر الذي حكم به ربّكم عز وجل . اجعلوا جميع ما يأتي به القدر مقبولاً عندكم . ربكم اعلم بكم منكم .

إرضوا بكلامه موقنين . استقبلوا اوامره ونواهيه بيدي القبول . استقبلوا دينه بكل قلوبكم، اجعلوه شعاركم ودثاركم . اغتنموا حياتكم قبل مجيء يوم لا مردٌ له من اللّه، وهو يوم القيامة .

ويلك لا تكن أبلهاً تنازع اللّه عز وجل، وتناظره بحماقتك وجهلك، فتخاطر برأس مالك الذي هو دينكَ . أغمض، أطرِق، تأدّب، إعرف من أنت، إعرف قَدْرك، وما ذلّك إلاّ بأن تعرفَ نفسَك . انت عبد والعبد وما يملُك لمولاه، ليس له في نفسه تصرّف . العبد يجب عليه ان يترك إرادتهُ لارادة سيّده، إختياره لاختياره، قوله لقول سيّده . أنت تتواقح على اللّه عز وجل لأجل نفسك، والقوم يتواقحون على ربّهم لاجل الخلق، يسألونه فيهم ويلحّون عليه لأجلهم . هم الذين ودّعوا الخلق، طهّروا قلوبهم عن الخلق، لا يبقى في قلوبهم ذرّة من الخلق، هم قيام معه وبه وله . هم في بسطٍ كلّي بلا قبض، عزٍ كلّي بلا ذل، عطاءٍ كلّي بلا حرمان، إجابةٍ كلّية بلا منع، قَبولٍ كلّي بلا رد، فرح كلّي بلا ترح، قدرةٍ بلا عجز، قوةٍ بلا ضعف، نعمةٍ بلا نقمة، قد أُلبسوا خِلع الكرامة وسلّم الى ايدي

قلوبهم التوفيق بالتفويض والتمكين والتكوين، صار التكوين في أيديهم كنزاً لا ينفد، ومعيناً لا ينضب . كلّما خافوا زادهم أمناً، كلما تأخروا قدّم لهم . لهم قولٌ مسموع، وشفاعةٌ مقبولة . فوّض إليهم مُلك الدنيا والآخرة من وراء معقول الخلق، يُنادون في الملكوت عظماء)[1] .

وقال الامام القشيري واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى، فأن تعسر شيء بتقديره وإن اتفق شيء فبتيسيره .

والمتوكل يجُب عليه أن يتخذ الاسباب إقتداءً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**)[2] .

وقال سهل بن عبد الله التَستُري التوكل حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والكسبُ سنته فمن بقي على حاله فلا يَتركُنَّ سنته .

وقال ايضاً من طعن في الحركة فقد طعن في السُنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان . ويعرّف سهل بن عبد الله التوكل فيقول التوكل هو الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد، اي الاسترسال مع الله في كل ما اراده سبحانه وتعالى في الجهاد، في الضرب في الارض طلباً للرزق، في التزود من العلم، في حُسن الخُلق وهذا يقتضي ان يسكُن الانسان الى النتائج بعد ان يكون قد اتخذ الاسباب بقدر طاقته ويقتضي أمراً آخر هو الابتعاد عن كل ما لا يريد سبحانه وتعالى .

ومن آثار التوكل عدم الاعتماد على احدٍ من البشر ايماناً بان الخالق الرازق الفعّال لكل شيء هو الله وان من دونه لا يملكون ضراً ولا نفعاً . ومن الاثار العلمية للتوكل تعويد الانسان على احترام نفسه وذلك بحفظ كرامتها وترفعها عن المذلة والمهانة بسؤال الناس والتسول والطلب منهم وهذا ظاهر فيما حدث مع ابراهيم بن ادهم، وكما رُوي عن حذيفه المرعشي وقد كان خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له : ما اعجب ما رأيت ؟ فقال

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٢١، ٢٢، ٢٣ . الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزاني .

(٢) سورة الاحزاب، الآية ٢١ .

بقينا في طريق مكة اياماً لم نجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر اليَّ ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع . فقلت هو ما رأى الشيخ . فقال عليَّ بدواة وقرطاس . فجئت به اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم . أنت المقصود اليه بكل حال، والمشار اليه بكل معنى، وكتب شعراً .

انا حامد انا شاكر انا ذاكر	انا جائع انا ضائع انا عارِ
هي ستة وانا الضمين لنصفها	فكن الضمين لنصفها ياباري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها	فاجِر عبيدك من دخول النار

ثم دفع اليَّ الرقعة فقال اخرج ولا تُعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك، فخرجت فأول من لقيني كان رجلاً على بغلة، فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى، وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت هو في المسجد الفلاني، فدفع اليَّ صره فيها ستمائة دينار، ثم لقيت رجلاً أخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني، فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فأنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس ابراهيم يُقبلُه واسلم[1] .

الخــــوف

هو شعور بالتقصير وتوقع حصول عقوبة نتيجة ذلك التقصير فيحدث قلق في النفس وارتباك وفقدان السيطرة على التصرفات، وهو مشترك بين عامة الناس اذ كل الخوف مصدره واحد هو الذي ذكرناه اي توقع حصول مكروه وخوف المؤمنين من الله سبحانه وتعالى هو ما يخصنا فقد وردت ايات كثيرة في القران الكريم بالفاظ متعددة مثل (الخوف، والخشية، الرهبة، التقوى) .

قال تعالى : (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ)[2]، حيث جعل الله سبحانه وتعالى الخوف منه شرطاً للايمان به، وقال تعالى : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)[3]، وقال تعالى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ

(١) احياء علوم الدين، ج٤، ص٣٣٦، الغزالي .
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٥ .
(٣) سورة الرحمن، الآية ٤٦ .

هِيَ الْمَأْوَى)[1]، تبشير بمقام اهل الخوف من الله ومن خاف الله ادى حقوقه عليه وبذلك يكون مستحقاً للثواب .

وقال تعالى : في وصف الملائكة (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[2]، وقال تعالى في وصف القران الكريم : (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم)[3]، وقال تعالى : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)[4].

وعباد الله المؤمنون يشمل الملائكة والانبياء والصالحين السالكين السائرين على نهج الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقد نقل عنه صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه قال (ما جاءني جبريل قط الا وهو يرتعد فرقاً من الجبار)، وقال تعالى : مخبراً عن موسى عليه السلام (وخر موسى صعقاً)، وروى عن الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (انه كان اذا دخل في الصلاة يُسمع لصدره ازيزاً كازيز المرجل)[5] .

ومن عرف الله وعلم ان قدرته محيطة بكل شيء خافه حق مخافته قال تعالى : (إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)[6]، وعن الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال الله تعالى (وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فان امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة وان خافني في الدنيا امنته يوم القيامة)[7].

فالعبد المؤمن يجب ان لا يأمن من خوف الله في الدنيا وهذا شأن السادة اهل الطريقة السالكين وهم الذين يؤدون الطاعات والالتزامات تجاه الخالق ويخافون ان لا تُقبل . عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الذين ياتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني ؟ قال (لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه)[8] .

---

(١) سورة النازعات، الآيات ٤٠، ٤١ .
(٢) سورة النحل، الآية ٥٠ .
(٣) سورة الزمر، الآية ٢٣.
(٤) سورة الحشر، الآية ٢١ .
(٥) رواه ابو داود والترمذي في الشمائل والنسائي .
(٦) سورة فاطر، الآية ٢٨ .
(٧) اخرجه ابن حبان في الصحيح والبيهقي ورواه أبن المبارك .
(٨) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وخوف المؤمن من الله يورث هيبة له عند الناس قال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوّفه الله من كل شيء**)[1]، وقال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**عينان لا تمسهما النار عين باتت تحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله**)، ومن حديث للرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**سبعة يظلهم الله في ظله ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**)[2]، وكذلك كان صحابة رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم يخافون الله متأسين برسوله الكريم فعن عبد الله بن الرومي قال بلغني ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو اني بين الجنة والنار ولا ادري الى ايتها يُؤمَر بي لاخترت ان اكون رماداً قبل ان اعلم الى ايتها اصير . وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال (**لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**)[3]، فغطى اصحابه وجوههم ولهم خنين .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (**من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية، الا ان سلعة الله الجنة**)[4].

والخوف يجب ان لا يغلب على السالك حتى يدخل في اليأس لان الله سبحانه وتعالى يقول : (**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**)[5] .

فلا بد ان يجمع بين الخوف والرجاء فخوفٌ من عذاب الله وغضبه ورجاءٌ في رحمته جل جلاله .

قال الامام جعفر *الصادق* عليه السلام ومن عَبَدَ اللهَ على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل الى ما هو له[6] .

---

(١) رواه ابن حبان وابن ابي الدنيا .
(٢) متفق عليه من حديث ابي هريرة .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن .
(٥) سورة الزمر، الآية ٥٣ .
(٦) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، عادل خير الدين، ص٢٠٧

وروي عن *الامام علي* كرم الله وجهه قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله فأخرجه من الخوف الى القنوط ما اصارك الى ما ارى ؟ فقال ذنوبي عظيمة فقال ويحك ان رحمة الله تعالى اعظم من ذنوبك فقال الرجل ان ذنوبي اعظم من ان يكفرها شيء فقال الامام كرم الله وجهه ان قنوطك من رحمة الله اعظم من ذنوبك[1] . وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ليس على وجه الارض احد اخاف منه وارجوه، لا من الجن ولا من الانس ولا من الحيوانات والحشرات ولا من جميع المخلوقات، لا اخاف الا من الله عز وجل كلما أمْنتني زدت من الخوف لانه فعال لما يريد، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون[2] .

وقال ايضاً المُتقون، هم الذين يتقون الله عز وجل في الجلوات والخلوات، ويراقبونه في جميع الحالات، ترتعد فرائص قلوبهم منه في الليل والنهار . يخافون البيات من مجيء الآفات التي تقطعهم عنه، مع عدم الصبر، فينتقلون الى الكفن، يخافون من مجيء ملك الموت على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم على اشر عمل، يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، خائفة من الرد، خائفة من علم الله عز وجل فيهم . كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا لقي سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول له تعال حتى نبكي على علم الله عز وجل فينا . ما احسن هذا الكلام، هو كلام عارف بالله عز وجل، عالم به وبتصاريفه، اما قوله علم الله عز وجل الذي اشار اليه نبكي على علم الله فهو قوله تعالى : (**هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي**) . وخلط الكل موضعاً واحداً فلا يدري من اي الفريقين هو . المتقون لم يغتروا بما ظهر من اعمالهم، لأن اعمالهم بخواتيمها، المتقون هم التاركون للمعاصي والزلات، ما ظهر منها وما بطن .

وقال يحيى بن معاذ مَنْ عَبَدَ الله تعالى (بالخوف دون الرجاء غرق في بحار الاذكار ومن عبد الله بالرجاء دون الخوف تاه في مفاوز الاغترار ومن عَبَدَ الله بالخوف والرجاء معاً استقام في الاذكار)[3] . وقد ادرك اهل الطريقة اساس الخوف ومواقعه واستطاعوا تحديد انتقالاته في الجسد وبينوا نتائج هذا الانتقال فقد ذكر ابو طالب

---

(١) قوت القلوب، ابو طالب المكي ج٢، ص١٥٧ .

(٢) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٢٦ .

(٣) قوت القلوب، ابو طالب المكي ج٢، ص١٥٨ .

المكي في كتابه قوت القلوب ان الخوف قد يفيض من القلب الى المراره ويقتل صاحبه وهو الذي يموت بالغشي والصعق وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيحرق العقل ويتيه العبد، وقد يكمن الخوف في الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدائم ويحدث الفكر الطويل وعند هذا يذهب النوم ويدوم السهر ويروي ابو طالب المكي ان هذا افضل احوال الخوف وهو خوف العالمين .

وكان الحسن البصري قدس الله سره يقول (يخرج من النار رَجلٌ بعد الف عام ياليتني كنت ذلك الرجل)[1]، وقوله هذا لخوفه من الخلود في النار ورأى الشيخ داود الطائي قدس الله سره امرأة تبكي على قبر ولدها وهي تقول ياإبناه ليت شعري اي خديك بدأ به الدود اولاً ؟ فصعق وسقط مكانه .

وقال الامام الغزالي واعلم ان حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل وقد يكون ذلك من جريان الذنوب، وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محاله وهذا اكمل واتم لان من عرف الله خافه بالضرورة قال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[2] .

وقيل ان الله تعالى جمع للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمه والعلم والرضوان قال تعالى: (هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)[3]، وقال تعالى : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)[4] .

ويصنف ابن عجيبه مراتب الخوف الى ثلاث مراتب فقال (خوف العامة من العقاب وفوات الثواب، وخوف الخاصة من العتاب وفوات الاقتراب، وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الادب)[5] .

وقال الفضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فانك إن قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف .

---

(١) احياء علوم الدين، الغزالي ج٤، ص١٧٤ .
(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨ .
(٣) سورة الاعراف، الآية ١٥٤ .
(٤) سورة البينة، الآية ٨ .
(٥) معراج التشوف الى حقائق التصوف، ص٦، ابن عجيبة .

الرجـاء

هـو طلب شيء معين بأنكسار وتردد لشعور الطالب انه يطلب شيئاً لا يستحقه ولكنه يأمل ويطمع في كرم المطلوب منه لنيل المطلوب .

وحقيقة الرجاء تعلق القلب بمرغوب سيناله في المستقبل، وهذا التعلق يورث الجد والاجتهاد خاصة اذا علم كرم المطلوب منه فأن الطالب يتهالك في نيل رضاه بسبب ذلك الامل، وان لم يجتهد في الطلب يصبح الرجاء امنية وغروراً يورث الكسل .

ورجاء المؤمن في ربه ورد في ايات كثيرة منها : (مَنْ كانَ يَرجُوا لِقَاءَ اللّـهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّـهِ لَآتٍ)[1]، وقال تعالى : (إِنَّ الذينَ آمَنُوا و الذينَ هاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سبيلِ اللّـهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّـهِ)[2]، وقال تعالى : (فَمَنْ كانَ يَرجُوا لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعبادةِ رَبِّه اَحَداً)[3] .

فالرجاء امر محمود شرط ان لا يغلب عليه الخوف لان الخوف توقع حصول مكروه في المستقبل، فان غلب الخوف ساء العبد ظنه بربه -حاشا لله- كما ان الخوف من المحبوب يوجب الوحشة من المحبوب وهذا لا يجوز . كما لا يجوز ان يصل الرجاء بالعبد الى حد التوغل في المعاصي بامل حسن الظن لان الرجاء وحده على كثرته يوقع المحب في الاعجاب وسوء الادب .

والرجاء يتولد من الخوف اذ لولا خوف توقع الاذى لما حَصل الرجاء بالمغفرة والرحمة وهذا رجاء الناس العامة فهم بين مَنْ عمل حسنةً يرجو قبولها ومن عمل سيئة يرجو غفرانها، اما رجاء المحبين فهم لا يخافون عقاباً لعدم حصول التوقع به عندهم لِما علموا من محبة الله لهم وهو حال أهل الطريقة فرجاؤهم يكون في التقرب من الجليل في قلوب مطمئنة وليست خائفة، كانت رابعة العدوية تقول (ما عبدته خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته)[4]، فالرجاء هنا هو رؤية الجليل تعالى والفوز بالقرب من حضرته سبحانه .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٨ .

(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠ .

(٤) التصوف الاسلامي، ماسينيون .

واجتماع الرجاء والخوف في قلب العبد ورد على لسان الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال (**ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب امرىء مسلم عند الموت الا اعطاه الله ما يرجو وصرف عنه ما يخاف**)[1].

والله سبحانه عند ظن العبد به فان ظن خيراً فهو خير، وعلى سعة رحمة الله وعظم مغفرته فهو شديد العقاب ذو انتقام فلا يجوز للعبد ان يبيح لنفسه ما يشاء املاً في الرحمة ورجاء في المغفرة .

قال *الامام الصادق* عليه السلام (الخوف رقيب القلب والرجاء شفيع النفس ومن كان بالله عارفاً كان الى الله راضياً، راجياً وهما جناحا الايمان يطير بهما العبد الى رضوان الله وعينا عقله يبصر بهما الى وعد الله ووعيده . والخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده والرجاء داعي فضل الله وهو يحي القلب والخوف يميت النفس . قال رسول الله (**المؤمن بين خوفين خوفٌ ما مضى وخوف ما بقي**)، وبموت النفس يكون حياة القلب وبحياة القلب البلوغ الى الاستقامة ومن عَبدَ الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل الى ما هو له وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به استحقاقاً ولا قدرة له على شيء ولا قفر، وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق في بحر الاء الله ونعمائه من حيث لا تحصى ولا تعد، والمحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة إحوالهُ بعين السهر)[2] .

(والرجاء هو الامل الذي يحيى به الانسان ولولا الرجاء لما كان هناك عمل فالرجاء باعث على الاجتهاد واللذة في العمل، وفيه انشراح القلب للعمل والحث على تكثير انواع الطاعات المختلفة، فرجاء المغفرة يؤدي الى التوبة ورجاء الثواب يؤدي الى كثرة العمل)[3].

ويقول ابن قيّم الجوزية وإنما نطق به التنزيل لفائدة وهي كونه يبرد حرارة الخوف بل لفوائد كثيرة اخرى منها اظهار العبودية والفاقة والحاجة الى ما يرجوه من ربه وأنه لا يستغني عن فضله واحسانه طرفة عين، ومنها أنه سبحانه يحب من عباده ان

---

(١) روي في رياض الصالحين .

(٢) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، عادل خير الدين، ص٣٠٧ .

(٣) مدارج السالكين عند الصوفية، ص٧٣٢، محمد هشام .

يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله لانه الملك الحق الجواد اجود من سُئل وأوسَعْ من أعطى وأحب ما للجواد ان يرجى ويؤمّل ويُسأل، وفي الحديث (**من لم يسال الله يغضب عليه**)، ومنها ان الرجاء حادٍ يحدو به في سيره الى اللّه ويُطيّب له المسير ويحثه عليه ويبعثه على ملازمته، ومنها ان الرجاء يطرحه على عتبة المحبة فأنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له ورضاً به وعنه، ومنها أنه يوجب له المزيد من معرفة اللّه واسمائه ومعانيها والتعلق بها فأن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى متعبدٌ بها داع بها .

وقال ابن عجيبة رجاء العامه (حسن المآب بحصول الثواب ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب ورجاء خاصة الخاصة التمكين من الشهود وزيادة الترقي في اسرار الملك المعبود)[1] .

وللمؤمن رجاءان ينتجان من خوفين :

- **خوف من الفعل الذي مضى** فأن كان خيراً يرجو قبوله وان كان سوءاً فيرجو غفرانه .
- **وخوف من الفعل القادم الذي سوف يفعله** فهو يرجو ان يكون عملاً صالحاً مقبولاً لانه لا يعلم خاتمة اعماله فيرجو الله ان يجنبه العمل السيء او يغفر له ان كان قد قُدِرَ عليه .

الصــــدق

سمي الصدق صدقاً لقوته في نفسه لان الكذب لا قوة فيه (وقولهم في شيء صَدِقَ اي صلْبْ)[2] .

والصدق إيراد الحقيقة كاملة من غير زيادة او نقصان ويقترن الصدق بالاخلاص لان المُريد اذا اخلص فهو صادق وإذا صدق فهو مخلص والصدق يجب ان يكون في القول والعمل والنية، فالصدق في القول هو ان يصدّق قلب المُريد ما يقوله لسانه من ذكر

(١) معراج التشوف، ابن عجيبه، ص٦ .
(٢) معجم مقاييس اللغة، احمد فارس .

وتوحيد وبمعنى آخر ان يَصدِّق لسان المُريد قلبه ويتم التوحيد في العمل .

وصدق العمل يكمن في ان يكون ذلك العمل خالصاً لله دون رياء او نفاق فصدق المُريد مع شيخه يكون في إلتزامه تعليمات الشيخ واستمراره على الاوراد التي كلفه بها الشيخ لأجل السير به نحو النجاة والتقرب به من حضرة الجليل فأن صَدَقَ المُريد في نيته طلباً لوجهه تعالى عليه الصدق في العمل مع الشيخ والتزام طاعته لان العهد مقطوع سابقاً فيجب الوفاء به والوفاء للشيخ يعني الوفاء لله قال تعالى : (مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ)[1]، فحقيقة الصدق ان يستوي عند المريد سره وعلانيته وان يتَحد قوله وفعلَهُ مع قلبه ونيته فيكون بذلك صديقاً قال تعالى : (هَذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ)[2]، والصدق في مقدمة الاعمال الصالحة للسالكين لانه عين العبادة فبدونه تُنفى كثير من الامور، قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)[3]، ويحتل الصدق موقع الشمس بين بقية الاعمال فهو النور الذي بدونه لا تقوم العبادات ولا تصلح كنور الشمس الذي بدونه لا تقوم حياة .

قال *الامام الصادق* عليه السلام الصدق نور متشعشع في عالمه كالشمس يستضيء بها كل شيء تغشاه من غير نقصان يقع على معناها[4] .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (الصادق لو لقي الخلق كلهم ما حل له النظر الى غير محبوبه عز وجل وما تكبُر في عيني رأسه الدنيا وما تكبُر في عيني قلبه الآخرة وما يكبُر في عيني سرّه غير المولى عز وجل زعاق المنافق من لسانه ورأسه وزعاق الصادق من قلبه وسر قلبه على باب ربه وسره داخل عليه لا يزال يصرخ على الباب حتى يدخل النار)[5] .

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٩ .

(٣) رواه الاربعه .

(٤) العالم الفكري، للامام جعفر الصادق عليه السلام، عادل خير الدين .

(٥) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٣٣، الناشر الشيخ محمد الكسنزاني .

وقال قدس الله سره [ياكذابين الصادق لا يرجع، الصادق لا ظهر له، الصادق امام بلا وراء، صدق بلا كذب، قول وعمل ودعوى وبيّنة، ما يرجع عن محبوبه عز وجل بسهام تأتيه بل يتلقاها بصدره، حبك للشيء يعمي ويصم، من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل، المحب الصادق في محبته أبداً يقتحم الأخطار في طلب محبوبه عز وجل ولو كان بين يديه نار غاصَ فيها يهجم على مالا يتجاسر عليه غيره صدقه يحمِلُه على ذلك محبته وقلة صبره عن محبوبه عز وجل تحمِله على ذلك البلايا تُظهر وتميز بين الصادق والكاذب ما أحسن ما قال بعضهم شعراً :

وفي حالة السخط لا في الرضا ... يبين المحب من المبغضِ][1]

فالصادق الحق يلازم حالة الصدق وان بذل في ذلك مهجته والا فان اختل صدقه خشية الخطر خرج من زمرة الصادقين قال الجنيد البغدادي قدس الله سره (حقيقة الصدق ان تصدق في مواطن لا ينجيك منها الا الكذب)[2]، فهذه هي صفة الصادقين الذين لا يسمعون لومة لائم ولا عذل عاذل في حبهم لله ولنا مثال في صحابة الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم من الرجال والنساء الذين صدقوا مع الرسول عهدهم فلم يردعهم اللوم والتعذيب ولا التجريح حتى كان البعض منهم يكوى بالحديد المحمى والاخر يضرب بالسياط وثالث يحرم من الطعام فما اختل عهد احد منهم ولا تهاون احدهم في صدق قوله وفعله فنالوا بذلك درجات الصادقين امثال بلال وخباب وصُهيب وعمار وياسر وسمية .

ورويً ان فرعون عندما اشتد في عذاب زوجته آسيا قال لها أرتدي عن دين موسى ؟ فقالت انك تغلب نفسي، وقلبي في عصمة ربي لو قطعتني أرباً ما زدت الا حُباً، فهذا صدق عهد مع الله قولاً وفعلاً، سراً وعلانية . قال ابو الحسن الزنجاني (أصل العباده على ثلاثة اركان العين والقلب واللسان : فالعين بالعبرة، والقلب بالفكرة، واللسان بالصدق والتسبيح والذكر)[3] .

---

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٣٣، الناشر الشيخ محمد الكسنزاني .
(٢) الرسالة القشيرية .
(٣) مكاشفة القلوب للغزالي .

والصادق لا يرى من الناس الا الصدق فتراه يصدق ما يقولون لانه لا يعرف غير ذلك فيصدِّق الكاذب لانه لا يعرف الكذب وهكذا نرى آدم عليه السلام قد صدق ابليس في كذبه لانه عليه السلام صادق لا يعرف حقيقة اخرى غير الصدق وهذا المعنى لدى آدم عليه السلام لا يسع معنى اخر ضده . والصادق يجب ان لا تحدثه نفسه بانه صادق بل يرى صدقه دائماً غير متكامل وهذا حاله كحال الاخلاص، قال سهل بن عبد الله التستري (أول خيانة الصادقين حديثهم مع انفسهم)[1]، لان المُريد متى رأى نفسه او ظن انه مخلص صادق وقع في آفة العجب والغرور، والصادق في حبه وعهده تنعدم في عينه الرؤية فلا يرى سوى محبوبه وتعمى عينه عمن سواه فلا تكبر امامه الدنيا ولا الاخرة ولا يعظم في نفسه ثواب او عقاب يكابد الاهوال في طلب محبوبه ويهون عليه ما يبذل من مال وجهاد للنفس .

وسُئل ابو يزيد البسطامي ما اسم الله الاعظم ؟ فقال اروني الاصغر حتى اريكم الاعظم، ما هو الاّ الصدق أصدق وخذ اي اسم شئت، اسماء الله سبحانه وتعالى كلها عظيمة .

وذكر الامام الغزالي للصدق معان ستة فقال (اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان : صدق في القول وصدق في النيه والارادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدّيق :

١- صدق اللسان يكون في الاخبار وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه .

٢- صدق في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى .

٣- صدق في العزم على العمل لله تعالى .

٤- صدق في الوفاء بالعزم بتذليل العقبات .

٥- صدق في الاعمال حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف به .

---

(١) الرسالة القشيرية .

٦- الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب)[١] .

(فالصدق صفة ينبعث منها العزم والتصميم والهمة والترقي في مدارج الكمالات والتخلي عن الصفات الناقصة المذمومة، وهو سيف الله في يد السالك يقطع به حبال العلائق والعوائق التي تعترض طريقه في سيره الى الله تعالى ولولاه لما استطاع ان ينطلق في مدارج الترقي ولكان معرضاً للوقوف والانقطاع)[٢] .

وتظهر اهمية الصدق وعظيم آثاره في اعتباره أرفع الدرجات بعد النبوّة والرسالة عند الله عز وجل قال تعالى : (**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**)[٣]، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الصديقين رفاقاً للانبياء والصدّيق من تساوت افعاله واقواله واتسمت بالصدق والاخلاص، قال ابو القاسم القشيري (اقل الصدق استواء السر والعلانية، والصادق من صدق في اقواله والصدّيق من صدق في جميع اقواله وافعاله واحواله) .

الاخــلاص

هو ثبوت النية على الاعتقاد وصدق تلك النية، لان الاخلاص مسألة روحية عميقة سرية تترجم عنها الى الظاهر التصرفات والافعال الظاهرية، قال تعالى : (**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**)[٤]، ولما كان الاخلاص مسألة سرية فهي متعلقة بالقلب فيبدأ المُريد بتطهير قلبه من الادران المتراكمة فيه واخراج اية محبة دنيوية منه حتى يفرغ تماماً استعداداً لحلول محبة الله فيه ويتم ذلك بذكر الله فيه قال تعالى : (**أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**)[٥]، والاخلاص في محبة الله يبدأ بالاخلاص في محبة

---

(١) احياء علوم الدين، ج٤، ص٣٣٤ .
(٢) حقائق عن التصوف عبد القادر عيسى، ص٢٠٦ .
(٣) سورة النساء، الآية ٦٩ .
(٤) سورة البينة، الآية ٥ .
(٥) سورة الرعد، الآية ٢٨ .

الشيخ العارف والصدق معه والطاعة العمياء له لان حب الشيخ من حب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم طالما كان الشيخ وريثاً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وسائراً على نهجه وحب الرسول وطاعته فيكون الشيخ العارف عاملاً آمراً بأمر الله ورسوله فحبه والاخلاص له يأتي من حب الله ورسوله والاخلاص معهم قال تعالى : (قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبكُمُ اللَّهُ)[1]، فالمُريد قد قطع على نفسه عهداً للشيخ واشهده بأن يخلص لله توحيداً وصبراً وشكراً وأن يرفض الدنيا ويطلب الله سبحانه ويعرض عنها ويقبل عليه جل جلاله ويستوحش الناس ويأنس بذكر الله .

والقلب يرتبط بالعقل الذي هو مصدر التفكير وعنه تصدر التصرفات فاذا خلص القلب تبعه العقل بتوجيه التصرفات نحو ما يرضاه الله والابتعاد عن نواهيه عز وجل ولهذا ترى الاسلام أهتم بالقلب لانه متى صلح القلب تبعته التصرفات الظاهرية بحق وحقيقة وعمل خالص من اي شرك او رياء، قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله)**[2]، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم)**[3]، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(ان لكل حق حقيقة و ما بلغ احد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل الله)**، فحقيقة الاخلاص في العبادة هي ان يرى المُريد نفسه مقصراً تجاه خالقه مهما بذل من طاقات وان لا يجعل لعمله قدراً كبيراً ويستصغره دائماً لان الله سبحانه وتعالى لو طالب العبد ان يفي له بالنعم التي انعمها عليه لعجز العبد عن ذلك ولو وزن اخلاصه في العبادة مهما بلغ لما ساوى بذلك نعمة واحدة من نعم الله عليه .

قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(من احب ان يعلم ماله عند الله فليعلم ما لله عنده)** .

فأي عمل يقوم به المُريد في طلب وجه الله سبحانه وتعالى ليس له ان يطالب

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١ .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه مسلم وابن ماجه .

الناس بالتقدير انما ذلك على الله لانه خاص به خالص له والا فقد وقع في الرياء، لذا يجب ان يكون العمل لله خالصاً من الآفات القلبية والنفسية فلا يعجب المُريد من نفسه وأخلاصه لله ويراه دائماً قليلاً .

قال *الامام* جعفر *الصادق* عليه السلام [الاخلاص يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قل عمله، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتباراً بآدم وابليس عليه اللعنه وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل محاب مع اصابة علم كل حركة وسكون والمخلص ذائب روحه باذلْ مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل والمعمول بالعمل لأنه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاتهُ ذلك فاتهُ الكُل، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قيل ألا هلك العاملون إلا العابدين، وهلك العابدون إلا العالمين، وهلك المخلصون الا المتقين، وهلك المتقون الا الموقنين، وإن الموقنين لعلى خطر عظيم قال الله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[1]، وقال ايضاً (أدنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعلمه عند الله قدراً، فيوجب به على ربه مكافأة بعمله، انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة)][2] .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (ياغلام عليك بالاخلاص في العمل لله عز وجل في صلاتك وصيامك وحجك وزكاتك وجميع افعالك اتخذ عنده عهداً قبل وصولك اليه ما هذا العهد الاّ اخلاصاً وتوحيداً وسنة وجماعة وصبراً وشكراً وتفويضاً للخلق رفضاً وله طلباً وعن غيره اعراضاً وعليه اقبالاً بقلبك وسرك ولا جرم يعطيك في الدنيا قرباً وله حباً واليه شوقاً وفي الآخرة يعطيك من قربه ونعمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[3] .

وقال قدس الله سره (يا مخلص اهرب من الشرك الى باب ربك، قف عنده ولا تهرب عند مجيء الآفات، اذا وقفت على بابه وجاءتك الآفات من خلفك فتعلق بالباب فانها

(١) سورة الحجر، الآية ٩٩.

(٢) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، ص٢٨٣، عادل خير الدين .

(٣) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٣٠

تدفع عنك بتوحيدك وهيبة صدقك فاذا جاءتك الآفات فعليك بالصبر والثبات)[1] .

وقال ايضاً قدس الله سره (ياعابد بغير قلب حاضر مثلك مثل الحمار المشدود العين وهو يطحن يظن انه مشى فراسخ كثيرة وهو من مكانه ما برح، ويلك تقوم وتقعد في صلاتك وتجوع وتعطش في صومك بلا ذرّة من الاخلاص والتوحيد فماذا ينفعك ؟ ما يقع بيديك غير التعب ؟ تصلّي وتصوم وعين قلبك الى ما في بيوت الناس وجيوبهم واطباقهم تنتظرهم حتى يهدوا لك وتريهم عبادتك وتُعلمهم بصومك ومجاهدتك، يامشركاً، يامنافقاً، يامرائياً، يامُدبراً عن وصف الصدّيقين الروحانيين الربّانيين)[2] .

قال ابن عجيبة (الاعمال كلها اشباح واجساد وارواحها وجود الاخلاص فيها كما لا قيام للاشباح الاّ بالارواح والاّ كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للاعمال البدنية والقلبية الاّ بوجود الأخلاص فيها والاّ كانت صوراً قائمة وأشباحاً خاوية لا عبرة بها)[3] .

وقال الجنيد البغدادي قدس الله سره (الأخلاص ما أريد به الله من اي عمل كان)[4] .

وقال ابو يعقوب السوسي (الخالص من الاعمال مالم يعلم به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا النفس فتعجب به)[5]، فيجعل النفس بعيدةً عن المُريد في عمله لانها العدو الاول للسالكين طريق التصوف والتوحيد الخالص فتراه يوجه عمله الى ربه وحده ويخفيه عن النفس كي لا تعجب من اخلاصها له فتقع في المحذور .

ويرى ابن عجيبة ان الاخلاص هو توحيد القصد تجاه الله سبحانه وتعالى وان يكون السالك مُلكاً لله وحده روحاً، ونفساً، وفكراً، وقلباً لا شريك له جلّ وعلا ولا أرادة للسالك في اي عمل كان فيقول (الاخلاص اخراج الخلق عن معاملة الحق وافراد الحق تعالى بالقصد)[6] .

---

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٣٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ايقاظ الهمم في شرح الحكم، ابن عجيبه، ج١، ص٢٥ .

(٤) التعرف لمذهب اهل التصوف الكلاباذي .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) معراج التشوف الى حقائق اهل التصوف ابن عجيبه .

والاخلاص هو صفاء الاعمال وخلوصها من الشوائب وهو على درجات :

الاولى : اخلاص الناس العامة فيكون في اخراج المخلوقات عن الهدف في اعمال العبادة وبمعنى آخر الابتعاد عن الرياء في العبادة .

الثانية : اخلاص السالكين ويكمن في عدم التفكير في الجزاء والثواب على العبادة لا في الدنيا ولا في الاخرة وانما يكون العمل من اجل محبة الله فيعبد حباً لله ولا شيء غير ذلك متجاهلاً الثواب والعقاب يوم الحساب .

واما اخلاص اهل الطريقة العارفين بالله فيكون بتجردهم عن القوة والارادة في العباده سواء بالقصد او الحركة وعدم الشعور بوجود غير الله حتى تكون عبادتهم من الله والى الله ولا احد سواه فاذا صام راه من الله واذا قام فالحول والقوة من الله واذا شكر فالشكر من عند الله، اما العبد فهو مسخر ذائب في امر الله به يقوم وبه يصلي وبه يذكر وهذه اعلى درجات الاخلاص وذلك يحصل لهم لانهم مخلصون قد صفاهم واستخلصهم ربهم فهم يفعلون ذلك بأمره سبحانه وتعالى، قال ابو عثمان المغربي (اخلاص الخواص هو ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم بمعزل عنها)[1]، والاخلاص لله واجب حتماً سواء كان ذلك في رضا العبد ام لم يكن لان الله قاهر قادر وقضى بالاخلاص له في عبادته قال تعالى : (**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**)[2] . فالاخلاص الحق يكون في معرفة الانسان خالقه صاحب النعمة عليه مع رؤيته للنعمة فلا يَنكُر المنعِم ولا النعمة وانما يرى النعم كلها ويدرك في قلبه انها خلقت لتسبيح الله وحمده وانما انتفاعنا بها امر من الله لاقتضاء الضرورة .

قال محيي الدين بن عربي (لا يَصُحّ وجود الاخلاص الا من المخلَصين)[3] .

اذ ان هذه الطائفة وهم اهل الطريقة قد أستخلَصهم الله واعتنى بهم عناية فائقة فلا يرون الفعل والاشياء الا خادمة مطيعة لمن اوجدها سبحانه وتعالى فلما حصل لهم المضار والنفع نظروا ببصيرتهم الثاقب المنورة الى واضع هذه الاسباب وعلموا حاجتهم

---

(١) الرسالة القشيرية .

(٢) سورة الرعد، الآية ١٥ .

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي .

اليه فكانوا بذلك عباداً مخلَصين احبوه حباً شغلهم عن التفكير بما كان السبب في معرفتهم له سبحانه وتعالى .

الصبر

(الصبر لغة الحبس، صبّرت نفسي على ذلك الامر حبستها، والصُبرُ من الحجارة ما اشتد وغلظ)[1] . وهو تكريس الطاقة البشرية لتحمل ما يقع على الانسان من جهد سواء كان فكرياً او نفسياً او جسدياً ويصيبه باذى معين .

والصبر من صفات الانبياء المرسلين قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)[2]، وجعل الله سبحانه وتعالى الفلاح في الصبر بقوله جل وعلا : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[3]، ويوصي الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بموالاة الصابرين العابدين لله حق عبادته بقوله : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)[4]، والصبر يمحو السيئات والخطايا ويقرب العبد من حضرة الجليل قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئه)، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفرَ الله بها من خطاياه)[5]، والصبر من الشجاعة قال *الامام علي* كرم الله وجهه (البخل عار والجبن منقصه والصبر شجاعه)[6]، والصبر نوعان صبر على الدنيا وصبر على الدين :

فصبر الدنيا يبدأ بالشكر على الرخاء ومعرفة الانسان لنعم الله وفضله عليه

---

(١) معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس .
(٢) سورة الاحقاف، الآية ٣٥ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠ .
(٤) سورة الكهف، الآية ٢٨ .
(٥) رواه البخاري ومسلم .
(٦) نهج البلاغة للامام علي .

ومن ثم شكره عليها بأنفاقها في مجال يرضيه وعدم استخدامه هذه النعم في معصية الله فلا تسخر العقول النيرة للاجرام ولا تستخدم الاموال لارتكاب الفواحش وانتهاك محارم الله .

والصبر على البلاء من صفات الصالحين لان الدنيا دار امتحان اذ ان الله تعالى يختبر ايمان عبده بأنواع المصائب فالمريض الصابر على بلائه والفقير الصابر على جوعه وهكذا .

واما الصبر على الحكم فذلك هو قمة الصبر على الدنيا لان الله سبحانه وتعالى حببٌ الى العبد الدنيا وزخارفها ثم قضى عليه ما شاء ليرى مدى صبره وتحمله فاذا صبر العبد جرت تلك المقدرات عليه وهو مأجور عليها وان جزع فهي جارية عليه وله منها الوزر على جزعه فيها ومن ذلك بلاء العبد بالموت والفراق .

روي عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه مرّ بأمرأة تبكي على قبر صبي لها فقال **(اتقي الله واصبري)**، وانه صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال عند وفاة ولده ابراهيم **(ان العين لتدمع والقلب ليحزن ولكن لا نقول ما يغضب الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزنون)** .

وقال *الامام جعفر الصادق* عليه السلام الصبر يُظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة، والصبر يدعيه كل أحد، وما يثبت عنده الاّ المخبتون، والجزع ينكره كل أحد، وهو بيّن على المنافقين، لان نزول المحنه والمصيبة مُخبر عن الصادق والكاذب .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (اصبر على اذية الخلق والجيران، فأن في الصبر خيراً كثيراً كلكم مأمورون بالصبر اصبروا على الأمر بالقدر حتى ينقلب السماع يقيناً، الصبر أساس الخير، الملائكة ابتلوا فصبروا والانبياء ابتلوا فصبروا وأنتم على اثر القوم فافعلوا كفعلهم واصبروا كصبرهم، القلب اذا صح لا يبالي بمن خالفه ومن وافقه بمن حمده ومن ذمه، ومن اعطاه ومن منعه، بمن قرّبه ومن ابعده بمن قبله او ردّه القلب الصحيح يمتلىء توحيداً وتوكلاً ويقيناً وايماناً ومن الله عز وجل قرباً،

يرى الخلق كلهم بعين العجز والذل والفقر ومع ذلك لا يتكبر على طفل صغير منهم)[١] .

وقال قدس الله سره [ويحك اذكر جوع الجياع وعري العراة، ومرض المرضى، وحبس المحبوسين، وقد هان عليك ما عندك من البلاء، اذكر اهل القبور في اهوال القيامه، اذكر علم الله عز وجل فيك ونظراته اليك وسابقته لك وقد استحييت منه، اذا ضاق بك الامر فتفكر في ذنوبك وتب منها وقل لنفسك بذنوبك ضيّق الحق عليك، اذا تُبت من الذنوب واتقيت الحق عز وجل جعل لك من كل هَمٍ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً قال الله عز وجل : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)[٢] ، اذا وافقت ولم تنازع وشكرت ولم تكفر، ورضيت ولم تسخط، وسكنت ولم تشكُ أليس الله بكاف عبده][٣] .

وقال قدس الله سره (يافقراء إصبروا على فقركم وقد جاءكم الغنى في الدنيا والآخرة عن النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم قال **الفقراء الصُبر جلساء الله عز وجل يوم القيامة**، الفقراء الصُبّر جلساء الرحمن عز وجل اليوم بقلوبهم وغداً بأجسادهم، ما من مؤمن الا عند الموت يكشف عن بصره فيرى ماله في الجنة فيطيب له الموت والسكرات)[٤]، فالصبر اذن حبس للنفس لتقبل ما حكم الله قال ابن عجيبة (الصبر حبس القلب على حكم الرب)[٥]، والصبر على الدنيا دليل على عمق الأيمان بالله ومحبته قال ابو الدرداء (ذروة الأيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر)، وقال القناد رحمه الله (الصبر ملازمة الواجب في الاعراض عن المنتهى عنه والمواظبة على المأمور به)[٦] .

والسادة اهل الطريقة لا يرضون بالقدر فحسب بل يشعرون بمتعة الالم في صبرهم . قال ذو النون المصري لمريض كان يزوره ليس صادقاً في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض بل ليس صادقاً في حبه من لم يتلذذ بضربه .

---

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر .
(٢) سورة الطلاق، الآيات ٢، ٣.
(٣) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) معراج التشوق الى حقائق التصوف، لابن عجيبه .
(٦) المعجم الصوفي، د. سعاد الحكيم .

والصبر في الدنيا يكون بالتحمل بلا شكوى للناس فأن شكى ربه الى الناس خرج من حدود الصبر قال بشر الحافي (الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه للناس)[1]، إنما جواز الشكوى من الله الى الله سبحانه وتعالى بدليل شكوى النبي ايوب عليه السلام فقد شكى الى الله الضُر ومع ذلك لم يخرجه من دائرة الصابرين قال القنّاد رحمه الله (الصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع ولا يتمكن منه الجزع ويتوقع منه شكوى)[2] .

واما الصبر على الدين فيشمل الصبر على اجتناب المحارم والتزام الطاعات والصبر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالصبر على الطاعات يبدأ بالتغلب على الشهوات النفسية وشدة تعلقها بمغريات الحياة خاصة ما حرم منها فأن النفس مغرمة بكل ما هو محرم من قبل الله تعالى لذا فأن تربية اهل الطريقة تبدأ من هنا اي محاولة السيطرة على شهوات النفس وكسرها بالرياضات والتسبيح وسد جميع المنافذ المؤدية الى المحرمات ثم المشبوهات ثم تدريجياً حتى يصل الى تقليل الاستفادة من الحلال وهي درجة الورع ثم يأتي الصبر على مواصل العبادات وتحمل القيام بها وما يتبعها من جهد طلباً لوجهه تعالى .

وحينما يخلص المُريد مع شيخه من تصفية قلبه من غير حب الله وتعوده على الصبر في الدنيا والدين وجب عليه الآن الصبر على اذى الناس وطعنهم في دينه إسوة بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين بث دعوته في مكة فآذاه المشركون وأدموه فقابل جهلهم بنبله ومسح الدم عن وجهه ودعى لهم بالهداية واستغفر لهم وقال (**اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون**)[3] .

وهذا نجده اليوم في آل بيته الطاهرين مشايخ الطريقة الكسنزانية من بذلٍ لأموالهم وجهدهم في سبيل نشر تعاليم الدين الحنيف وصبر وجهاد في هذا المجال لقد ورثوا قُدست اسرارهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعوته وجهاده وتعاليمه وراياته كما ورثوا عنه حبه لله وتقواه وصبره ونبله واستقامته .

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص٢٢٥ .

إن الصبر يتمثل في هذا المجال بالصبر على اقوال الناس وأذاهم بالتكذيب فهو نعمة من الله تعالى ينعم بها على العبد لمن يشاء ولا تجاريها نعمة اخرى سوى التجلي الرباني، قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (**ما اعطي احد عطاءً خيراً واوسع من الصبر**)، والصبر يختلف بأختلاف السالكين فصبر الناس العامة يكون في حبس القلب على مشاق العباده وترك جميع المنهيات من قبل الله عز وجل وصبر السالكين المتقدمين يكون في مجاهدتهم للنفس مع مراقبة القلب ودوام حضوره مع الله وصبر اهل الطريقة الواصلين حبسهم لأرواحهم في دوام العكوف والنظر الى الله .

والصبر من أشد الاعمال على النفس لانه يحبسها عما تطلب ويثبتها في مواجهة ما تكره فلولا إيمان المؤمن بقدرة الله وحبه له ما صبر ولا احتسب، ولكنه آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى الى نور الله بواسطة الشيخ العارف فكان الصبر على بلاء المحبوب متعة كبيرة بالنسبة للسالك [ويُقسّم الصبر الى ثلاثة اقسام : صبر على الطاعات، صبر على المعاصي، وصبر على المصائب .

فالصبر على الطاعات هو الاستقامة على شرع الله والمثابرة الدائمة على العبادات والصبر على ما يعترض ذلك من انواع الابتلاء .

والصبر عن المعاصي هو مجاهدة النفس في نزواتها ومحاربة إنحرافها وتقويم إعوجاجها وقمع دوافع الشر والفساد والتي يثيرها الشيطان فيها .

واما **الصبر على المصائب** فأن الله تعالى يختبر ايمان عباده -وهو اعلم- بأنواع المصائب ويمتحن المؤمنين بصنوف المحن كي يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق قال تعالى : (**الم . احَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**)[1]][2] .

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات ١، ٢.

(٢) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص٢٢٥ .

الــــورع

هو خوف يداهم القلب فيوحي اليه بأنه واقع في الخطيئة، واصله سد منافذ الجوارح عما يوحي بوقع الضرر منه ودوام محاسبة النفس وكفها عن ارتكاب ما تكره عاقبته والصدق في المعاملة وصفاء النية والابتعاد عن كل شبهة ورفض كل ريبةٌ او ظن لقوله تعالى : (إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ)[1]، وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع)**، وقال *الامام علي* عليه السلام ثبات الايمان الورع وزواله الطمع)، وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار فما ينفعكم الا بالورع الشافي)**[2] .

وقال الحسن البصري قدس الله سره (مثقال ذرة من الورع خير من الف مثقال من الصوم والصلاة)[3] .

والورع هو إجتناب الحرام والمشبوه وذلك لأن ترك المشبوه في نظر اهل الطريقة تغليبٌ لجانب الحرمة فيه على الرغم من أن فيه نسبة حلال ولكن ورعهم يكفهم عنه ويوجب الورع على العبد إلتزام الحق في القول والعمل في حالتي الغضب والرضا وان يخاف الله فيما يقولَ ويحكم (والورع ان لا يتكلم العبد الا بالحق غضب او رضي)[4]

وفي الورع اجتناب للغيبة والسخرية وغض البصر عن المحارم وعدم الاعجاب بالنفس وترك المرء مالا يعنيه وعدم مصاحبة ضعيف الايمان .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (ولا يتم الورع الا ان يرى عشرة اشياء فريضةً على نفسه

اولها : حفظ اللسان من الغيبة لقوله تعالى : (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا)[5].

والثاني : الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى : (ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢ .

(٢) الغُنيه لطالبي طريق الحق، الشيخ عبد القادر الكيلاني، ص٢٠٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) معجم المصطلحات الصوفية، عبد المنعم حفني .

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٢ .

بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)[1] ، ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (إياكم والظن فانه اكذبُ الحديث) .

والثالث : الاجتناب عن السخريةِ لقوله تعالى : (لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ)[2] .

والرابع : غض البصر عن المحارم لقوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)[3] .

والخامس : صدق اللسان لقوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)[4] يعني فأصدقوا .

والسادس : ان يعرف منةَ الله عليه لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى : (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)[5] .

والسابع : ان ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا وَلَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا)[6] ، يعني لم ينفقوا في المعصية ولم يمنعوا من الطاعه .

والثامن : ان لا يطلب لنفسه العلّو والكبر لقوله تعالى : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا)[7] .

والتاسع : المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها بركوعها وسجودها لقوله تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)[8] .

والعاشره : الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)[9] .

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢ .
(٢) سورة الحجرات، الآية ١١ .
(٣) سورة النور، الآية ٣٠ .
(٤) سورة الانعام، الآية ١٥٢ .
(٥) سورة الحجرات، الآية ١٧
(٦) سورة الفرقان، الآية ٦٧
(٧) سورة القصص، الآية ٨٣ .
(٨) سورة البقرة، الآية ٣٨ .
(٩) سورة الانعام، الآية ١٥٣ .

قال *الامام الصادق* عليه السلام (إغلق ابواب جوارحك عما يقع ضرره الى قليل ويذهب بوجاهتك عند الله، ويعقب الحسرة والندامة يوم القيامة، والحياء عما اجترحت من السيئات . والمتورع يحتاج الى ثلاثة أصول : الصفح عن عشرات الخلق أجمع، وترك خطيئته فيهم، واستواء المدح والذم لديه .

وأصل الورع دوام محاسبة النفس وصدق المقاوله وصفاء المعاملة، والخروج من كل شبهة، ورفض كل عيب وريبة، ومفارقة جميع ما لا يعنيه . وترك فتح ابواب لا يدري كيف يغلقها ولا يجالس من يشكل عليه الواضح، ولا يصاحب مستخف الدين، ولا يعارض من العلم ما لا يحتمل قلبه ولا يتفهمه من قائله ويقطع عمّن يقطعه عن الله عز وجل)[1] .

والورع يطهر قلب العبد من الادناس ويحافظ عليه طاهراً نقياً صافياً وذلك بصون النفس عن دنس الطباع . ويرى اهل الطريقة ان الورع رفض كل تعلق بغير الله وعدم الطمع في غيره تعالى .

قال ابو بكر الشبلي قدس الله سره (الورع ان تتورع عن كل ما سوى الله) فحبك لله لا يخالطه شيء آخر سواه .

والورع على ثلاث درجات فما تركَ الحرام والمشبوه سُمّي ورع الناس العامه، وما تركَ كل شيء يُكدر صفوُ القلب سمّي ورع السالكين، وما تركَ كل شيء وتعلق بحب الله وعكف وركن اليه سُمّي ورع العارفين .

ومن ثمرات الورع :

١- تجنب القبائح من المكرهات والدناءات الشائنة وان لم تكن محرمه شرعاً صوناً للنفس وتحفظاً .

٢- التوقي عن الفضول الشاغله عن المراقبة والرعاية .

٣- التورع عن كل داعية تدعوا الى شتات الوقت وعن كل شاغل عن الحق موجب للمقت)[2] .

---

(١) الامام جعفر الصادق، عادل خير الدين، ص١٩٥ .

(٢) مدارج السالكين عند الصوفية، محمد هشام، ص٧٢١ .

لقد عاش اهل الطريقة في الدنيا على حذر وقلق مستمر وجاوروها كما يجاور العدو اللدود فلا يلذ لهم طعام ولا يهدأ لهم بال ماداموا مع عدوهم الاكبر وحاجزهم الاعظم عن عفو الله ومغفرته وهكذا كانت حياتهم حتى رحلوا عنها .

الـزهـــد

(الزهد الشيء القليل ورجل مزهد اي مقل)[1]، والزهد تفريغ القلب والنفس من حب الدنيا وزينتها وامتلاؤهما بحب الله ومعرفته، وهو ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة من غير تأسف عليها ولا اعجاب في تركها ولا طلب تقدير هذا العمل وان يرى الزاهد ترك الدنيا راحة والبحث عنها آفة، ويلخص الزهد في القران الكريم بقوله تعالى : (لِكَيلا تَـأْسَـوا عَلَى ما فَـاتَكُمْ ولا تَفْـرَحُـوا بِما آتاكُم)[2] .

وسيد الزهاد في الدنيا هو سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان أزهد الناس في الدنيا مع إمكان مطاوعتها إياه وانقيادها له حتى إنتقل صلى الله تعالى عليه وسلم الى الرفيق الاعلى، فالدنيا زائلة ومتاعها في الأخرة قليل قال تعالى : (وَمَا الحَياةُ الدُّنْـيا إلاّ لَعِـبٌ ولَـهْـوٌ ولَـلـدَارُ الآخِرةُ خَيْرٌ لِلّذِيـنَ يَتَّـقُـونَ أفَـلا تَعْقِلُـونَ)[3].

وقال تعالى : (المَـالُ وَالبَـنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْـيا وَالباقِياتُ الصَّالِحَاتُ خَيْـرٌ عِنْـدَ رَبِّكَ ثَـواباً وَخَيْـرٌ أمَـلاً)[4].

وقد جعلت الدنيا وما تحويه من مغريات فتنةً وامتحاناً للعباد قال تعالى : (إنّا جَعَلْـنا ما على الأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُـوَهُم أيُّهُم أحْسَنُ عَمَلا)[5] .

وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو اصحابه الى الزهد في الدنيا وترك مغرياتها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (كن في الدنيا كانك غريب او عابر

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس .
(٢) سورة الحديد، الآية ٢٣ .
(٣) سورة الانعام، الآية ٣٢ .
(٤) سورة الكهف، الآية ٤٦
(٥) سورة الكهف، الآية ٧ .

سبيل)[1] وقال **(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)**[2]، وقال **(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)**[3]، ويؤكد صلى الله تعالى عليه وسلم إن الزهد في الدنيا هو قصر الأمل فيقول **(ما انا في هذه الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)**[4]، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم **(حب الدنيا راس كل خطيئة))**[5] .

ألا ترى كيف احب ما ابغضه الله وأية خطيئة اشد جرماً من هذا، ومن زهده صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابي بكر الصديق عنه قال كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يدفع عنه شيئاً ويقول اليكِ عني، اليكِ عني، ولم ار معه احداً فقلت يا رسول الله اراك تدفع شيئاً ولا أرى معك أحداً فقال **هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها اليكِ عني** فتنحت وقالت اما والله لئن انفلتَ مني لا ينفلت مني مَن بعدك .

وهكذا قال لها *الامام علي* كرم الله وجهه عندما تمثلت له بصورة حسناء فنهرها وقال (غُري غيري، غُري غيري)[6]، وقال كرم الله وجهه (إزهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها)[7]، والزهد يكون بترك الدنيا مع القدرة عليها وليس في إدبارها عن المرء فتكون في قلبه بعيدة عن متناول يده ويدعي الزهد إنما يجب ان تخرج من قلبه قبل كل شيء .

والفقير لا يملك الدنيا بل يملك قوة الارادة والكفاح فيها والسعي خلفها فأن ترك البحث عنها مع فقره عُدَّ من الزاهدين كذلك . قال ابو عبد الله عليه السلام (ليس الزهد في الدنيا بأضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل بالزهد ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما في يد الله)[8] .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (حقيقة الزهد ترك الدنيا

---

(١) رواه السيوطي في الفتح الكبير، ج٢ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجه .
(٤) رواه الاربعه .
(٥) رواه السيوطي في الفتح الكبير .
(٦) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٢٥ .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) المصدر نفسه .

وترك الآخرة وترك الشهوات واللّذات وترك الوجود وترك طلب الحالات والدرجات والمقامات والكرامات وترك كل شيء سوى رب البرّيات حتى لا يبقى الا الخالق عز وجل اليه المنتهى وهو غاية الآمال واليه تصير الامور)[1]، وقال قدس الله سره (من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر اليه اذا صح زهد القلب في الخلق وزهد السر في جميع ما سوى الله عز وجل القرب منه كان القرب في الدنيا خليله وفي الآخرة انيسه)[2] .

وقال ايضاً (ويحك القلب يزهد لا الجسد يا متزهد بالظاهر زهدك مردود عليك قد خبأت عمامتك وقميصك، ودفنت ذهبك في الارض، قطع الله عز وجل جلدك ورأسك ان لم تتب، قد فَتحتَ دكانكَ تبيع فيه النفاق، ويلك المؤمن زَهِدَ في قلبه، قُربُ ربه عز وجل في سرهِ، الدنيا والآخرة على بابه في خزانته لا في قلبه، قلبه فارغ من مولاه، فكيف يسع غيره وقد إمتلأ به وبذكره وقربه ؟ قلبه فارغ منكسر لاجل مولاه عز وجل فلا جَرمَ يكون عنده قال الله عز وجل في بعض كلامه (انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي)، إنكسرت نفوسهم بترك الدنيا وانكسرت قلوبهم لاجل المولى عز وجل فلما تحقق لهم الانسكار جاء اليهم وجبر كسرَهم، جاء الطبيب فطببهم . هذا هو النعيم لا نعيم الدنيا والآخرة)[3] .

قال *الامام جعفر الصادق* (الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله تعالى، من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب في تركه، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليه، ولا غرض لها، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة والجوع على الشبع وعافية الأجل على محنة العاجل، والذِكر على الغفلة وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة)[4] .

وقال بعض اهل البيت (لو كانت الدنيا بأجمعها لقمةً في فم طفل كيف حال من نبذ حدود الله وراء ظهره في طلبها والحرص عليها)[5] .

---

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٢٥ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، عادل خير الدين، ص١٩١ .

(٥) المصدر نفسه .

والزهد هو اعظم مقام عرف به اهل الطريقة حيث لم يقيموا للدنيا وزناً ولم يرفعوا بها رأساً اذ محبة الله ورسوله صلى اللّه تعالى عليه وسلم لا تنال الاّ بالزهد في الدنيا، والمراد به هو انصراف الهمة الى الله تعالى عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال (**لو كانت الدنيا تعدل عند الله عز وجل جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**)[1] .

والزهد ثلاثة انواع عند اهل الطريقة :

زهد العامة من الناس : وهو ترك الدنيا ما زاد عن حاجتهم لأدامة الحياة .

وزهد السالكين : يكون في ترك القليل طمعاً في الكثير فتركوا الدنيا لان متاعها في الآخرة قليل وأقبلوا على الآخرة .

وزهد العارفين : الذين زهدوا في كل شيء سوى الله قال ابو يزيد البسطامي (زهدت في الدنيا ثم زهدت في الآخرة ثم زهدت في كل ما سوى الله فناداني الحق ما تريد ؟ فقلت اريد ان لا اريد)، فهذا هو التجرد من الأرادة في الحركات والسكنات وكل شيء فكان بالله ولله ومن الله .

[ويرجع سبب التجاء اهل الطريقة الى الزهد في الدنيا الى ثلاثة اسس :

١- انهم علموا بأن الدنيا ظل زائل وخيال زائر والرحيل منها الى دار البقاء اما الى نعيم واما الى عذاب .

٢- علموا ان وراء الدنيا داراً اعظم منها قدراً واجل خطراً وهي دار البقاء قال تعالى : (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى)[2] .

٣- علموا ان زهدهم فيها لا يمنعهم شيئاً كتب لهم وان حرصهم عليها لا يجلب لهم مالم يُقضَ لهم منها فما اصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم][3] .

والزهد في الدنيا يقسم حسب ما تحويه من مغريات :

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) سورة النساء، الآية ٧٧ .

(٣) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص ١٩٤ .

الزهد في الطعام : اعلى درجات الزهد في الطعام هي ان يكتفي السالك بما يدفع عنه الجوع ولا يتقيد بغداء او عشاء ويقتصر على لقيمات يُقمن صلبه .

والدرجة الثانية : ان يتقيد الزاهد بالغداء والعشاء ولكن لا يدخر شيئاً .

والدرجة الثالثة : ان يتقيد الزاهد بالغداء والعشاء ويدخر قوت يوم واحد وان زاد خرج عن حدود الزهد . واما الأدَم فأعلى درجات الزهد فيه الملح والخل ثم يأتي بعده الزيت والدرجة الثالثة هي اللحم في الاسبوع مرة وان زاد خرج عن حدود الزهد .

ويصنف بعضهم **زُهداً في الملابس والمسكن واثاث البيت** : وهذا كله زهد في الدنيا وهو صفة من صفات اهل الطريقة العارفين بالله وهم زاهدون عمن سواه وهدفهم ان يشرق نور ربهم عليهم ويشع في قلوبهم .

الرضـــا

هو سرور يدخل القلب فيشعر العبد بالراحة بفعل دخول ذلك السرور الى قلبه ناشراً الهدوء في اعصابه مبرزاً البشاشة على قسمات وجهه .

ورضا المؤمن يكون عندما تسره المصيبة كما تسره النعمه ويصل الرضا بالمؤمن الى حب كل شيء يرضي الله تعالى لاجل محبته سبحانه فيرى قدر الحياة خيراً ورحمة وينظر اليه بعين الرضا لعلمه وايمانه ان وراء كل فعلاً من افعال الجليل حكمة خفية قال تعالى : (**فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**)[1]، ولما رضي المؤمنون عن ربهم في ابتلائه لهم رضي عنهم لصبرهم ورضاهم فتحقق قوله تعالى: (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**)[2]، فالرضا عنه سبحانه وتعالى بتقبل القليل من خيره الكثير وبعدم الاعتراض على الحكم والقضاء، فحقيقة المؤمن ان يكون راضياً ثابتاً على حالٍ واحدة لا يتغير مهما طرأت عليه من تحولات والمقصود حالته النفسية فان ابتلاه الله في بدنه لم يحب العافية حتى ينقله الله من حال الى حال اخرى فيرضى بما رضي الله ويحب ما يحب وذلك هو حقيقة الايمان قال الرسول صلى اللّه تعالى عليه

---

(١) سورة النساء، الآية ١٩ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٩ .

وسلم (ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً)[1]، فالرضا به وعنه امر محمود مطلوب واما الرضا منه فهو امر لايقول به الا من جهل مقام ربه لان الله سبحانه واسع غير متناه فمن رضي منه بالقليل ما عرفه وقال الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم (من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له و من شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله)، وقال صلى اللّه تعالى عليه وسلم (و من سخط فله السخط) .

فليس امام المؤمن العابد الصابر غير الرضا بما قدر عليه وبذلك له رضا الله وليس الرضا في الصبر وتحمل البلاء فحسب انما يكون الرضا في عدم الاعتراض على الحكم وان يكون العبد ساخطاً على نفسه لائماً لها ويراها مقصرةً مهما بلغت حداً في العبادة . قال *الامام علي* كرم الله وجهه (رأس اطاعة الله الصبر والرضا عنه فيما احب العبد او كره)، فمن عرف الله حق معرفته واحبه شديد حبه رضي بقضائه سواء كان مفرحاً او محزناً فلا رأي له فيما يجري .

قال الامام جعفر *الصادق* عليه السلام صفة الرضا ان يرضي المحبوب والمكروه، والرضا شعاع نور المعرفة . والراضي فانٍ عن جميع اختياره . والرّضي حقيقة هو المرضي عنه، والرضا اسم يجتمع فيه معاني العبودية . وتفسير الرضا سرور القلب، سمعت ان محمداً الباقر يقول تعلّق القلب بالموجود شرك، وبالمفقود كفر، وهما خارجان من سنته، واعجب بمن يدّعي العبودية لله كيف ينازعه في مقدوراته حاشا الراضين العارفين عن ذلك .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره كل الدائرة على الرضا بالقضاء وترك الأراده وإستطراح القلب بين يديّ مقلبّه .

ما اقل التوحيد فيكم ما اقل الرضا عن اللّه تعالى فيكم، ما اكثر شرككم بالاسباب والخلق . قد اتخذتم فلاناً وفلاناً أرباباً من دون الله عز وجل تضيفون اليهم الضرّ والنفع والعطاء والمنع . لا تفعلوا ارجعوا الى ربكم عز وجل، مالكم باب آخر كل الابواب مغلقةٌ الاّ بابه، كل واحد منكم ليتطهر وليضع جبهته على التراب ويتقرب ويعتذر ويعترف بذنوبه ويتعرّض لنواله وليسال حوائجه ويشكو أليه من جميع ما يضيق به صدره

---

(١) رواه السيوطي في الفتح الكبير .

هو ربكم عز وجل لا رب لكم غيره، الهكم لا اله لكم غيره، كل من تقدمكم عاملَهُمْ بالبأساء والضراء والشدة والرضا ليعرفوه ويشكروه ويصبروا معه ويتوبوا اليه، العقوبات للعوام والكفّارات للمؤمنين المتقين والدرجات للصالحين .

وقال ابن عجيبة (الرضا تلقي المهالك بوجه ضاحك او سرور يجدهُ القلب عند حلول القضاء، او ترك الاختيار على الله فيما دبّر وامضى، او شرح الصدر ورفع الانكار لما يَرِدِ من الواحد القهار)[1] .

وقال ابن عطاء الله الاسكندري (الرضا نظر القلب الى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط)[2] .

وقال المحاسبي (الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحكام)[3] .

وقال الجنيد البغدادي قدس الله سره (الرضا ترك الاختيار)[4] .

وقال رويم رضي الله عنه (الرضا استقبال الاحكام بالفرح)[5] .

وقال ابو علي الدقاق (ليس الرضا ان لا تحس بالبلاء وانما ان لا تعترض على الحكموالقضاء)[6] .

والرضا هو محبة الله من غير طلب وصول بل حب في كل الاحوال بُعدٌ وقربٌ، رضا وسخط، دون التفات الى راحة المحب ولا رجعة عن المحبة لان الله سبحانه وتعالى لم يقضِ شيئاً الاّ في صالح وخير العبد وان المؤمن الذي عمّر الايمان قلبه وانتشر حب الله فيه وملك عليه عقله لا يحسُ بقضاء الله مهما كان نوعه

فتساوت لديه الافراح والاحزان واختلطت عنده المشاعر والاحاسيس فكوّنت شيئاً واحداً هو محبة الله والرضا عنه وهذه حال لا يفهمها الاّ من وصل اليها .

والرضا اسمى مقاماً وارفع رتبة من الصبر اذ هو السلام الروحي الذي يصل بالعارف الى حب كل شيء في الوجود يرضي الله تعالى حتى اقدار الحياة ومصائبها

(١) معراج التشوف الى حقيقة اهل التصوف، ص٨، ابن عجيبه .
(٢) الرسالة القشيرية، ص٨٩، الامام القشيري .
(٣-٤-٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .
(٦) معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم حفني .

يراها خيراً ورحمة ويتأملها بعين الرضا فضلاً وبركة)[1] .

واعلم ان الله تعالى لا يرضى عن عبده الاّ اذا رضي العبد عن ربه في جميع احكامه وافعاله وعندها يكون الرضا متبادلاً كما أشار الى ذلك الحق تعالى بقوله : (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**)، ولقد أدرك السادة اهل الطريقة سر هذا الترابط بين الرضائين (فقد كان سفيان الثوري يوماً عند رابعة العدوية فقال اللهم أرضَ عني فقالت اما تستحي من الله ان تسأله الرضا وانت عنه غير راضٍ ؟ فقال استغفر الله)[2] .

ورضاء الله تعالى عن العبد هو اسمى منزلة وارفع رتبة واعظم منحة قال تعالى : (**وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**)[3] .

وقال الامام الطوسي عن الرضا (ان العبد لما صدق في محبته وقعت بينه وبين الله تعالى المفاوضة والتسليم فزالت عن قلبه التهم وسكن الى حسن اختيار من أحبه ونزل في حسن تدبيره وذاق طعم الوجود له فامتلأ قلبه فرحاً ونعيماً وسروراً فغلب ذلك الم المصائب والبلوى، فيستخرج منه اذا نزل به كبيرةً فتارةً يتنعم بعلمه به إذا علم انه يراه في البلوى، وتارةً يعلم انه ذكره فأبتلاه ولم يغفل عنه على عظم قدره ان يولى من أمره ما فيه الصلاح فيراه تارةً يشكو أليه شكوى المحب الى حبيبه، وتارةً يئن اليه، وتارةً يطمع أن يراه راضياً عنه)[4] .

ويقول الامام الهروي الرضا على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى : رضا العامة وهو الرضا بالله رباً وهذا قطب رحى الاسلام وهو يطهر من الشرك الاكبر ولا يصبح الاّ بثلاث شرائط :

أ. ان يكون الله عز وجل احب الاشياء الى العبد .

ب. ان الله سبحانه وتعالى اولى الاشياء بالتعظيم عنده

جـ. ان الله سبحانه وتعالى احق الاشياء بالطاعه .

---

(١) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ص٢٤٨ .

(٢) احياء علوم الدين، الغزالي، ج٤، ص٣٣٦ .

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٢ .

(٤) مدارج السالكين، محمد هشام، ص٦٤٠

الدرجة الثانية : الرضا عن الله وبهذا الرضا قطعت آيات التنزيل وهو الرضا على كل ما قضى وقدر وهذا من أوائل مسالك اهل الخصوص ولا يصح الا بثلاث شرائط :

أ. استواء الحالات عند العبد .

ب. سقوط الخومه مع الخلق .

جـ. الخَلاصُ من المسألة والالحاح .

الدرجة الثالثة : الرضا برضا الله فلا يرى العبد لنفسه سخطاً ولا رضا فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار واسقاط التميز ولو ادخل النار[1] .

الشكـــر

الشكر هو الاعتراف بالنعمه والامتنان للمُنعِم، وهو فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم والاعتراف به، والشكر خلوص القلب في محبة المنعم وجريان اللسان بذكره والثناء عليه، اي رؤية المنعم لا رؤية النعمة ومحبتها .

وبالشكر يتنافى الوجود الانساني ويتجلى الوجود الالهي إذ إن الشاكر يرى ان شكره هذا من الله ونعمته هذه من الله وهو لله فيكون قد ادى لله حقه في الشكر وهو فرض من الله تعالى على العباد قال تعالى:(**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**)[2] ، واقل درجات الشكر ان لا تستعين بنعمة الله على ارتكاب معاصيه فلا تُسخر الاموال والقوة والذكاء في اتجاهات لا يرضاها الله سبحانه وتعالى . ولسيد الشاكرين سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم احاديث كثيرة نورد منها :

قال صلى الله تعالى عليه وسلم (**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**) .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (**اول ما يدعى الى الجنة الحامدون لله على كل حال**)، وقيل ان داود عليه السلام قال ألهي كيف اشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الان قد شكرتني .

---

(١) منازل السائرين، نجم الدين ابي بكر، ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢ .

وعن *الامام الحسين* عليه السلام قال من سجد سجدة ليشكر نعمة وهو متوضيء كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر خطيئات .

والنعمة من الله اذا لم تُشكر تتحول الى نقمة على العبد وعكس ذلك اذا صبر العبد على البلاء فينقلب رحمة، قال *الامام الصادق* عليه السلام : [ان الله أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً وابتُلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة، وقال ايضاً في كل نَفَسٍ من انفاسك شكر لازم بك، وادنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى، من غير علمه بتعلق القلب بها دون الله عز وجل والرضا بما اعطى، وان لا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من امره ونهيه بسبب نعمته فكن لله عبداً شاكراً على كل حال، ولو كان عند الله تعالى عبادةً تعبّد بها عبادهُ المخلصون افضل من الشكر على كل حال لأطلق نقطة فيهم مَنّ بجميع الخلق بها فلما لم يكن افضل منها خصّها من بين العبادات وخصّ اربابها فقال : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] . وتمام الشكر الاعتراف بلسان السر خالصاً لله عز وجل بالعجز عن بلوغ ادنى شكره لان التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي اعظم منه الى ما لا نهاية له مستغرقاً في نعمه قاصراً عاجزاً عن ادراك غاية شكره فأنّى يلحق العبد شكر نعمة الله ومتى يلحق ضيق بضيق، والعبد ضعيف لا قوة له ابداً الاّ بالله عز وجل، والله غني عن طاعة العبد فهو قوي على مُزيد النعم على الأبد فكن لله عبداً شاكراً على هذا الوجه ترى العجب][2] .

والحمد والشكر على النعمه هو نعمة من الله افضل من النعمة المشكور عليها، قال *الامام الرضا* عليه السلام من حمد الله على نعمة فقد شكره وكان الحمد افضل من تلك النعمة .

ولا يخفى ان نعم الله على العباد اعظم من ان تعد او تحصى وهو القائل جل وعلا في كتابه الكريم : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[3]، فقد نفى عنها الأحصاء والحصر، فليس للمؤمن ان يشكر على نعمة واحدة وإنما عليه الشكر الدائم لان النعم التي تفضل بها الله سبحانه وتعالى عليه لا تحصى فكيف يشكرها واحدة واحدة ؟

---

(١) سورة سبأ، الآية ١٣ .

(٢) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، ص١٤١، عادل خير الدين .

(٣) سورة النحل، الآية ١٨ .

فعلى كل جارحةٍ ونعمة شكر واجب، فشكر العين هو ستر ما تراه من عيوب المسلمين، وشكر الاذن هو ستر ما تسمعه من عيوب الناس، وشكر اللسان هو الاعتراف بالنعمة، وشكر البدن هو الاتصاف بالوفاء والخدمة، وشكر القلب هو الانعكاف على بساط الشهود بأدامة حفظ الحرمة، وهكذا فالشكر امر لا يتناهى طالما نعم الله لا تتناهى والتحير في الشكر هو غاية الشكر فليس للعبد اذا اراد الشكر سوى الاقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى .

وينقسم الشكر الى ثلاثة اقسام تبعاً لتقسيم النعم فالنعم تقع في ثلاثة مجالات :

١- نعم دينية .

٢- نعم دنيوية .

٣- نعم اخروية .

فمن **النعم الدينية** : الهداية والتقوى والمعرفة بالله وحسن العبادة وقبول الجليل صالح الاعمال ويمكن جمع النعم الدينية في نعمة الاسلام وبعث سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للناس جميعاً قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[1]، ثم اتم الجليل نعمته علينا فلم يزل ينير لنا الطريق لنهتدي بان جعل الولاية والعلم به في آل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وجعلهم مشاعل خير تسير بالناس نحو النجاة والضياء وتخرجهم من الهاوية والظلام وهذا يتضح في ارشاد اهل الطريقة مشايخنا الكسنزان حيث يبذلون جهودهم واموالهم في سبيل تربية المُريدين واحياء السنة المحمدية والدين الاسلامي .

واما **النعم الدنيوية** : فتكون اجلّها في الصحة والعافية والستر والمال الحلال والعزة .

واما **النعم الاخروية** : فلا مجال لحصرها لانها تبقى كثيرة كبيرة مهما حاولنا ذكرها .

فالشكر طاعة ومحبة والشكوى معصية وان اجاز بعضهم الشكوى في البلوى

---

(١) سورة الانبياء، الآية ١٠٧ .

فيجب ان تكون الشكوى لله وحده .

ويؤدى الشكر بطرق ثلاثة :

١- شكر اللسان : وهو التلفظ بكلمة الشكر (الحمد لله والشكر له) وكذلك من شكر اللسان ذكر نعمة الله امام الناس شرط ان لا تحجب النعمة رؤية المنعم اي التكلم بالنعمة موضحاً انها من الله، قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (التحدث بنعمة الله تعالى شكر)[١] .

٢- شكر العمل : وهو ان يؤدي عملاً يرضي الله لاجل شكره على نعمة معينة كما يؤدي العبد صلاة خاصة لاجل الشكر وهو فرض قال تعالى : (اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً)[٢]، وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقوم الليل حتى تتورم قدماه فقلت يارسول الله لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال أفلا اكون عبداً شاكراً، فَشُكْرُ رسول الله كان بالصلاة على نعمة الغفران .

٣- شكر الجَنان : هو بأن يشهد العبد في داخله ان كل نعمة به او بأحد غيره هي من الله ولا يدع رؤية هذه النعمة تنسيه الجليل المنعم عليه فيكون قلبه مملوءاً بالله حقاً وحقيقة ظاهراً وباطناً وبفعالية هذا الوجود الالهي في القلب يتنافى الوجود الانساني وبذا يتم الشكر .

والشكر واجب في السراء والضراء ومن شكر في المنع نال درجة اعلى في الشكر كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في الضراء (الحمد لله على كل حال)، وقيل (الشاكر من يشكر على العطاء، والشكور من يشكر على المنع)[٣]، وعندما يرى العبد نفسه عاجزاً عن الشكر حائراً في كيفيته يكون شكوراً .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) سورة سبأ، الآية ١٣ .

(٣) معجم مصطلحات الصوفية، د.عبد المنعم حفني .

الباب الخامس

❖ الوسيلة والتوسل

- التوسل بالنبي الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم
- التوسل بالانبياء واهل البيت
- الشفاعة وسيلة
- الشفاعة في الاحاديث النبوية
- الرد على منكري التوسل
- الرد على منكري زيارة المقابر

❖ التقبيل والتبرك بآثار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

- دليله في السنة
- التبرك بآثار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
- التبرك بادوات الشيخ
- الطاعة
- ضرورة اتخاذ الشيخ الواحد

❖ تنبيـــــــه

❖ اداب المُريد مع الشيخ

❖ آداب المُريد مع المُريدين

❖ وصايا هامة للمُريد

أيها المُريد ألبس ثوب التوبة قميصاً نقياً صافياً، فمن لم يكن متشرعاً متحققاً عفيفاً فإنه ليس من مُريدينا

السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني (قدس الله سره)



الوسيلة و التوسل

معنى الوسيلة : جاء في لسان العرب الوسيلة : المنزلة عند الملك، والوسيلة الدرجة والقربى وجمعها الوسائل قال تعالى : **(أولئكَ الذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ الى ربِهِمُ الوَسِيلَةَ)**[1] .

وقال الجوهري في الصحاح (الوسيلة ما يتقرب به الى الغير والجمع الوسائل)[2] .

وجاء في تاج العروس الوسيلة والواسلة : المنزلة عند الملك والدرجة والقربى .

وقال ابن الأثير هي في الأصل ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به، والوسيلة هي الشفاعة يوم القيامة . قال لبيد :

ارى الناس لا يدرون ما قدْر امرهم   بلى كلُ ذي لب الى الله واسلُ

والوسيلة مما تقدم هي الواسطة التي يمكن بها بلوغ الهدف أو الوصول الى المبتغى وهي واسطة يستطيع الأنسان بها الوصول الى القرب أو ازالة كرب .

وقد ورد ذكر الوسيلة في القرآن الكريم في آيتين إثنتين :

قال تعالى : **(يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إليْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا في سَبِيلِهِ لَعلّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[3] .

وقال تعالى : **(أولئكَ الذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ الى ربِهِمُ الوَسِيلَةَ أيُّهُمْ أقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)**[4] .

التوسل بالنبي الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم

ثبت يقيناً جواز التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يولد ويبعث

---

(١) سورة الاسراء، الاية٥٧ .

(٢) الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري، مج٥ ص١٨٤١ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٤) سورة الاسراء، الآية ٥٧ .

وبعد ولادته وبعثته وفي حياته وبعد انتقاله الى العالم الآخر وسوف نسوق بعض الأدلة على ذلك :

* أقر الله سبحانه وتعالى إستفتاح اليهود بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يولد ولم ينكر سبحانه وتعالى على اليهود ذلك وإنما ذمهم على الكفر والجحود بعد إذ تبين لهم بركة إسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الموصوف عندهم في التوراة فقال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)(١) .

جاء في التفاسير عن معنى الآية الكريمة ان اليهود من بني قريظة وبني النضير قبل بعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا يسألون الله به الفتح والنصر على المشركين فيقولون اللّهم إنصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة فيفتح لهم، وجاء في تفسير النسفي (كان اليهود يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم فيقولون اللّهم انصرنا بالنبي المبعوث في أخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لاعدائهم المشركين قد أطل زمان نبيّ يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم)(٢) .

* وأخرج البيهقي في دلائل النبوة والطبراني في المعجم الصغير والحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسالك بحق محمد آلا غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب انك لما خلقتني رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت انك لم تضف الى اسمك الاّ أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق إليّ وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك)(٣) .

---

(١) سورة البقرة، الآية٨٩.
(٢) تفسير النسفي، مج/١، ج١ ص٦١.
(٣) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي، ص٤٩-٥٠.

* وأخرج الترمذي وابن ماجة في سننهما والنسائي في عمل اليوم والليلة والطبراني والبيهقي عن عثمان بن حنيف ان رجلاً ضريراً اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ادع لي الله ان يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (اللّهم اني أسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفّعه فيّ)، قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكانه لم يكن به ضر قط[1] . فالرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم يُعلّم الناس التوسل به الى الله لقضاء الحوائج وهو حديث صحيح لا خلاف بين المحدثين في صحته .

* عن ابي الجوزاء قال : قحط اهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا روضة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاجعلوا منه كوةً الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الابل[2]، وهذه القصة وقعت بعد قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استشفع بالعباس عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

* روى القاضي عياض في الشفا باسناده الى ابن حميد قال ناظر ابو جعفر المنصور مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان اللّه تعالى ادب قوماً فقال : (لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)[3]. ومدح قوماً فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ..)[4]. وذم قوماً فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ...)[5]، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان له ابو جعفر وقال يا أبا عبد الله أاستقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال ولِمَ تصدف عنه وجهك وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه

---

(١) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي ص٤٩-٥٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٥.
(٣) سورة الحجرات، الآية ٢.
(٤) سورة الحجرات، الآية ٣.
(٥) سورة الحجرات، الآية ٤.

السلام الى الله يوم القيامة ؟ بل أستقبله وأستشفع به فيشفعك الله قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ...)[١].

* قال الحافظ أبو بكر ابن المقري في مسند اصبهان (كنا أنا والطبراني وأبو أيوب الشيخ في مدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء أتيت الى الروضة الشريفة وقلت يا رسول الله الجوع فقال لي الطبراني أجلس فاما أن يكون الرزق أو الموت فقمت أنا وأبو أيوب الشيخ فحضر الباب علّوي ففتحنا له فاذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيء كثير فقال يا قوم شكوتم الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأني رأيته فأمرني بحمل شيء اليكم)[٢] .

التوسل بالانبياء وأهل البيت والصحابة الصالحين

جاء في صحيح البخاري عن أنس أنهم أجدبوا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج الناس الى المصلى فقال عمر اللهم أنا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا توسل اليك بعم نبينا فأسقنا قال فسقوا . وهذه الحادثة رد على الذين أدعوا بأن توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دليل على عدم جواز التوسل بالميت وهو خطأ اوقعوا انفسهم به ذلك لان ترك الشيء لا يعني منعه فترك التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الحادثة لا يعني منع ذلك وانما اراد عمر أن يفعل ذلك لبيان جواز التوسل بغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذا قال الحافظ في الفتح عقب هذه القصة (يستفاد من قصة العباس رضي الله عنه استحباب بالاستشفا ع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة)[٣] .

* وأخرج ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا

---

(٦) سورة النساء، الآية ٦٤.

(٢) أتحاف الاذكياء بجواز التوسل بالانبياء والاولياء، ص٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦.

سمعة وخرجت اتقاء سخطك وأبتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت، أقبل الله عليه بوجهه وأستغفر له سبعون الف ملك)[1] .

وان الذي يهمنا في هذا الموضع هو قوله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا) وهذا التوسل واضح للعبد بغير الأنبياء وانما التوسل بكل السائلين على الله تعالى وبحق ممشى العبد السائل.

* روى الطبراني عن عتبة بن غزوان عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم قال اذا احتاج احدكم شيئاً او اراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله اعينوني فان لله عباداً لا نراهم وهذا الحديث النبوي الشريف دليل على ان لله رجال غيب وانهم موجودون ولا شك ان اولياء الله واصفياءه قد كرمهم الله بالشفاعة باذنه فالاستغاثة بهم او الاستغاثة على اساس هذا المعنى لا غبار عليها[2].

* روى ابو يعلي عن طريقين عن جابر قال : قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (ليأتينّ على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال هل فيكم من صحب محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فيستنصرون به فيُنصَرون ثم يقال هل فيكم من صحب محمداً فيقال فمن صحب اصحابه ؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لاتوه)[3]، قال الحافظ الهيتمي رجال الطريقين رجال الصحيح ومعنى الحديث الشريف دليل على صحة التوسل بالصحابة والتابعين .

* روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد قال أخبرنا القاضي ابو محمد الحسن الاسترابادي قال (ما أهمني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفرالكاظم عليه السلام فتوسلت به الا سهل الله لي ما أحب)[4] .

* روي عن إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث انه قال سمعت ابي يقول قبر معروف الترياق المجرب يعني الشيخ معروف الكرخي قدس الله سره[5] .

---

(١) أتحاف الاذكياء بجواز التوسل بالانبياء والاولياء، ص٢٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٠.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٣١.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٣١.

(٥) المصدر السابق، ص٤٠ .

* ورُوِي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهدي قال سمعت أبي يقول قبر معروف الكرخي قدس الله سره مجرب لقضاء الحوائج[1] .

* وقال سيدنا الغوث عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (اطلبوا من معبودكم طبيباً يطبب أمراض قلوبكم مداوياً يداويكم دليلاً يدلكم ويأخذ بايديكم، تقربوا الى مقربيه ومفرديه وحجاب قربه وبوابي بابه)[2] .

وقال قدس الله سره عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه قال (**استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها**) هذه العبادة صفة وصالحو اهلها الصالحون في الاعمال والعاملون بالحكم العاملون به المودعون للخلق بعد معرفتهم به الهاربون من انفسهم ومن اموالهم واولادهم وجميع ما سوى ربهم عز وجل)[3]

وقال قدس الله سره (فأن الدنيا في قلوبكم، مكّنوني منكم حتى اطهركم بشربات اسقيكم اياها، اسقيكم الورع والزهد والتقوى والايمان والايقان والمعرفة ونسيان الكل والفناء عن الكل فحينئذٍ يجيئكم الوجود بربكم عز وجل والقرب منه والذكر له)[4] .

ويَسوق موسى محمد علي خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقوله في حق العباس : (واتّخِذوهُ وَسيلةً الِى اَللّهِ)، دليلاً على ان الصحابة لم ينكر أحد منهم التوسل بالرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم وآل بيته (ويقول معاذ الله ان يقول احد من الصحابة ان صلوات الله وسلامه عليه لا يتوسل به بعد وفاته او يقول ذلك فقيه من الفقهاء بدينه، او عالم متبحر في سُنّة نبيه، بصير بأسرار الشريعة . لم يقل ذلك أحد من هذا . بل لم ينكر ذلك أحد من أهل الاديان . ولا سمع به في زمن من الازمان، حتى جاء المُنكِر فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتداع ما لم يسبق اليه في سائر الدهور والايام، ولهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك فأن فيها قول مالك للمنصور (أستشفع به) على الرغم من صحتها) . ويقول

---

(١) أتحاف الاذكياء بجواز التوسل بالانبياء والاولياء .
(٢) جلاء الخاطر، ص١٦ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

موسى محمد علي (فالتوسل بسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتوسل بسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاستغاثة بهم جميعاً على النحو الذي عليه الأمة من اعتقاد أنهم عباد مكرمون مقبولو الشفاعة، عند الله تعالى بفضله، هو مما أجمعت عليه الأمة . ودل عليه الكتاب . ونطقت به صحاح السُّنة وأقوال العلماء وسلف الأمة)[1] .

الشفاعة وسيلة

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وسيلتنا الى الله تعالى لدخول الجنة والغفران قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)[2] .

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل فقلت أين أطلبك ؟ فقال على الصراط)[3] .

* وروى أبو بكر بن عبد الله المزني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (حياتي خير لكم فأن مت كانت وفاتي خير لكم تعرض عليّ اعمالكم فان رايت خيراً حمدت الله وان رايت شراً استغفرت لكم)[4] .

فالشفاعة متحققة لرسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ولا خلاف في هذا، وبواسطة شفاعته يدخل اكثر من نصف هذه الأمة في الجنة حيث خُيِّر صلى الله تعالى عليه وسلم بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة فأختار الشفاعة لهم. وقد وردت الشفاعة للأخرين كما في الآيات الكريمة الاتية :

قال تعالى : (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً)[5] .

---

(١) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي ص٥٠.
(٢) سورة النساء، الاية ٦٤.
(٣) سنن الترمذي، ج٤/ص٤٢ .
(٤) الجامع الصغير للسيوطي.
(٥) سورة طه، الاية ١٠٩.

وقال تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)[1] .

وقال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)[2]. يقول النسفي في تفسير هذه الآية الكريمة ليس لاحد ان يشفع عنده إلاّ اذا اذن له في الكلام وهذا يعني ان الله جل وعلا وهو العلي القدير يأذن لبعض الخلق من انبيائه واوليائه بالشفاعة بأمره وارادته فاذا كان الشهيد يشفع لسبعين من أهله بدخول الجنة فلا داعي لاثبات ان من كان بمنزلة تساوي منزلة الشهيد أو أعلى له حق الشفاعة كذلك . وقال تعالى : (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[3].

* وذكر موسى محمد علي أن الشفاعة العظمى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة هي من الفضائل التي إختص بها وحده صلى الله تعالى عليه وسلم واستغاثة الناس يوم القيامة بالنبي هي اعظم الاستغاثات لشدة كربهم وطول موقفهم وظهور فضله صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الخلائق، حيث يلتجيء الناس الى سائر الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله فلم يفعلوا واحالوهم على سيد المرسلين ذي المقام الرفيع والقدر الجليل .

وقسّم الشفاعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى خمسة أقسام :

أولها : مختصة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي الأراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب وهي الشفاعة العظمى ولم ينكرها أحد .

الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي أيضاً لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم .

الرابعة : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بأخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٨٦.

الأنبياء والملائكة وأخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله الا الله ولا يبقى فيها إلا الكافرون .

الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

الشفاعة في الأحاديث النبوية الشريفة

* عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

(أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وانا خطيبهم إذا وفدوا وانا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر)[1] .

* وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

(إذا كنت يوم القيامة كنت أمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غيرفخر)[2]

* وعن أبن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

(أنا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر)[3].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال :

(لقد ظننتُ يا ابا هريرة أن لا يسالني عن هذا الحديث أحد اولى منك لِما رايت من حرصك على الحديث إن اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه)[4].

* وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول:

(إذا كان يوم القيامة شُفِّعْتُ فقلت يا رب أدخل الجنة من في قلبه خردلة

---

(١) اخرجه الترمذي.

(٢) اخرجه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) اخرجه البخاري.

فيدخلون ثم اقول ادخل الجنة من كان في قلبه ادنى شيء)[1].

* وعن عمر بن الحصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

(يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخلون الجنة)[2].

* وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الأنبياء تبعاً)[3].

ويرى موسى محمد علي (ان المقام المحمود للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو كون آدم ومَن دونَه تحت لوائه يوم القيامة من أول عرصاتها الى دخولهم الجنة واخراج من يخرج من النار)[4] .

فقد أصبح يقيناً أن شفاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هي الوسيلة العظمى لنيل الثواب والرضا او النجاة من العذاب، ولا ريب إن هذه الشفاعة متواصلة ومتوارثة في أهل بيته ومشايخ الطريقة السائرين على نهجه صلى الله تعالى عليه وسلم.

الرد على منكري التوسل

عمد البعض الى تطبيق الآيات الكريمة التي نزلت بحق المشركين على المؤمنين واستشهدوا بها من أجل دعم رأيهم بنفي الشفاعة والدعاء لغير الله تعالى ومنها قوله تعالى : **(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً)[5].**

وقوله تعالى : **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ)[6].**

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) اخرجه مسلم.
(٤) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي ص٦٠٧.
(٥) سورة الجن، الآية ١٨.
(٦) سورة الاحقاف، الآية ٥.

وقوله تعالى : (ولا تدعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك اذاً من الظالمين)[1].

وقوله تعالى : (فلا تدعُ مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين)[2].

وقوله تعالى : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)[3].

وقوله تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)[4].

وقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً)[5].

الى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين .

فزعم هؤلاء إن كل من استغاث بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو توسل به او بغيره من الأنبياء والاولياء الصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة يكون معدوداً في عداد هؤلاء المشركين داخلاً في عموم هذه الآيات .

ولكي نرد هؤلاء نقول :

١- إن المشركين جعلوا الأصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا الا الهاً واحد عندهم ان الأنبياء أنبياء والأولياء أولياء ليس إلاّ، فَلَم يتخذوهم آلهة .

٢- إنّ المشركين أعتقدوا أنّ تلك الآلهة مستحقون للعبادة بخلاف المسلمين فليس عندهم

(١) سورة يونس، الآية ١٠٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٣.
(٣) سورة فاطر، الآيات ١٣، ١٤.
(٤) سورة الرعد، الآية ١٤.
(٥) سورة الأسراء، الآيات ٥٦، ٥٧.

المستحق للعبادة الا الله وحده سبحانه وتعالى .

٣- إنّ المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (**مَا نَعبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا**)[١] .

والمسلمون ما عبدوا الانبياء والصالحين ولكنهم جعلوهم وسيلتهم الى الله (**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ الى ربِّهِمُ الوَسِيلَةَ**)[٢] .

٤- إنّ المشركين قصدوا بعبادة الأصنام التقرب الى الله تعالى وهي أصنام جمادات لا تنفع ولا تضر وليس لها منزلة عند الله ولا قربة منه لأن المنزلة والقربة تتحقق بالطاعة والعبادة أما توسل المسلمين بالأنبياء والأولياء والمشايخ الكاملين لكونهم عباد الله الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : (**إنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ**)[٣] وإن قلوبهم عرش الرحمن كما وصفها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (**قلب المؤمن عرش الرحمن**) . أفلا يجوز أن يتقرب المسلم بعرش الرحمن الى الرحمن ؟

فكيف يجوز أذن أن نجعل المؤمنين الموحدين قبل اولئك المشركين اذ لا شك ان المشركين انما كفروا بسبب عبادتهم الاصنام وسجودهم لها واعتقادهم انها آلهة تضر وتنفع لذلك احتج الله سبحانه وتعالى على ابطال قولهم وضرب الامثال للرد على معتقدهم في كثير من الآيات بأن الاله المستحق للعبادة يجب ان يكون قادراً على كشف الضر وإيصال النفع لمن عَبدهُ وبأن ما عبدوه من جملة المحدثات المنافية للربوبية[٤] .

أما ما جاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ما يخص التوسل والدعاء فيمكن ان نستدل بالاحاديث الآتية :

كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال (**بسم الله امنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلاّ بالله اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم اخرج اشراً ولا رياءً ولا سمعةً خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك اسالك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة**)

(١) سورة الزمر، الآية ٣.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٥٧ .

(٣) سورة الحجر، الآية ٤٢ .

(٤) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي، ص١٤٤ .

ومحل الاستدال هنا قوله صلى الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فتوسل به وبغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوا ولم يزل السلف من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به .

ومما جاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من التوسل والاستغاثة ما رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنهم (لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي ام علي بن ابي طالب رضي الله عنه، دخل عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عند رأسها، وقال (**رحمك الله يا امي بعد امي**) وذكر ثنائه عليها وتكفينها ببرده وأمر بحفر قبرها . فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله تعالى عليه وسلم بيده، واخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله تعالى عليه وسلم فاَضطجع فيه ثم قال (**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت اسد، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين**) .

الرد على منكري زيارة مراقد الانبياء والمشايخ الكاملين

أنكر البعض على المسلمين زيارة مقامات الأنبياء والمشايخ الكرام مستدلين بالحديث النبوي الذي يقول : (**لا تشدُّ الرحال إلاّ لثلاثة مساجد**)، وهذا الحديث ينقضه حديث الرسول صلى اللّـه تعالى عليه وسلم (**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها**) .

ولا يخفى على كل ذي بصيرة من الأمر أن زائر القبور يقصد بزيارتها التوسل والاستشفاع الى الله تعالى بأصحابها والتبرك بهم كما في زيارة مقامات الأنبياء والمشايخ الكرام، وأما في زيارة قبور سائر المسلمين فهي للأجر بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة، ويدل على جواز شد الرحال لزيارة مقامات الأنبياء والمشايخ ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح الشام لكعب الأحبار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا

الى المدينة فنزور سيد المرسلين ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك، وكذلك يدل عليه مجيء بلال رضي الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة مقام الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم .

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الأصم على مقام رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقال يا رب إنا زرنا قبر نبيك صلى اللّه تعالى عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما أذنّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فأرجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم .

وقال أبن أبي فديك : سمعت بعض من أدركتُ من العلماء يقول : بلغنا إن من وقف عند مقام النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقال هذه الآية : (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)[1] . وقال صلى اللّه عليك يا رسول اللّه حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك . صلى اللّه عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة .

ومن القائلين بالجواز الامام النووي والقسطلاني والامام الغزالي وكذلك فأن شد الرحال الى عرفة لقضاء النسك واجب بالأجماع وكذا الرحال للجهاد والهجرة من دار الكفر وشد الرحال لطلب العلم كلها جائزة كما تم بالأجماع على جواز شد الرحال للتجارة وحوائج الدنيا فمن باب أولى جواز شد الرحال لحوائج الآخرة وهي زيارة المقامات الشريفة .

(والواقع أنه لو كان الحكم في السفر لزيارة مقام النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم التحريم لامتنع الناس لذلك من زيارته صلى اللّه تعالى عليه وسلم ولصارت المدينة التي نورت بوجوده فيها من أهمل المدن وكادت أن تكون خراباً فأن عمارتها إنما هي لوجود مقامه الشريف فيها وزيارة المؤمنين لها وانتيابهم إيّاها . وترددهم اليها ومجاورتهم فيها بسبب وجود مقامه الشريف فيها لأنه صلى اللّه تعالى عليه وسلم وسيلتهم الى الله في سعادتهم حيث ثبت عندهم ثبوتاً واضحاً انه صلى اللّه تعالى عليه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦ .

وسلم أقرب الوسائل وأجلها وانجحها الى الله تعالى)[1] . فزيارة مقام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كزيارتـه في حـياته عملاً بالآية الكريمـة الآتيـة : (ولَـوْ أنَّهُـمْ إذْ ظَـلَمُوا أنْـفُسَهُمْ جَـاءُوكَ فَـاسْتَـغْـفَـرُوا اللّهَ وَاسْتَـغْـفَـرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَـوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)[2]

وفي القياس جاء في السُّنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور عامةً فمقام نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أولى منها وأحرى وأحق وأعلى بالزيارة لأن زيارة مقامه الشريف ليست إلا لتعظيمه والتبرك به .

وتم إجماع أئمة المسلمين على أن زيارة مقامه الشريف واجبة أو مندوبة وقال الحنفية أنها تَقرُب من درجة الواجبات وقال أئمة المالكية إنها واجبة .

فزيارة مقامات الأنبياء والمشايخ الكرام المقصود فيها التعظيم والتبرك والتشفع بهم واجبة لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالوصل ونهى عن القطيعة وهم احياء في مقاماتهم لذا وصلهم وتعظيمهم والدعاء عندهم والتشفع بهم معمول به عند العلماء المحققين أئمة الدين وبركتهم جارية مستمرة في حياتهم وبعد إنتقالهم .

---

(١) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي، ص١٨٠ .

(٢) سورة النساء، الآية ٦٤ .

التقبيل والتبرك بآثار الرسول الأعظم
صلى الله تعالى عليه وسلم

دليلهُ في السنة

وردت في السُّنة النبوية أحاديث كثيرة تجيز تقبيل اليد والتبرك بآثار الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم نختار منها موضع الحاجة :-

* عن صفوان بن عساك قال يهودي لصاحبه قم بنا الى هذا النبي فأتيا رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم فسألا عن تسع آيات بينات فلما أجابهم عنها قبّلا يده ورجله وقالا نشهد أنك نبي اللّه)(١) .

* وروى أبو داود عن أم إبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع وكان في وفد عبد القيس فقال (فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول اللّه ورجله) .

* وفي شرح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني أن أبا لبابه وكعب بن مالك وصاحبيه قبلوا يد النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم حين تاب اللّه عليهم)(٢) .

* وأخرج أبو داود في سننه بسنده ان عبد الرحمن بن ابي ليلى حدثه ان عبد الله بن عمر حدّثه (قال دنونا من النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم فقبلنا يده) .

* وأخرج الامام أحمد في ثلاثياته : حدثنا سفيان بن عيينه عن علي بن زيد بن جدعان قال : قال ثابت البناني لأنس بن مالك رضي الله عنه يا أنس مَسَسْتَ رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم بيدك ؟ قال أنس نعم مسسته بيدي فقال ثابت أرني أقبلها .

ونقل موسى محمد علي في كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة) قول العلامة ابن مفلح (تباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً واكراماً واحتراماً، وظاهره عدم الأباحة لأمر الدنيا)(٣) .

---

(١) رواه الامام احمد والترمذي.

(٢) شرح البخاري، ج١١ ص٤٨.

(٣) حقيقة التوسل والوسيلة، موسى محمد علي، ص٣٥٢.

ويظهر مما سبق ان التقبيل محبة في الدين لأيدي الصالحين ورؤوسهم وأرجلهم جائز، اما اذا كان لأمور دنيوية ورهبةً من المُقَبَل فهو غير جائز .

وذكر تميم بن سلمة التابعي ان القُبلةَ سُنّةٌ من سُنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان الصحابة رضي الله عنهم يقبلون يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاز العلماء ذلك - اي تقبيل أيدي الصالحين إن كان على وجه التدين .

إذن تقبيل الشخص لتعظيمه لا يجوز إلاّ للذين لهم شرف ديني كالسادة العلّويين تعظيماً لجانب الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما عدا ذلك فلم يرد في الشرع جوازه . ولما كان التقبيل سنّة من سنن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أجازه للصحابة فقد وجب اتباعه عملاً بقوله تعالى : **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**(١) .

ونقل موسى محمد علي عن الطبراني عن أبي رجاء العطاردي قال دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يُقبل رأس رجلٍ وهو يقول انا فداؤك لو لا أنت لهلكنا فقلت من المُقبِّل ومن المُقَبَّل ؟ قالوا ان ذلك عمر يقبل رأس أبي بكر حيث قاتل اهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

ونقل موسى محمد علي في كتاب حقيقة التوسل والوسيلة عن الحافظ بن الجوزي (ينبغي للطالب ان يبالغ في التواضع للعالم ويذل له ومن التواضع تقبيل يده فقد قبل سفيان بن عينيه والفضيل بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي والأخر رجله)(٢) .

وأضاف صاحب التوسل والوسيلة أقوال الأئمة الأربعة في حكم التقبيل وكما يلي:

الحنفيّة : (ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرك) .

المالكية : (قال الامام مالك رضي الله عنه إذا كانت قبلة يد الرجل على وجه التكبر والتعظيم فمكروهةٌ وان كانت على وجه القربى الى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فأن ذلك جائز) .

---

(١) سورة الحشر، الآية ٧.

(٢) حقيقة التوسل والوسيلة، ص٣٦٢.

الشافعية : قال الامام النووي رضي الله عنه (تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه وعلمه أوشرفه أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب فأن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهية) .

الحنابلة : قال الامام أحمد بن الحنبل عندما سأل عن قبلة اليد (إن كان طريق التدين فلا بأس، قَبّلَ أبو عبيده يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وإن كان على طريق الدنيا فلا) .

وفي السنة النبوية رُخصة وجواز القيام لذوي الفضل فقد قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم جعفر من الحبشة وقال (**ما ادري بايهما انا أسر بقدوم جعفر او بفتح خيبر**) .

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحدثنا فاذا قام قُمنا اليه حتى نراه قد دخل) .

التبرك بآثار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

إن دراسة عميقة لسلوك الصحابة الكرام وتعاملهم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توضح لنا مدى عمق عقيدتهم الصادقة وتعلقهم الشديد بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كانوا يتبركون بحضرته ويهتمون إهتماماً بالغاً بجمع آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد ثبت أنهم تبركوا بشعراته وبفضل وضوئه وبعرقه الشريف وبثيابه الطاهرة وآنيته وبمس جسده الشريف .

* فقد أخرج البخاري عن ابي جحيفة قال (خرج علينا رسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل ماء وضوئه فيتمسحون به) .

* وروى البخاري بسنده عن جابر قال (جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ عليّ من وضوءه فَعقلتُ، فقلت يا رسول الله لمن الميراث ؟ قال إنما يرثني كلالة، فَنزلت أية الفرائض) .

* وعن أبي موسى رضي الله عنه قال (دعا النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم بقدحٍ فيه ماء فغسل يديه ووجهه ومجَّ فيه ثم قال : **إشربا منه وافرِغا على وجوهكما ونحوركما**) .

* وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال (ذهبت بي خالتي الى الرسول صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن إبن أختي وَجعٌ فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه .

* وروى الترمذي بسنده عن كبشة رضي اللّٰه عنها قال (دخل عليّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم فشرب من قربةٍ معلقة قائمة فقمت الى فيها فقطعته) .

* وأخرج الامام أحمد في مسنده بسنده عن أنس رضي الله عنه (أن رسول الله صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم كان يدخل على بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتت فقيل لها هذا النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم نائم في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعه أديم على الفراش ففتحتْ عتيدتَها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم . فقال (**ما تصنعين يا أم سليم** ؟ قالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال اصبت) .

* وذكر القاضي عياض ان مالكاً بن سنان رضي الله عنه مص دم النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم يوم أحد فقال صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم (**لن تصيبه النار**) .

* وعن عون عن أبيه إبي جحيفة قال في آخر حديث طويل (وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم -يعني الرسول صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم- قال فأخذت بيده ووضعتها على وجهي فأذا هي أبرد من الثلج واطيب رائحة من المسك)[1].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم إذا أشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال : **إذهب الباس رب الناس، واشفِ أنت**

---

(١) رواه البخاري، ج٢ ص١٦٥.

الشافي لاشفاء إلاّ شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً)[١] .

* وعن يزيد بن ابي عبيد قال : (رأيت أثر ندبة في ساق سلمة بن الكوع فقلت يا أبا مسلم ما هذه الضربة قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فأتيت النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها لحد الآن)[٢] .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاق به أصحابه فيما يريدون أن تقع شعرةٌ إلاّ في يد رجل[٣] .

* عن مالك بن اسماعيل قال حدثنا اسرائيل بن عاصم عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم أصبناه من قبل أهل أنس بن مالك رضي الله عنه فقال عبيدة لأن تكون عندي شعرةٌ منه أحب اليّ من الدنيا وما فيها[٤] .

* وعن عائشة بنت سعد عن سعد رضي الله عنه تشكيت بمكة شكوىً شديداً فجاءني النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم يعودني ... إلى أن قال ثم وضع يده على جبهتي ثم مسح بيده على وجهي وبطني ثم قال (**اللّهم اشف سعداً واتمم له هجرته**) فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال اليّ حتى الساعة[٥] .

* وفي صحيح مسلم وشمائل الترمذي انه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم كان اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بأناء إلا غمس يده الشريفة فيه وربما كان ذلك في الغداة الباردة فيغمس يده في الماء ولا يردهم خائبين .

وفي الجمع بين الصحيحين عن عبد الله بن موهب (قال أرسلني أهلي الى أم سلمه زوج النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم فكان اذا اصاب الأنسان عين أو شيء أخر بعث بأناء اليها فخضخضت له فشرب منه) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري، ج٥ ص٧٥.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري، ج١ ص٥٠ .
(٥) رواه مسلم.

يتبين من كل ذلك ان الصحابة كانوا متسابقين في تبركهم بآثار الرسول وادواته ولم يَنهَ صلى اللّه تعالى عليه وسلم عن ذلك لذا أجمع الصحابة على أن التبرك بآثار النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم من السُنن المتبعة لرسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (وانها من تقوى القلوب) .

التبرك بأدوات الشيخ

أصل التبرك بآثار الصالحين يرجع الى عهد الأنبياء السابقين فقد ظهرت البركة وعم النفع على النبي يعقوب عليه السلام عندما مسح وجهه بقميص يوسف عليه السلام الذي ارسله اليه (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً)[1]، وكذلك بتبرُك الصالحين بآثار الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم فكانوا يتبركون بشعره وماء وضوئه وملابسه ولم ينكر عليهم ذلك صلى اللّه تعالى عليه وسلم كما ان السيدة فاطمة بنت رسول الله عليها السلام قبّلت تراب ضريح الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم عند زيارتها له وكذلك مرغ بلال رضي الله عنه خدّيه على اعتاب حجرة النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم وكان عبد الله بن عمر يلمس منبر النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم ويتبرك به .

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه قد فقد قلنسوته في إحدى المعارك فقاتل أشد القتال حتى استعادها ثم سُئل فقال انها تحوي شعرتين من شعر رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم وبهما كنت أتبرك وأنتصر .

ومن ثم التبرك بآثار الأولياء الصالحين وآل بيت النبي عليهم السلام من بعده صار أمراً شائعاً ومشروعاً لاقرار الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم له، وقد ذكر الخطيب في تاريخه ان الامام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر ابي حنيفة مدة إقامته بالعراق .

* وروى ان الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي اصيب بدُمّل اعجزه علاجه فمسح به قبر الامام أحمد بن حنبل تبركاً فبريء وقال الحافظ العراقي روينا ان الامام احمد بن حنبل تبرك بالشرب من ماء غسل فيه قميص الامام الشافعي .

---
(١) سورة يوسف، الآية ٩٣.

وبذلك جاز شرعاً التبرك بآثار المشايخ الكرام واولياء الله كما يجوز التوسل الى الله بمقاماتهم عنده سبحانه وتعالى . وللمُريد أن يتبرك بآثار شيخه وليس هناك فرق بكثرة المأخوذ او قلته فالبركة واحدة موجودة في أدق جزيئات الأثر وكل شيء او مكان يحل فيه الشيخ قدس الله سره تَحلُ فيه البركة وتدوم .

الطاعــة

الصحبة لها أثر عميق في أخلاق وشخصية المرء وكل إمرىءٍ يكتسب صفات صاحبه بالتأثير الروحي والأقتداء العملي، والأنسان بطبيعته أجتماعي يميل الى الأختلاط ولابد له من صحبة يميل اليهم ويبثهم آلآمه وشكواه ويشركهم في أفراحه، فأن إختار اصحابه من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت اخلاقه وانحطت صفاته، واذا أختاره من أهل الأيمان والتقوى والمعرفة بالله فانه يكتسب من صاحبه هذا الخلق القويم والصفات العالية والمعارف الالهية، فالمُريد الذي اختار صحبة الشيخ الوارث الروحي المحمدي عليه بطاعته لان إطاعته اطاعة لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم . إن شيخاً تخلقَ بأخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته وتولاه الله تعالى برعايته واخلصه لحضرته بالتقوى والاخلاص والأرشاد لأجل نشر كلمة الله جل جلاله في كل مكان كان مُحتماً ولزاماً وواجباً على كل من سلك درب الحق والحقيقة ودرب الوصول الى الله تعالى ان يطيعه ويلتزم بأوامره وارشاداته ونصائحه ولا يخرج عن طوعه وذلك لان الله تبارك وتعالى قد خصه بحكمته وجعله موضع سره وامانته في الأرض

إن أتباعه والسير على نهج طريقه هو أقرب طريق للوصول الى الله تبارك وتعالى والى رسوله المبعوث رحمةً للعالمين وان تحقيق هذا لا يتم للسالك إلاّ بمحبته الخالصة لشيخه (أي شيخ الطريقة) والتفاني فيه لقوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)[1] وتبعاً لقوله تعالى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

ومن علامات الشيخ الكامل الذي نحن بصدده (الوارث الروحي المحمدي) هو تنوير السبل الصحيحة للسالكين وتنوير قلوبهم للوصول الى الحقيقة التي يجاهد في سبيل الوصول اليها والأخذ بأيديهم نحو سبيل الخير والنجاة في الدنيا والآخرة وتحقيق إمورهم الحياتية والآخروية وعلى هدى القرآن الكريم ونهج الرسول الاعظم محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم سيد المرسلين .

ومن منطلق ما قلناه يستوجب على السالك تنفيذ الامور الآتية :

١- أن تكون اطاعة الشيخ عنده فوق كل الطاعات ويتمسك به تمسكه بكتاب اللّه تعالى ورسوله الكريم صلى اللّه تعالى عليه وسلم .

٢- لا يجوز في أي حالٍ من الأحوال تفسير كلام الشيخ على حسب أهوائه ورغباته بل تفسيره على حقيقة ما أخذه وسمعه من شيخه دون ان يغير اي حرف أو كلمة منه .

٣- الخروج عن طاعة الشيخ يُعد خيانةً تؤدي الى إنقطاع القوة الروحية عنه فيكون خارج تلك الطريقة مطروداً منها (من غشنا فليس منا) .

٤- إن كل من كُلفَ بواجب الأرشاد أو أية مهمة أخرى من واجبات الطريقة فعليه القيام بها بأكمل وجه مطلوب فأذا إنحرف قيد شعرة أو خطر في نفسه مخالفة هذا الأمر أو أراده لمصلحته الذاتية وغير ذلك سيصبح ذلك المُريد بعمله هذا جزءً غريباً عن الطريقة اي أنه كالعضو الذي اصابه مَرض عُضال فاسْتُأصِل .

ضرورة الشيخ الواحد

إن إتخاذ الشيخ واجب لا يستغني عنه المُريد فأن إتخاذ الشيخ الواحد ضرورة لازمة للمُريد فتعدد الشيوخ لا نفع فيه لأن المرء ما خلق له من قلبين في جوف واحد وقد جرى على ذلك جميع من سَلكوا هذا الطريق وأكدوه في أقوالهم وأفعالهم .

فقد قال الامام الشعراني : (ومن شأن المُريد أن لا يكون له إلاّ شيخ واحد فلا يجعل له قط شيخين) .

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي : (أعلم إنه لا يجوز لُمريد أن يتخذ له إلا شيخاً واحداً لأن ذلك أعون له في الطريق وما رأينا مُريداً قط أفلح على يد شيخين).

وقال أبو يزيد البسطامي : (من لم يكن له استاذ واحد فهو مشترك والمشترك شيخه الشيطان) .

تنبيـــــــه

دأب بعض المُريدين على القيام ببعض الأعمال التي ليست لها أية علاقة بطريقتنا ولا تمتُ اليها بأية صلة وهي في أساسها كذب وباطل وخداع وإضاعة للوقت وانحراف عن حقيقة الطريقة من ذلك إدعاءُ البعض المعرفة بتفسير الرؤيا والأطلاع على الأمور الغيبية وكتابة الأدعية مما يخالف قواعد وأصول الطريقة ويخالف كذلك منطق العقل مستغلين بذلك الناس البسطاء لسلب أموالهم والتحايل عليهم والادعاء بأنهم يتصلون بعالم الغيب والأرواح وقادرون على جلب السعادة وتسهيل الأمور وحل المشاكل .

ألا فليعلم أمثال هؤلاء الضالين والخارجين عن جادة الصواب إن ما يقترفونه لا يرضي اللّه ورسوله والمشايخ الكرام وأنهم ممن غضب اللّه عليهم وخسروا الدنيا والآخرة وكذا فليعلم المترددون عليهم والمصدقون لهم بأن هؤلاء قد خرجوا عن مسار الطريقة القويم وإن الله ورسوله ومشايخ الطريقة بُراء من أفعالهم، وغضب اللّه عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا كما لا يجوز نهائياً لأي مُريد من مُريدي الطريقة اصطحاب الأطفال والاحداث الى التكايا او السفر بهم هنا وهناك وبدون رضا وموافقة أولياء أمورهم لأن هؤلاء الأحداث أو الصغار تبدأ تربيتهم في البيت وبحاجة الى إعداد تربوي تدريجي وعناية خاصة الى حين البلوغ ثم يكونوا بعد ذلك مؤهلين لحمل المسؤولية .

آداب المُريــــد مــع الشيــــخ

قال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره في آداب المُريد :

يا غلام، إذا دخلت عندي فاطوِ عملك ورؤية نفسك . أدخل بلا شيء، مفلساً. اذا كنت ترى عملك ونفسك، عجبت من هذا الذي اشير اليه، وتبغضني لأني أقول الحق وأخالفك، ما يبغضني إلاّ عدوّ لله عز وجل، وما يجهلني إلا جاهل بالله عز وجل، كثير القول قليل العمل، وما يحبني إلاّ عالم بالله عز وجل، كثير العمل قليل القول، المخلص يحبني والمنافق يبغضني، السُنّي يحبني والبِدَعي يبغضني، إن أحببتني فنفع ذلك عائد اليك، وان أبغضتني فضرر ذلك عائد عليك، ما أنا واقف مع مدح الخلق وذمّهم .

من أراد الصلاح فليصر أرضاً تحت أقدام الشيوخ، ما صفة هؤلاء الشيوخ التاركين للدنيا والخلق، المودّعين لها من تحت العرش الى تحت الثرى، السموات وما فيهن والأرضين وما فيهن، الذين تركوا الأشياء وودّعوها وداع من لا يعود اليها قط، ودّعوا الخلق كلّهم ونفوسهم من جملتهم، لوجودهم مع ربّهم عز وجل في جميع أحوالهم، كل من يطلب صُحبة الى الحق عز وجل مع وجود نفسه فهو في هوس وهذيان، من صح زهده وتوحيده لا يرى للخلق وجودهم، لا يرى مُعطياً سوى الحق عز وجل، لا يرى متفضّلاً سواه، ما أحوجكم يا أهل الدنيا كلّكم الى سماع هذا الكلام، ما أحوجكم يا زهاد الجهل الى سماع هذا الكلام، الأكثر من المتزهّدين المتعبدّين عبيد للخلق مشركون .

يا صاحبي الصوامع والزوايا، تعالوا اقرؤا من كلامي ولو حرفاً واحداً، أصحبوني يوماً أو أسبوعاً لعلكم تتعلّمون شيئاً ينفعكم . وَيْحَكم، الأكثر منكم في هوس، تعبدون الخلق في صوامعكم . هذا الأمر لا يجيء بمجرد القعود في الخلوات مع الجهل . ويلك، اِمشِ في طلب العلم والعلماء بالله عز وجل حتى لا يبقى مشي، إمشِ حتى لا يطاوعك شيء، فاذا عجزت فاقعد بظاهرك ثم بباطنك ثم بقلبك ومعناك، فاذا أعييت ظاهراً وباطناً وقعدتَ، جاءك القرب من الله عز وجل والوصول اليه .

إذا كنت تجيء الى عندي ولا تعمل بقولي، تُضيّق على الحاضرين . ما تزال

قاعداً في دكانك متقلّباً في خراب بيتك، فاذا جئت اليّ فُرجةً، مهما تجيء تسمع كأنك ما سمعت . يا صاحب المال، إنسَ مالك وتعالَ اقعد بين الفقراء وذلّ لله عز وجل ولهم.

دع عنك رياستك وتعالَ اقعد ها هنا كواحدٍ من الجماعة حتى ينزرع كلامي في أرض قلبك . لو كان لك عقل لقعدت في صُحبتي، وقنعتَ منّي كل يوم بلقمة، وصبرت على خشونة كلامي . كل من كان له إيمان ثبت ونبت . ومن ليس له إمان هرب منّي. ويلك، يا من يدّعي الأطلاع على حال غيره . فكيف يُصدّقكَ وأنت ما أطّلعت على حال نفسكَ ؟ ذلك كذب فتُب من كذبك . اللّهم ارزقنا الصدق في جميع الحالات وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ويحك يا مشركاً بالخلق، كم تدقّ أبواباً ليس من ورائها ديار، وكم تدقّ على حديد بلا نار، لا عقل لك، لا تفكير لك، لا ندبير لك . ويلك، إدنُ منّي وكُلْ من طعامي لقمه، لو ذقت طعامي لزهدت في طعام غيري، لو ذقت طعام الخالق عز وجل لزهد قلبك وسرّك في طعام الخلق . هذا شيء يكون في القلب من وراء الثياب واللحوم والجلود، لا يصلح هذا القلب وقد بقي فيه ديّار من الخلق، ولا يصلح الإيقان وفي القلب من حب الدنيا ذرة، اذا صار الإيمان يقيناً، واليقين معرفةً، والمعرفة علماً، فحينئذٍ تصير جهبذاً لله عز وجل، تأخذ من يد الأغنياء وتُعيد الى الفقراء، تصير صاحب المطبخ تجري الارزاق على يد قلبك وسرّك . لا كرامة لك يا منافق حتى تكون كذلك . ويلك، ما تهذّبت على يد شيخ متورّعٍ زاهدٍ، عالم بحكم اللّه عز وجل وعلمه . ويلك، تريذ شيئاً بلا شيء، ما يقع بيدك إذا كانت الدنيا لا تُحصّل إلاّ بالتعب، فكيف ما عند الله عز وجل[1] ؟

وقال الغزالي في إحياء علوم الدين : أدب المُريد مع الشيخ عند الصوفية من مهام الآداب : وللقوم في ذلك اقتداء برسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم واصحابه وقد قال الله تعالى : **(يَا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ واتّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**[2] . روي عن عبد الله بن الزبير قال : قدم وفد على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن

(١) جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، ص٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية ١.

معبد وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس، فقال ابو بكر : ما أردْتَ إلاّ خلافي ؟ وقال عمر : ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ...) . قال ابن عباس رضي الله عنهما (لا تقدموا) أي لا تتكلموا بين يدي كلامه . وقال جابر : كان ناس يضحون قبل رسول الله فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وقيل كان قوم يقولون : لو أنزل في كذا وكذا فَكَرِه الله ذلك . وقالت عائشة رضي الله عنها : أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكلبي : لا تسبقوا رسول الله بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به . وروى أبو الدرداء قال : كنت أمشي أمام ابي بكر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (تمشي امام من هو خير منك في الدنيا والآخرة) وقيل: نَزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأذا سئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك)[1] .

وروى البخاري بسنده عن المسود بن مخمرة ومروان يصدق كل واحد منهما صاحبه قصة الحديبية من حديث طويل نختار منه موضع الحاجة قال : (فرجع عروة الى أصحابه فقال : أيُّ قوم !! والله لقد وَفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت مَلِكاً قط يُعظّمه أصحابه ما يُعظّم أصحاب محمد محمداً اذا أمرهم أبتدروا أمره إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيماً له .

ولما كان الشيخ مقتدياً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهراً وباطناً وارثاً من حضرته اللمسة الروحية فأن شأن المُريد مع الشيخ كشأن الصحابة مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فالشيخ للمُريد أمين الالهام كما ان جبريل أمين الوحي ولا يتكلم بهوى النفس لذا وجب على المُريد ان يتبع مع شيخه الآداب الآتية :

- فقبل كل شيء يجب على المُريد ان يدخل على الشيخ أو يحضر مجلسه وهو على طهارة كاملة ووضوء تام وان يستأذن عليه في الدخول وهذه من الآداب العامة .
- كما يجب أن لا يبدأ شيخه بالكلام حتى يسأله الشيخ ويطرق رأسه حياءً وإجلالاً ولا

(١) احياء علوم الدين، ج١ ص١٨٠.

يظن بشيخه ظن السوء ويسلم له تسليماً كاملاً ويستمع له فيما يقول ويسجل في ذهنه ذلك ولا يعترض ولا يعلق ولا يحاول ان يضيف .

- كما لا يجوز له أن يذكر أسم الشيخ وهو يخاطبه بل يقول (يا سيدي، يا إمامي، يا هداي) ولا يلتفت الى غيره أثناء كلامه مع الشيخ ولايناديه بصوتٍ عالٍ ولا يرفع صوته فوق صوت الشيخ ولا يكثر الأسئلة ويثقل عليه بالكلام إلاّ اذا كان في موضوع الشرع ولا يتعجل الجواب .

- كما يجب على المُريد أن لا يأكل مع الشيخ ولا يتقدم عليه بالسير إلاّ للضرورة كحمل مصباح أو إزالة العوائق من الطريق وغيرها ولا يلبس ملبسه ولا يجلس على فراشه ولا يشرب في أوانيه من غير إذنٍ منه ولا يسبّح بسبحته ولا يتكيء في حضرته ولا يتثائب ولا يدخن ولا يضحك ولا يعمل بالاوراد في حضرته لان رؤيته تغني عن الأوراد في تلك الأثناء ولا يدير ظهره نحو الشيخ إذا خرج من عنده، ولا يصاحب من يكره شيخه ويحرضه على تركه ولا يسمع فيه شك المنافقين ولا يبخل عليه بشيء اراده مهما غلا، ولا يخبر الشيخ بأخبار تزعجه ويحاول ان يجلب السرور له دائماً . ولا يغضب الشيخ لأن اللّه سبحانه وتعالى يغضب لغضبه .

- كما يجب على المُريد أن يقتدي بسيدنا إسماعيل عليه السلام في اطاعة استاذه ووالده عندما قال : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[1] وأن ينفذ أمر الشيخ فالشيخ هو الأب الروحي للمُريدين جميعاً واستاذهم في السلوك وان يعتقد ويتيقن بأن شيخه قطب زمانه وإنه يفوق الناس علماً ورتبة، وان يقوم اذا قام الشيخ ولا يجلس إلاّ بأذنه وان يدافع عن الشيخ بكل ما يستطيع من يد ولسان وقلب وان يكرم نسل الشيخ وأهله اكرامه للشيخ .

- وإذا أخطأ المُريد عليه ان يعترف أمام الشيخ ويطلب السماح منه فقلبه الرؤوف واسع يقبل التائب النصوح .

---

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

وإذا كان يقرأ القرآن وحضر الشيخ فيكمل الآية ثم ينهض إجلالاً له . ويكتم سر شيخه ولا يقترح الآراء وإذا استشاره بأمر يظهر الجهل وان أمره الشيخ فيقول أظن يا سيدي كذا .....

- وعلى المُريد أن يحترم هدية الشيخ ويضعها في مكان لائق بمقامها ويحتفظ بها فأنه لا يدري أي سر وضعه الشيخ فيها وقد ورد عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إنه طوى سراً في ثوب وأعطاه لأبي هريرة فصار قلبه حياً ولم ينس أي شيء بعد ذلك .

آداب المُريد مع المُريدين

الطريقة الكسنزانية هي امتداد للرسالة المحمدية وسائرة على نهجها فالمُريد السالك فيها يخضع لكل ما خضع له المسلمون الأوائل ويتحلى بأخلاقهم التي حملوها الى الناس فالأسلام قضى على التعصب الجاهلي وساوى بين المسلمين ولم يفرق إلاّ بالتقوى . جمع القلوب والأيدي رغم أختلاف الجنس والأشكال فبلال من الحبشة وصهيب من الروم وسلمان من الفرس وكان المسلمون يحبون إخوانهم في الدين ويؤثرونهم على اخوة الرحم الذين كفروا .

هذا هو الإسلام وكذلك الطريقة فمن شأن المُريد أن يعادي من عادى المُريدين ويحب من يحبهم وان يعفو عن زلاتهم ويستر عيوبهم ويزهد فيما يملكون، ولا يحقد عليهم ويتواضع لهم ولا يطلب الرياسة عليهم ويكرمهم في كل وقت حباً في الله ويخدمهم ويتحمل الأذى لأجلهم وينصحهم ولا يتكبر عليهم ويحثهم على الصلاة وإدامة الذكر ويقنعهم بالحجة والدليل ويزور مريضهم ويساعده على شراء العلاج ان أمكن ويدعو له بالشفاء ويدعوهم الى طعامه ويستغفر لهم ولا يقبل نميمة من أحد فيهم . قال الإمام علي كرم *الله* وجهه (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بَكوا عليكم وإن عشتم حنوا اليكم)[1] .

وأن يحفظ حرمتهم غائبين او حاضرين ولا ينتقص احداً منهم وان يمشي معهم بالنصيحة ويُعلّم جاهلهم ويرشد ضالهم وأن يكون حسن الظن بهم مشغولاً عن عيوبهم

(١) نهج البلاغة، بشرح الشيخ محمد عبده .

وان يقوم بأصلاح ذات بينهم اذا اختلفوا واختصموا، صادقاً أميناً معهم غير طامع إلاّ في محبتهم، ولا يبرر إيذاءه لاخوانه بتفسيرات روحية لأن المشايخ لا يأمـرون المُريـد إلاّ بالمعـروف وهم وحدهـم كفيلـون بمحاسبة الخاطـيء أو اعفائـه لقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ)[1] .

وصايا هامة للمُريد

المُريد الذي يسلك على يد الشيخ وينتسب اليه يجب ان يعكس الصورة الايجابية للمسلم وان يطبق ما يتعلمه من شيخه على حياته الواقعية طمعاً في التقدم على الطريق وحفظاً لسمعة الشيخ والطريقة وبذلك فاننا نوصي المُريد السالك بـ :

١- الإلتزام بالفرض والسنة وصلاة الجماعة .

٢- مخالفة الشيطان والنفس في كل الأمور .

٣- إلتزام العبادة بجد وترك اللهو ورفاق السوء .

٤- عدم العمل بأوراد غيد الأوراد المكلف بها من قبل استاذ الطريقة .

٥- إلتزام مجلس الذكر والحضور اليه بشكل مستمر ودائم .

٦- عدم مدح شيوخ العصر أو تحسين طريقة أخرى على طريقة شيخه .

٧- عدم التحدث بالرؤيا أو العلوم الروحية التي ترد على المُريد بين الناس وعدم أخذ رأي إخوانه المُريدين أو خليفته فيها لانه لا يعرف تأويلها إلاّ أستاذ الطريقة .

كما نوصيه بأن :-

١- يترك الغرور ويتجنب الآثام ويبتعد عن الحرام أكلاً وشرباً .

٢- يتبع تعاليم الطريقة (مفاهيم القرآن الكريم) ويترك المعاصي ويكظم الغيظ ويتجنب الرياء .

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٠ .

٣- يترك البغي والغيبة وشهادة الزور والكبر والعجب والتملق .

٤- يقلل الجدل ويترك الدسائس والأفتخار والتجبر والكذب .

٥- يبتعد عن مجلس النساء ويترك الحسد وظن السوء والنميمة .

٦- يؤدي حقوق الناس ويتحمل الأذى ويغض البصر ولا يغفل عن ذكر الله .

٧- يقلل الأكل والنوم ويؤنب نفسه على ما مضى ويلزم الاستغفار والزهد والتقوى .

٨- يحترم الكبير ويعطف على الصغير ولا يتكلم إلاّ إذا أذن له ولا يكثر الكلام .

٩- يسلم على الجالسين ويجلس في المكان الخالي ولا يزاحم أحداً في مجلسه ويستمع لمن يتحدث ولا يقاطع المتكلم ولا يعلق إلاّ بعد الأنتهاء .

١٠- لا يخجّل صبياً ولا يعّنف فقيراً ولا يحقّر ضعيفاً .

١١- يسعى مع الأرملة والمسكين ويساعد المحتاجين ويزرع المحبة وينشر السلام أينما حل .

هذه هي آداب وأخلاق المُريد الكسنزاني وكل من لم يلتزم ولم يتحلَّ بهذه الأخلاق فهو خارج عن الطريقة غير مكتوب مع مريديها .

الباب السادس

❖ الذكـــــر

- أقسام الذكر
- دليل الذكر في القرآن الكريم
- الذكر في الاحاديث النبوية الشريفة
- الذكر المفرد والجماعي
- الذكر الجهري
- اقوال في فضل الذكر
- آداب الذكر

❖ الذكر الكسنزاني

❖ السماع في الطريقة

- دليله في الكتاب والسنة
- السماع عند من اجازوه
- السماع عند الغزالي
- آداب السماع

أيها المُريد لازم باب الله ووجه قلبك
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واجعل الاستمداد من بابه العالي
بواسطة شيخك المرشد

السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزاني (قدس الله سره)

الذكـــــر

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره في الذكر : يا مغتراً بغناه وصفائه فعن قريب ينقلب صفاؤك كدراً وغناك فقراً وسعتك ضيقاً لا تغتر بما أنت فيه عليك بالمواظبة على حلقات الذكر وحسن الظن بالشيوخ العمال بالعلم والأستماع منهم والأصغاء لما يقولون، يا غلام إني أراك قرين الشيطان وخليفته وقد أمنته على نفسك وصادقته وهو يأكل لحم دينك وتقواك ويُضيع رأس مالك وما عندك خير، ويحك ادفعه عنك وهربّه من عندك بالذكر الدائم فأنه يهلكه ويهزمه ويفرق جمعه . اذكر الحق عز وجل بلسانك تارةً وبقلبك تارةً، غير طعامك وشرابك، استعمل الورع في جميع أحوالك إستعن على هزم الشيطان بقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله، لا إله إلا الله الملك الحق المبين سبحان الله وبحمده، وبهذا ينقلب وتتكسر شوكته وينهزم جنوده، عرش أبليس على البحر وهو يبعث جنوده على الأرض، أعظمهم عنده خرمةً أشدهم فتنةً لأبن آدم .

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (**إن هذه القلوب لتصدىء وجلاؤها قراءة القرآن الكريم وحضور حلقات الذكر**) .

مجالس العلماء العمال بالعلم تجلو القلوب وتُصفّيها وترقّيها وتزيل قساوتها، شكى رجل الى الحسن البصري قدس الله سره العزيز قساوة قلبه فقال له : دُم في ذكر الذاكرين الله عز وجل العلماء به، الأولياء له، هم الملوك على الحقيقة عن المُلك فَسعوا اليه ملوك رأوا الآخرة فصغرت الدنيا في قلوبهم ورأوا الحق عز وجل فصغر الخلق عندهم العزّةُ في طاعة الله تعالى وترك معاصيه . يا عُصاة لا تقنطوا من رحمة الله عز وجل، ولا تيأسوا من روح الله عز وجل . يا موتى القلوب، داوموا على ذكر ربكم عز وجل، وتلاوة كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وحضور حلقات الذكر، وقد حيت قلوبكم كما تحيا الارض الميتة بنزول الغيث عليها . اذا داوَمَ القلبُ على ذكر الله عز وجل وجاءت اليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والاعراض عما سواه عز وجل في الجملة،

دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة ما دمت فيها مع الدنيا والخلق فأنت متأثر بالحمد والذم لأنك موجود في نفسك وهواك وطبعك فاذا وصل قلبك الى ربك عز وجل وصار أمرك اليه، زال تأثرك بهما واسترحت من ثقل عظيم . اذا اشتغلت بالدنيا مع اعتمادك على حولك وقوتك، إنقطعت وتمزقت وتعبت وسخطت، وهكذا اذا اشتغلت بالآخرة تفوتك وتنقطع. واذا اشتغلت بالحق عز وجل جاءك الخير في الدنيا والآخرة . استفتح باب المعاش بيد قوته عز وجل والتوكل عليه، واستفتح باب الطاعات بيد توفيقه، فاذا وصلت الى مقام طلبه، فاطلب منه القوة والصدق في طلب قوته ومعونته، تثبت اقدام قلبك وسرك بين يديه مع الفراغ من شغل الدنيا والآخرة .

والذكر لغةً الحفظ للشيء، تذكر الشيء أجراه على اللسان والذكر جرى الشيء على لسانك . أما عند أهل الطريقة فهو الخروج من ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف او لكثرة الحب، وهو بساط العارفين ونصاب المحبين العاشقين وحقيقته ان تنسى ما سوى المذكور[1] .

اقسامه

أ. ذكر اللسان : وهو المستمد من القلب يردده المحب ويستعذب ترداده ويحب سماعه

ب. ذكر السر : وهو من مقامات الواصلين من خاصة الخاصة ومعناه غياب الذاكر في المذكور بالجملة حتى لا يبقى رسم فيكون هو الذاكر .

وذكر اللسان هو البداية والذكر ذكر القلب ولا يعتبر السالك ذاكراً إلا ان يذكر بقلبه ومما يؤيد هذا الكلام قول السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره (من كان ذاكراً لله عز وجل بقلبه فهو الذاكر ومن لم يذكر بقلبه فليس بذاكر، اللسان غلام القلب وتبع له)[2].

وأجمع شيوخ الطريقة على ان عمدة الطريق الأكثار من ذكر الله عز وجل وان لا دواء ولا أي عمل آخر مهما شرُف مقامه أنجح من ذكر الله عز وجل في الوصول والفلاح

(١) لسان العرب لابن منظور، ج١ ص١٧١.
(٢) الفتح الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني ص١٠٦.

في الطريق، يقول ابوالسعود ابن ابي العشائر (الأصول التي يبني عليها المُريد أمره أربعة أشياء : اشتغال اللسان بذكر الله عز وجل مع حضور القلب الى ان يقول ... والاكبر الذي يقلب عين طينة العبد ذهباً خالصاً هو الاكثار من ذكر الله تعالى مع الاخلاص)[1] .

إن مشايخنا الكرام قدس الله اسرارهم قد جعلوا الذكر اساس الطريق وعملوا على اشتغال المُريد بذكر الله على الدوام طوال حياته لانه سبب اليقظة من الغفلة والدواء السريع المفعول لجلاء القلب، يقول الشيخ علي المرصفي رحمه الله (قد عجز الشيوخ فلم يجدوا للمُريد دواء اسرع في جلاء قلبه من مداومة ذكر الله عز وجل، فحكم الذاكرين كمن يجلي النحاس المصدي بالحصى وحكم غير الذاكرين من سائر العبادات كمن يجلي النحاس بالصابون)[2] .

والذكر هو الوسيلة التي بواسطتها يهزم الشيطان فالذكر اذا تمكن من القلب صار الشيطان يصرع اذا دنى من الذاكر كما يصرع الانسان اذا دنى منه الشيطان، قال الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم **(اضنوا شياطينكم بقول لا اله إلا الله محمد رسول الله فان الشيطان يضني بها كما يضني احدكم بعيره بكثرة ركوبه وشيل احماله عليه)** .

والذكر ينتقل من اللسان الى القلب اذا داوم المُريد على ذكر الله عز وجل واصبح يستعذب ترداده ويجب سماعه ويستأنس به حتى يمتزج بروحه، فيحس المُريد ويشعر بذلك الانتقال حيث يشعر بحرارة تدخل القلب، وعند ذاك يشتغل القلب بذكر الله عز وجل دائماً وفي جميع الاحوال ما لم يتعرض لعارض او لسبب ما او غفلة، وكيف يغفل عن ذكر الله من كان الذكر له مفتاح الغيب وانيس المستوحش وجاذب الخير[3] .

---

(١) الأنوار القدسية للشعراني، ج١ ص١١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١ ص٧٠.
(٣) حلية الاولياء ابو نعيم الاصفهاني، ج٦ ص١٧١.

دليل الذكر في القرآن الكريم

وردت كلمة الذكر في القرآن الكريم على عدة معان حسب ورودها في الآيات الكريمة فقد وردت بمعنى القرآن لقوله :(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1].

ووردت بمعنى صلاة الجماعة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)[2] .

وجاءت الكلمة بمعنى العلم في قوله تعالى : (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[3] .

وفي معظم الآيات القرآنية الاخرى وردت اللفظة واريد بها ذكر الله سبحانه وتعالى في بضع وثلاثين آية تقريباً قال تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)[4]، في هذه الآية الكريمة جعل الله سبحانه وتعالى ذكر العبد له من اجل ذكر الله تعالى للعبد، يقول الامام جعفر *الصادق* عليه السلام (وجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره تعالى اياك فانه ذكرك وهو غني عنك، فذكره لك أجل وأشرف وأسنى وأتم من ذكرك له)[5] .

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره في تفسير هذه الآية الكريمة : (اذكروني بالشوق والمحبة اذكركم بالوصل والقربى وقيل اذكروني بالحمد والثناء اذكركم بالمن والجزاء، وقيل اذكروني بالتوبة اذكركم بغفران الحوبة، اذكروني بالدعاء اذكركم بالعطاء، اذكروني بالسؤال اذكركم بالنوال، اذكروني بلا غفلة اذكركم بلا مهلة، اذكروني بالندم اذكركم بالكرم، اذكروني بالمعذرة اذكركم بالمغفرة ... اذكروني بالقلوب اذكركم بكشف الكروب،اذكروني بلا نسيان أذكركم بالامان، اذكروني بالافتقار اذكركم بالاقتدار، اذكروني بالقلب اذكركم بكشف الحجب، اذكروني ذكراً فانياً اذكركم ذكراً باقياً، اذكروني بالصدق اذكركم بالرفق، اذكروني بالتعظيم اذكركم بالتكريم،

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) سورة الجمعة، الآية ٩.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٥) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، عادل خير الدين. ص١٣٩ .

اذكروني من حيث انتم اذكركم من حيث انا، ولذكر الله أكبر)[1].

ولقد عاتب الله سبحانه وتعالى المؤمنين حينما استبطأ خشوعهم لذكر الله وما نزل من الحق بالآية الكريمة: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)[2]، كما بشر الله سبحانه وتعالى المخبتين اي المطمئنين بذكر الله بقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[3]، أي خافت هيبةً لله سبحانه وتعالى، وقال تعالى: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ)[4]، أي اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة فالله سبحانه وتعالى ذكر عباده بمنته عليهم عندما هداهم الى النور بعد الظلمة والصراط المستقيم بعد الضلال، افلا يحق للعباد ان يذكروا صاحب الفضل والهداية عليهم ؟

وثمة آيات تحث المؤمنين على الذكر الكثير، والكثرة هنا غير محددة بعدد ولا كم ولا بصيغة او كيفية وقد وضع المشايخ الكرام اصول ونظام الذكر وكيفيته.

قال تعالى: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)[5].

وقال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[6].

وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)[7].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)[8].

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: (كَيْ نُسَبِّحَكَ. كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً)[9].

---

(١) الفنية لطالبي طريق الحق، الشيخ الكيلاني، ج٢ ص٩٠٩.
(٢) سورة الحديد، الآية ١٦.
(٣) سورة الحج، الآيات ٣٤، ٣٥.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية ٤١.
(٦) سورة الاحزاب، الآية ٣٥.
(٧) سورة الأحزاب، الآية ٢١.
(٨) سورة الاحزاب، الآية ٤١.
(٩) سورة طه، الآيات ٣٤، ٣٥.

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1] .

وكذلك وردت الآية الكريمة لتبين ان الذكر لا يكون في وضع محدد للذاكر قال تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ)[2]، فيحق للذاكر ان يذكر الله وهو قائم او قاعداو مضطجع على جنبه .

كما تبين الآيات القرآنية الآتية بان ليس ثمة وقت محدد للذكر فامر الله تعالى بالذكر في أوقات مختلفة – في الغدو والاصال، بالعشي والابكار، بكرة واصيلاً –

قال تعالى : (وَاذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ)[3].

وقال تعالى : (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)[4].

وقال تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)[5].

وقال تعالى : (وَاذْكُر رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)[6].

وقال تعالى : (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)[7].

وهناك من ادعى بان الذكر يكون في دبر كل صلاة ويقتصر على ذكر محدد كما ورد في الحديث النبوي الشريف فنقول بان الذكر ورد في الآيات الكريمة قبل الصلاة

---

(١) سورة الانفال، الآية ٤٥.
(٢) سورة النساء، الآية ١٠٣.
(٣) سورة الاعراف، الآية ٢٠٥.
(٤) سورة الانسان، الآية ٢٥.
(٥) سورة النور، الآيات ٣٦، ٣٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية ٤١.
(٧) سورة طه، الآية ١٣٠.

وفي آيات أخرى بعد الصلاة بل وفي الصلاة لكون الصلاة تشتمل على الاذكار قال تعالى: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)[1] أي لتذكرني فيها . وقال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ)[2] أي أن الذكر قبيل الصلاة ولان افتتاح الصلاة كذلك جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل. وقال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ)[3].

وهناك آيات أوجب فيها الباري عز وجل الذكر في مواضع محددة وصيغة محددة اوضحتها السنة النبوية الشريفة .

قال تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ)[4].

وقال تعالى:(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ)[5].

وقال تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)[6]،أي فاذا فرغتم من عباداتكم في الحج وتفرغتم فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم ومفاخرهم. وقال تعالى: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ)[7]،أي أيام التشريق وعند الجمار

وقد وردت آيات قرآنية في الوعيد لمن لم يذكر الله تعالى والتحذير للعباد من النسيان او اللهو عن ذكر الله .

قال تعالى : (وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)[7].

وقال تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)[9].

(١) سورة طه، الآية ١٤.
(٢) سورة الأعلى، الآيات ١٣، ١٤.
(٣) سورة النساء، الآية ١٠٣.
(٤) سورة الحج، الآية ٢٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.
(٦) سورة البقرة، الآية ٢٠٠.
(٧) سورة البقرة، الآية ٢٠٣.
(٨) سورة الجن، الآية ١٧.
(٩) سورة الزخرف، الآية ٣٦ .

وقال تعالى : (إنما يُرِيدُ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ بينكم العَداوةَ والبَغضاءَ في الخَمرِ والمَيسرِ ويَصُدَّكُم عن ذِكرِ اللهِ وعَنِ الصَّلاةِ فَهَل أنتُم مُنتَهُون)[1].

وقال تعالى : (يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تُلهِكُم أموالُكُم ولا أولادُكُم عن ذِكرِ اللهِ ومَن يَفعَلْ ذلكَ فأولئكَ هُمُ الخاسِرُون)[2].

وقال تعالى : (ولا تُطِعْ مَن أغفَلنا قَلبَهُ عن ذِكرِنا واتَّبَعَ هَواهُ وكانَ أمرُهُ فُرُطاً)[3].

وقال تعالى : (إنَّ المُنافِقينَ يُخادِعُونَ اللهَ وهُوَ خادِعُهُمْ وإذا قامُوا إلى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُونَ النَّاسَ ولا يَذكُرُونَ اللهَ إلاَّ قَليلاً)[4].

وقال تعالى : (ومَن أعرَضَ عن ذِكري فإنَّ لهُ مَعيشَةً ضَنكاً ونَحشُرُهُ يومَ القِيامَةِ أعمى)[5]، أي ضيقاً قال ابن جبير يسلبه القناعة فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احدكم عن ذكر الله الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه)[6]، وليس هناك خير من أن نختم الآيات الكريمة وان لم نكن قد اتينا عليها جميعاً بقوله تعالى وهو خير القائلين : (الا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ)[7].

الذكر في الأحاديث النبوية الشريفة

وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة في فضل الذكر وما أعد الله للذاكرين من ثواب ومغفرة ودرجات عليا وحفظ في الدنيا والآخرة كما وردت أحاديث أخرى حذر فيها

(١) سورة المائدة، الآية ٩١.
(٢) سورة «المنافقون»، الآية ٩.
(٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.
(٤) سورة النساء، الآية ١٤٢.
(٥) سورة طه، الآية ١٢٤.
(٦) تفسير النسفي، ج٣ ص٦٨.
(٧) سورة الرعد، الآية ٢٨.

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك الذكر وهي وان اختلفت الفاظها عند أئمة الحديث إلا ان ذلك لا يغير من المعنى شيئاً . قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث القدسي قال الله تعالى : **(لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى)**[١].

* وروى الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة مرفوعاً عن النبي الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله عز وجل **(انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وان تقرب مني شبراً تقربت اليه ذراعاً وان تقرب الي ذراعاً تقربت منه باعاً، وان اتاني مشياً اتيته هرولة)**[٢].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال **(سيروا هذا جمدان، سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)**[٣].

* روى ابن ماجة وابن حبان في صحيحه مرفوعاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **(إن الله عز وجل قال انا مع عبدي اذا هو ذكرني وتحركتْ بي شفتاه)**[٤].

* وروى الترمذي وابن حبان في صحيحه وابن ماجة والحاكم وقال صحيح الاسناد **(ان رجلاً قال يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت عليَّ فاخبرني بشيء اتشبث به قال لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله)**[٥].

* وروى ابن ابي الدنيا والطبراني والبزاز عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال اخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن قلت أي الاعمال احب الى الله تعالى قال : **(أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى)**[٦].

---

(١) رواه الطبراني باسناد حسن.
(٢) رواه مسلم في الصحيح، ٢٠٦٢/٤.
(٣) رواه مسلم في الصحيح، ٢٠٦٢/٤.
(٤) رواه ابن ماجه في السنن، ١٢٤٦/٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) رواه الطبراني.

* وروى الشيخان مرفوعاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت**)[1]، ذلك لان ذكر الله احياء للقلوب ومن كان قلبه حياً فهو حي ومن مات قلبه فهو الميت .

* وروى الامام احمد وابو يعلي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد موفرعاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (**اكثر من ذكر الله حتى يقولوا مجنون**)[2].

* واخرج احمد والطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ **فقال غنيمة مجالس الذكر الجنة الجنة**)[3].

* وروى الطبراني والبيهقي باسناد جيد مرفوعاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (**ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها**)[4]، وأهل الجنة فرحون بما اتاهم الله عز وجل ولكن نوع التحسر هنا انما يكون عند اول دخولهم الجنة حين يرون مقام من فوقهم من الذاكرين .

* وروى الامام احمد مرفوعاً عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء ان قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات**)[5].

* وروى الترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (**اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا** قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ **قال حلق الذكر**)[6].

* وروى الطبراني والامام احمد عن معاذ بن أنس قال أن رجلاً قال يا رسول الله اي مجاهدي افضل واعظم اجراً قال **اكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً** . قال فاي

---

(١) رواه احمد في مسنده.
(٢) رواه الطبراني واسنده احمد بن حنبل.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير.
(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير.
(٥) رواه احمد بن حنبل.
(٦) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

الصائمين اعظم اجراً قال اكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً فقال ابو بكر لعمر : يا ابا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجل .

* روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال ان لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة يبتغون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً باجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله عز وجل - وهو اعلم بهم - من اين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني ؟ قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي ؟ قالوا لا يا رب قال فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونني ؟ قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا ناري؟ قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا ويستغفرونك فيقول قد غفرت لهم فاعطيتهم ما سألوا واجرتهم مما استجاروا)[1].

* عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (يقول الله اخرجوا من النار من ذكرني يوماً او خافني في مقام) .

* وروى ابو داود والترمذي والحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (اقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن) .

* وروى الترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً (من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تامة تامة تامة) .

* وفي رواية لابن ابي الدنيا مرفوعاً (من صلى الفجر ثم ذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس لم يمس جلده النار ابداً) .

(١) رواه البخاري طبعة ميري، ٨/٨٦-٨٧.

* وروى الطبراني باسناد حسن مرفوعاً (ثلاثة يحبهم الله عز وجل ويضحك لهم ويستبشر بهم ... فذكر منهم والرجل له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل ويذر شهوته ويذكر ربه ولو شاء رقد) .

* وروى الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما في حديث طويل مرفوعاً (... وامركم بذكر الله كثيراً ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في اثره حتى اتى حصناً فاحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله) .

* وروى الطبراني مرفوعاً (من لم يكثر ذكر الله فقد برىء من الايمان) .

الذكر المفرد والذكر الجماعي

من خلال الاحاديث النبوية الشريفة يظهر دليل على وجود الذكر الجماعي وهو عند اهل الطريقة افضل من الذكر المفرد لان فيه تلتقي قلوب الذاكرين ويكون التعاون والتجاذب بينها فيستقي الضعيف من القوي والمظلم من المنور والكثيف من اللطيف، لذلك كانت طريقتنا الكسنزانية اكثر الطرق جماعية في تأدية الاذكار والاوراد اليومية بعد الصلوات الخمس وورد العصر، هذا بالاضافة الى الذكر الرسمي مساء يومي الخميس والاثنين، اما الذكر المفرد فهو جائز كذلك لان العبادات لا تكون دائماً جماعية وتعتمد على همة المُريد وسعيه في العبادة والتزود في الاذكار والقيام في الليل والاسحار .

وقد نقل الشعراني رأي الامام الغزالي في هذا المجال حيث يشبه الغزالي ذكر الجماعة باذان الجماعة يقول (فكما ان اصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء اكثر من صوت مؤذن واحد كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد اكثر تأثيراً في رفع الحجاب من شخص واحد واما الثواب فلكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع رفيقه، ثم يقول ووجه كون الذكر جماعة اكثر تأثيراً في رفع الحجب الكثيفة كون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ومعلوم ان الحجر الكبير لا ينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين لان قوة الجماعة اشد من قوة الشخص الواحد ومن هنا اشترطوا في الذكر ان يكون بقوة تامة)[1] .

---

(١) الانوار القدسية للشعراني، ج١ ص٤٦-٤٧.

الذكر الجهري

الذكر بنوعيه مستحب وهو مستحب حسب الزمان او المكان او الظرف المعين، ويستحب للذاكر الذكر الجهر في مواقع واحوال ولا يستحب له في غيرها، ونورد هنا بعض الاحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد الذكر الجهري، وإن القرآن الكريم مشتمل على أنواع كثيرة منها (لا إله إلا الله) ومنها أسماء الله عز وجل وقد دلت الأحاديث النبوية الشريفة على ان الجهر بقراءة القرآن وتحسين الصوت به جائز ومستحب عند الله ولما كان القرآن مشتمل على أنواع الذكر اذن يستحب كذلك الجهر بما اشتمل عليه القرآن .

* أخرج الامام أحمد في مسنده والبزاز والطبراني من طريق يعلي بن شداد بن اوس قال حدثني ابي شداد بن أوس وعبادة حاضر فصدقه قال بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (**ارفعوا ايديكم فقولوا لا إله إلا الله فرفعنا ايدينا ساعة**)(1). زاد الطبراني ثم رفع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده ثم قال (**الحمد لله اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم**). وهذا الحديث صريح يظهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم جهر بالتلقين واسمعهم وانهم ردوا جهراً .

* أخرج البيهقي عن زيد بن اسلم قال ابن الادرع : انطلقت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته فقلت يا رسول الله عسى ان يكون هذا مرائياً قال لا ولكنه اواه . قال ابن اسحاق حدثني محمد بن إبراهيم التيمي قال كان عبد الله رضي الله عنه – وهو ذو البجادين – يتيماً في حجر عمه فبلغ عمه إنه أسلم فنزع منه كل شيء اعطاه حتى جرده ثوبه فأتى امه فقطعت له بجاداً لها قطعتين فاتزر نصفاً وارتدى نصفاً ثم اصبح فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انت عبد الله ذو البجادين فالتزم بابي، فلزم بابه وكان يرفع صوته

---

(1) رواه أحمد في مسنده.

بالذكر فقال عمر أمراءٍ هو ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو أحد الأوابين .

* أخرج الامام أحمد وابن عدي والحاكم والبيهقي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**اذكر الله حتى يقولوا مجنون**) . ولا يقولوا الناس عن الذاكر مجنوناً ما لم يرفع صوته بالذكر ويجهر به .

* عن أبي عباس رضي الله عنه عن الطبراني قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**اكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم مراؤون**) وكذلك حديث ابي الجوزاء مرسلاً عن سعيد بن منصور والامام أحمد والبيهقي الحديث واللفظ نفسه وهذا دليل على الذكر الجهري حيث ان المنافقين لا يقولون للذاكرين إنكم مراؤون ما لم يجهروا بذكر الله وإلاّ كيف عرف المنافقون ان الذاكرين يذكرون الله.

* ذكر شيخنا السيد عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره أفضلية الذكر الجهري فقال تأثير الجهر على القلب كضرب المطرقة على الحديد الأعوج وتأثير الذكر الخفي كضرب قطعة خشب خفيفة على الحديد .

أقوال في فضل الذكر

* قال الامام *علي كرم الله وجهه* : إن الله تعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة[1].

وقال أيضاً ان اللّه تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وتلاوة القرآن ولا يرونه لانه أعز من أن يرى وأظهر من أن يخفى، فتفردوا بالله سبحانه وتعالى واستأنسوا بذكره[2].

* وقال الامام *جعفر الصادق عليه السلام* : من كان ذاكراً الله على الحقيقة فهو مطيع

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده . ج٢ ص٢١١.
(٢) حالة اهل الحقيقة مع الله، الشيخ احمد الرفاعي . ص١١٨.

ومن كان غافلاً فهو عاص[1].

* وأخرج ابن ابي الدنيا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا تشغلوا انفسكم بذكر الناس فانه بلاء عليكم، وعليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء[2].

* واخرج ابن مبارك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال : لو ان قلوبنا طهرت لم تَملْ من ذكر الله[3].

* وقال عبد الله بن عباس لم يفرض الله تعالى فريضة إلا وجعل لها حداً معلوماً ثم عذر اهلها في حال العذر، غير الذكر فانه لم يجعل له حداً ينتهي اليه ولم يعذر احداً في تركه الا مغلوباً على عقله[4].

* وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره : اذا داوم القلب على ذكر الله عز وجل جاءت اليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والاعراض عمن سواه، وفي الجملة دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة[5].

* وقال محيي الدين بن عربي : فانك اذا أشعرت قلبك ذكر الله دائماً في كل حال لابد أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف فانه بالنور يقع الكشف للاشياء واذا جاء الكشف جاء الحياء بصحبته .

* قال الشعراني : الذكر سيف المريدين به يقاتلون اعداءهم من الجن والانس وبه يدفعون الافات التي تطرقهم[6].

* وقال الذكر منشور الولاية ومرسوم من الله للعباد بالولاية كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف – والله المثل الاعلى – فمن وفق لدوام ذكر الله فقد اعطي المرسوم بانه ولي الله ومن يسلب من الذكر فقد عزل من الولاية[7].

---

(١) العالم الفكري للامام جعفر الصادق، عادل خير الدين. ص١٣٩.

(٢) حياة الصحابة، ج٣ ص٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٣ ص٢٣٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) جلاء الخاطر، الناشر الشيخ محمد الكسنزاني. ص٤٤.

(٦) الانوار القدسية الشعراني.

(٧) المصدر نفسه.

* وسمع ابو بكر الشبلي ينشد في مجلسه[1] :

ذَكَرتكَ لا اني نسيتكَ لمحةً	وايسرُ ما في الذكرِ ذكرُ لساني
وكدْتُ بلا وجدٍ اموتُ من الهوى	وهامَ على القلبِ بالخفقانِ
فلّما اراني الوجدُ انك حاضري	شهدتُك موجوداً بكل مكانِ
فخاطبتُ موجوداً بغيرِ تكلمٍ	ولاحظتُ معلوماً بغيرِ عيانِ

أداب الذكــــر

كل عبادة خلت من الآداب فهي ناقصة، والأدب سنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القائل (ادبني ربي فاحسن تأديبي).

والادب رأس مال الاخلاق والاخلاق من ارقى صفات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي وصفه ربه بقوله : **(وانك لعلى خلق عظيم)**[2]، فالعبد لا يصل الى حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا بعد ان يكون قد جلله الادب الذي يليق به للوصول الى حضرة المصطفى، اما كيف يكون ادبه للوصول الى الخالق العظيم فلابد له من جهد عظيم حتى يصل الى القدر المطلوب من الادب وهذا عمل المشايخ الكرام مع المُريدين حيث يقومون بتصفيتهم وتربيتهم وتعليمهم حدود هذا الادب .

وقد عد الشيوخ اداباً كثيرة يجب ان يتحلى بها المُريد الصادق منها :

١- التوبة النصوح .

٢- الغُسل والوضوء كلما اراد الذكر، اخرج ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنه قال ان استطعت ان لا تذكر الله الا وانت طاهر فافعل .

٣- ان يرابط مع شيخه روحياً ولا يغيب عنه ليحصل له الاتصال مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم روحياً عن طريق سلسلة المشايخ .

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٧٤ .

(٢) سورة القلم، الآية ٤ .

٤- ان يرى ان استمداده من شيخه هو حقيقة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وهذه آداب تكون قبل الذكر، **أما الآداب التي تكون أثناء الذكر فهي :**

١- الجلوس في مكان طاهر بوضع يشبه الصلاة وليس ضرورياً ان يستقبل القبلة وانما يستحب ذلك في حالة الذكر المفرد اما اذا كان الذكر جماعياً فيتكونون على شكل حلقة .

٢- أن يغمض عينيه ليسد طرق الحواس الظاهرة شيئاً فشيئاً، وسدها يكون سبباً لفتح حواس القلب .

٣- الاخلاص وتصفية العمل من كل شوب فبالصدق والاخلاص يصل العبد الى مقام الصديقية .

٤- تفريغ القلب من كل موجود سوى الله حال الذكر فالحق تعالى غيور لا يحب ان يرى في قلب الذاكر غيره الا باذنه .

٥- الا يظهر المُريد حاله الذي يطرأ عليه أثناء الذكر ويكتمه قدر المستطاع .

وهناك آداب اخرى بعد الذكر وهي :

١- أن يسكن المُريد بعد الانتهاء ويخشع لعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في تلك اللحظة قال الامام الغزالي : ولهذه السكتة آداب احدها استحضار العبد ان الله تعالى مطلع عليه وانه بين يدي الله وثانيهما جمع الحواس بحيث لا يتحرك منه شعرة، وثالثهما نفي الخواطر كلها واجراء معنى الله الله على القلب .

٢- أن يذم نفسه مراراً وبقدر ثلاثة أنفاس الى سبعة او اكثر حتى يدور الوارد في جميع حواسه فتتنور بصيرته وتقطع عنه خواطر النفس والشيطان .

٣- عدم شرب الماء البارد بعد الأنتهاء من الذكر مباشرةً لان الذكر يورث حرقة وهيجاناً وشوقاً والماء يبرد ذلك .

الذكـــر الكسنزانـــي

الذكر يعني تمجيد الله سبحانه وتعالى وترديد اسمائه بتركيز تام وترابط كامل قلباً ولساناً فعن الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه قال (**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**) أي أنه من أقر بلسانه وصدّق بقلبه بأنه لا إله ولا معبود ولا موجود ولا خالق ولا حاكم ولا رقيب سوى الله تباركوتعالى اي انه آمن وعمل وطبق ما بين دفتي الكتاب (القرآن الكريم) من إيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وبما جاء به سيدنا محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم نور رب العالمين وسيد المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين وسار على هديه ونهجه القويم وسيرته وسيرة أهل بيته الطاهرين مستقيماً عدلاً محباً متفانياً في حب الله تعالى وحبيبه العظيم محمد صلى اللّه تعالى عليه وسلم وآله الطيبين حتى وافاه الأجل المحتوم وتلقته المنية فأنه لا ريب من أهل السعادة والجنة والنعيم وفي مقام كريم عند ربه الجليل تصديقاً لقول الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم الآنف الذكر .

وتقام حلقات الذكر الرسمي يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع بعد صلاة العشاء فيقف المُريدون بشكل حلقة، ثم يقف مسؤول الحلقة في وسطها ويستعد الجميع بتركيز تام ورابطة روحية مع الشيخ قدس الله سره .

ثم يبدأ الجميع بأشارة من مسؤول الحلقة ترديد الأوراد الآتية ويتم الانتقال من ورد الى اخر بأشارة من مسؤول الحلقة :

١- اللّه استغفر اللّه دائم استغفر اللّه .

٢- لك الحمد يا قدوس لا إله إلا اللّه .

٣- يا اللّه دائم اللّه .

٤- يا دائم اللّه دائم .

٥- يا حي انت الحي ليس الباقي إلا الحي .

٦- يا باقي انت الباقي ليس الباقي إلا اللّه .

٧- يا هادي انت الهادي ليس الهادي إلا اللّه .

وتكون تلاوة هذه الأوراد غير محددة بعدد وإنما على مسؤول الحلقة تقدير ذلك .

ثم يدعو مسؤول الحلقة بهذا الدعاء (اللّهم يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ملك الملوك يا ذا الجلال والإكرام نسألك يا ربنا ان تحيي قلوبنا وسمعنا وابصارنا وارواحنا بنور معرفتك ابداً دائماً باقياً هادياً يا الله) .

وما ان ينتهي المسؤول من هذا الدعاء حتى يردد الجميع (يا الله) وهم ينحنون إجلالاً وتعظيماً لله سبحانه وتعالى ثم يعتدلون وهكذا لعدة مرات حتى يشير مسؤول الحلقة بالانتقال الى الاذكار الآتية :

يا الله دائم الله .

يا دائم الله دائم .

اللّه اللّه، اللّه هُو هُو ، هُو اللّه هُـو . وتلفظ كلمة (هُـو) الاخيرة بصوت مرتفع.

اللّه ، اللّه، اللّه هُو هُو ، هُو اللّـه . ويلفظ لفظ الجلاله (اللّـه) بصوت مرتفع. ثم يردد الجميع ورد (يا كريم) بصوت منخفض وهم ينحنون ذلا وخشوعاً امام الله سبحانه وتعالى .

ثم يقول مسؤول الحلقة (يا اللّه، يا دائم ، يا كريم ، يا ستار ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا الله) وتردد الجموع ورد (حي اللّه ، اللّه) بعد كل اسم من اسماء اللّه الحسنى، فاذا وصل المسؤول الى لفظ الجلالة (يا اللّه) استمرت الجموع بترديد (حي اللّه ، اللّه) الى أن يشير مسؤول الحلقة بالانتقال الى ورد اخر وهو قراءة سورة الاخلاص ثلاث مرات قراءة جماعية وبصوت جهوري، ثم تسكن الجموع ويسود الهدوء فيتقدم مسؤول الحلقة لطلب الامداد . فيقول :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مـــدد يا اللـــه

* مدد يا سيدنا ونبينا وشفيع ذنوبنا يا صاحب الآيات والمعجزات ويا صاحب دلائل الخيرات وخوارق العادات ويا سيد السادات حبيب رب العالمين وخاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد رسول اللّه (صلى اللّه تعالى عليه وسلم)، فتردد الجموع كلمة

(مدد) بصوت مرتفع موحد وهكذا باستمرار بعد كل استمداد .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج راسي ونور عيني فارس المشارق والمغارب صاحب مظهر العجائب والغرائب اسد الله الغالب سيدنا الامام سيدنا *علي بن ابي طالب* (كرم الله وجهه) .. (مدد) . ثم يقول مسؤول الحلقة في قلبه سراً (ومنه مدد عن طريق الجناحين ال البيت عليهم السلام والمشايخ الكرام) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني القطب الرباني والهيكل الصمداني والقنديل النوراني والسر السبحاني جامع الاسرار والمعاني شيخ الإنس والجان محيي السنة والدين باز الله الاشهب ابا صالح حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ... (مدد) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني العارف بالله حق العرفان وخادم القرآن من نسل عدنان صاحب مراتب الكمال حضرة السيد الغوث اسماعيل الولياني قدس الله سره ... (مدد) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني جامع الأسرار والمعاني شيخ الإنس والجان ومرشد الزمان منبع العلم والعرفان حضرة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الشاه الكسنزاني قدس الله سره ... (مدد) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني شيخ الكسنزان شيخ الاصاغر والاكابر في دين الله مهاجر حضرة السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره ... (مدد) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني شيخ الكسنزان غوث الثقلين مربي المريدين وقدوة السالكين حضرة السيد الشيخ الغوث حسين الكسنزاني قدس الله سره ... (مدد) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني العارف بالله حق العرفان صاحب مراتب الكمال حضرة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره ... (مدد) .

* ثم يستمد مسؤول الحلقة من استاذ الطريقة الحاضر . ثم يقول مسؤول الحلقة، كلكم عونٌ وغوثٌ ومددٌ . ويشير الى ضارب الطبلة فتضرب بحركة متوسطة بين السرعة والبطء وتردد الجموع بصوت واحد ذكر (حي اللّه ... حي اللّه) الجهري مع تحريك الرأس يميناً وشمالاً ، الى ان يشير مسؤول الحلقة للانتقال الى ذكر آخر هو ذكر (حي اللّه ... حي اللّه) المخفي وهو ذكر سيدنا الغوث الاعظم السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) ، وحركته تشبه حركة الذكر الاول مع انحناء بسيط الى الامام ، ثم ينتقل الى ذكر آخر هو ذكر (حي ، حي ، حي الله ... حي . حي ، حي الله) الجهري وتطبيقه كما يأتي :-

(حي) الاولى مصحوبة بحركة الرأس يميناً ، (حي) الثانية مصحوبة بحركة الرأس شمالاً ، (حي الله) الاخيرة مصحوبة بحركة الرأس يميناً مع مد صوت لفظ الجلالة (الله) . وعند تكرار هذا الذكر في المرة الثانية يكون مايأتي :-

(حي) الاولى مصحوبة بحركة الرأس شمالاً ، (حي) الثانية مصحوبة بحركة الرأس يميناً ، (حي الله) الاخيرة مصحوبة بحركة الرأس شمالاً .

وتستمر الجموع على هذا الذكر الى ان يتم الانتقال الى ذكر (دائم ، دائم) الذي يُسمعُ دويُــهُ من الذاكرين اشبه بصوت منشار ينشر الخشب ، وفي هذا الذكر تُسرّع ضربات الطبلة ، وحركة هذا الذكر يميناً وشمالاً ، ثم يشير مسؤول الحلقة الى الانتقال الى ذكر آخر هو ذكر (حي ، حي ، حي الله) وتُخفف ضربات الطبلة ، ثم يُنتقل الى ذكر آخر هو ذكر (دائم ، دائم) ، بعدها يشير مسؤول الحلقة الى جلوس الذاكرين مع ترديدهم هذا الذكر ، بعدها يُختم هذا الذكر ويُشار الى ايقاف الطبلة ويردد الجميع ذكر (يا الله يا حي يا قيوم) بعدد خمسين مرة ، ثم تُقرأ الفاتحة .

ان الحركة في الذكر الكسنزاني واجبة حيث قال الله تعالى : **(أوَ لم يَروا الى ما خَلَـقَ اللـهُ مـن شئٍ يتَفَـيّـؤا ظِلالُـهُ عـن اليـمـينِ والشَّمـائـلِ سُجّداً لله وهُم داخِرونُ)**[1] ، وان هذه الحركة يميناً وشمالاً مندوبة ذلك لما روى الحافظ ابو نعيم بن

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٨ .

عبدالله الاصبهاني بسنده عن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) انه وصف الصحابة يوماً فقال كانوا اذا ذكروا الله مادّوا كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على ثيابهم .

السماع في الطريقة

هو تلقي الأصوات بجميع أنواعها بأذان السامعين عن طريق تردد الموجات الصوتية الصادرة من مصادرها الاساسية مثل الطبل والدف أو الآلات الموسيقية الأخرى.

فالنفس الأنسانية لها ميل وتعلق شديد بالأصوات العذبة الحسنة ولا سيما في أوقات حلقات الذكر أو قراءة القصائد او المدائح النبوية الشريفة .

واذا كان الصوت عذباً حلواً منغماً والقصيدة جيدة مختارة مؤداة بصوت رخيم وأسلوب مؤثر جذاب سرعان ما تندفع النفوس الى الأنفعال الروحي مع هذا الحال الذي تكوّنه اجواء الذكر المفعمة ببركات المشايخ الوفيرة التي تعم الذاكرين جميعاً وتنتابهم اثر ذلك السكرة الالهية الروحية التي تتحقق بحضور أرواح المشايخ الكرام، حيث ينتقل المُريد الى عوالم جديدة من الطرب والغبطة والحضور سابحين في العالم العلوي : (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ)[1]، فيتمايلون يمنياً وشمالاً ويقومون بحركات غير إرادية ناتجة عن الجذبة الحاصلة من سمو أرواحهم وإلتقائها بأرواح المشايخ وتلقي الفيض الرباني منها . قال تعالى : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)[2].

وتكمن أهمية السماع للقصائد الدينية في وجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتمايل جسده النوراني لدرجة سقوط البردة المباركة عن كتفه الشريف عند سماعة الآبيات الآتية :

يا من يُحب انين العبد والندم	يا من لديه دواء الداء والسقم
نام العيون وعين العبد ساهرة	تبكي ببابك وسط الليل في الظلم
لا تقطعن رجائي فيك يا صمدي	يا غافر الذنب للراجين بالكرم
إرحم بفضلك لا تنظر الى عملي	إن الكريم كثير العفو عن خدم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٢) سورة الأسراء، الآية ٣٦.

ويروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلبس بردته تلك بعد ذلك وتم تقسيمها بين الصحابة تبركاً ثم نزل جبريل عليه السلام في الحال فقال إن الله يقرؤك السلام ويطلب قطعة من البردة لتعليقها في العرش .

ولقد أفردنا هذا المجال للسماع نظراً لأهميته في سلوك أهل الطريقة وأعتمدنا آراء العلماء والأئمة ومشايخ الطريقة في إجازة السماع وهم يحتجّون بأحاديث نبوية شريفة او عمل شريف من سنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

فالسماع في كلام العرب مصدر، يقال سمع يسمع سمعاً وسماعاً بدليل قولهم أخذ العلم عنه سمعاً وسماعاً اي مشافهة ومكالمة ويقال ايضاً عن الفهم سمعاً كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾[1]، أي أفهمهم .

أما تعريف أهل الطريقة للسماع فليس ثمة تعريف محدد يمكن الركون اليه فقد اختلف المشايخ الكرام في تعريفه بأختلاف درجاتهم واختلاف مشاربهم، قال ذو النون المصري : (السماع وارد يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق)[2]، وقال الجنيد البغدادي قدس الله سره (السماع فتنة لمن طلبه وترويح لمن صادقه)[3]، وقد عرفه الشيخ ابو بكر الشبلي قدس الله سره فقال (السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة)[4]، وعرفه محيي الدين بن عربي فقال (الانتباه بالقلب الى ما يحمد شرعاً واستماع القول الذي اثنى الله عليه وامر بأستماعه واتباع أحسنه)[5]، وقال ابو علي الروزباري (السماع مكاشفة الأسرار الى مشاهدة المحبوب)[6]، وعرفه محمد بن علي *الباقر* عليه السلام في معرض رأيه عن السماع يقول (إن موت القلوب من شهوات النفس وحياة القلب في رفض شهوات النفس كلما رفض العبد شهواتها نال من الحياة وان سماع دليل على حياة القلوب فهو للاحياء لا للأموات قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٣.
(٢) الرسالة القشيرية، ج٢ ص٦٤٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) السماع عند الصوفية، د.كوكب عامر. ص٢٦.
(٦) الرسالة القشيرية، ج٢ ص٦٤٩.

تُسمِعُ ٱلمَوتَىٰ)[1]. والأحياء هم الذين يحيون حياة روحية مترفعة عن الشهوات والأهواء فالسماع في نظر الباقر رضي الله عنه دليل على حياة القلوب .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني (أعلم ان السماع سر من أسرار الله تعالى يظهر في الصادقين من العشاق ولا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه) وقسمه على نوعين :-

١- **سماع تقليدي** : هو ما يفعله المتشبه ليلتحق بارباب الاحوال والمواجيد فمن تشبه بهم فهو منهم .

٢- **سماع حقيقي** : هو ما قال فيه الحق تبارك وتعالى : (فَبَشِّرۡ عِبَادِ. ٱلَّذِينَ يَستَمِعُونَ ٱلقَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحسَنَهُ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ)[2]، وهو عنده يقسم الى قسمين :

أ. **سماع طبيعي** : هو ما يحدث بالاصوات الحسنة والنفحات الطيبة وصاحبه يسمع بطبعه ونفسه وهواه فيكون حظه من مسموعه ما وافق طبعه وهو لا يصلح إلا لمن كان قلبه صافياً ونفسه قد تهذبت .

ب. **سماع روحاني** : فهو سماع الخاصة لكلمات الله تعالى وادراكها وفهما وتدبر معانيها والأنفعال بها وهو سماع مطلق لاصحاب الهمم العالية والنفوس الزكية والقلوب المتنورة بنور الله وهؤلاء لا توثر فيهم النفحات .

وعرفه أبو بكر محمد الكلاباذي بقوله (السماع استجمام من نصب الوقت وتنفس لارباب الاحوال واستحضار الاسرار لذوي الاشغال)[3].

وعرفه ابو يعقوب النهرجوري بقوله (السماع حال يبدي الرجوع الى الأسرار من حيث الاحتراق)[4].

وعرفه الغزالي بقوله (السماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا تصل نفس السامع اليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه)[5].

---

(١) سورة الروم، الآية ٥٢.

(٢) سورة الزمر، الآيات ١٧، ١٨.

(٣) الرسالة القشيرية، ج٢ ص٦٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ص٦٤٥.

(٥) احياء علوم الدين، ج٢ ص٢٨٧

دليله في الكتاب والسنّه

إن أهل الطريقة من السالكين لم يفعلوا فعلاً ما لم يكن فيه تصريح من كتاب الله الكريم او من سنة رسوله المكرم صلى اللّه تعالى عليه وسلم فالسماع وان كان لا زال في نقاش عند بعض من أنكره من الذين يأخذون الامور بظواهرها، يبقى ركناً مهماً من أركان الطريقة لان فيه حياة القلوب، واثارة الشوق للمحبوب وهو الله سبحانه وتعالى او لرسوله صلى اللّه تعالى عليه وسلم او لاوليائه من المشايخ الكرام الذين هم وسيلة السالك للوصول الى الله تعالى .

وهو قبل هذا واهم من كل ما قيل : المتمعن بآيات الله الكريمة عند سماع القرآن وآياته، ففي الصوت الحسن والقراءة الجيدة يكون وقع كلمات الله على القلب اكثر شدة وتأثيراً واكثر شوقاً لسماع المزيد والاستئناس بكلمات الله العلي القدير . وشدة الخوف والخشية من بعض الايات الكريمة، حتى ان بعضهم يقع مغشياً عليه من الخوف او يخر صعقاً، وكيف لا ؟ والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)[1]، ولكن القلوب الصدئة الميتة لا تؤثر فيها قراءة القرآن شيئاً، فاولئك مثلهم كمثل الحمار يحمل اسفاراً، اما الذين اذا ما سمعوا آية نزلت على رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم فاضت اعينهم من الدمع فاولئك في مقام الصدق والاخلاص وبشرهم الله سبحانه وتعالى بقوله :(فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ)[2]، فلقد ربط سبحانه وتعالى بين السماع : (الذين يستمعون القول) وبين الهدى وانهم هم (اولوا الالباب) اي اصحاب العقول فمن يكن ذا عقل فهو عالم ومن كان عالماً بالله خشع من قول الله قال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[3]، وقال تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ)[4]، وقد

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢١.
(٢) سورة الزمر، الآيات ١٧، ١٨.
(٣) سورة فاطر، الآية ٢٨.
(٤) سورة المائدة، الآية ٨٣.

قيل في تفسير هذه الآية : وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزناً والحزن حار وتارة يثير شوقاً والشوق حار وتارة يثير ندماً والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين ابكى وادمع، لان الحرارة والبرودة اذا اصطدما عصرا ماءً .

وقال تعالى : (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)[1]، فاذا الم سماع بالقلب يخف الماً احياناً فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد .

وفي وصفه تعالى لـ (عباد الرحمن) قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)[2]، أي يسمعونها ويتأثرون بها. وقد سأل الجنيد قدس الله سره : ما بال الانسان يكون هادئاً فاذا سمع السماع اضطرب؟ فقال : ان الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الاول بقوله : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)[3]، استغرقت عنوبة سماع الكلام والارواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .

إن تدبر القرآن الكريم ضرورة إيمانية والانصات كذلك وهو امر الهي امرنا به قال تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[4] ثم قال سبحانه وتعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[5].

أما الأحاديث النبوية الشريفة التي يفهم منها أباحة السماع تصريحاً او تلميحاً فهي كثيرة تُستقى من الحوادث التي قيلت فيها هذه الاحاديث الشريفة سواء ما كان منها مخصوص بقراءة القرآن الكريم او الأشعار او القصائد او الغناء في مناسبات .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم (**حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (**لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن**) وفي رواية انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم لابي موسى الاشعري (**لو**

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية ٧٣.
(٣) سورة الاعراف، الآية ١٧٢.
(٤) سورة الاعراف، الآية ٢٠٤.
(٥) سورة محمد، الآية ٢٤.

رايتني وانا استمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود)[1].

* وروى عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اقرأ عليّ القرآن) قال فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال أني اشتهي ان اسمعه من غيري) فقرأت النساء حتى اذا بلغت (فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هَؤُلاءِ شَهِيداً)[2]. غمز لي رجل الى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه صلى الله تعالى عليه وسلم تسيل .

* وروى ابن ماجة في سنته عن عبد الرحمن بن السائب قال : قدم علينا سعد بن ابي وقاص وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت ؟ فأخبرته فقال مرحباً

يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن . وقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (إن هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا، فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا)[3].

أما سماعه صلى الله تعالى عليه وسلم الشعر فهو ليس مما يحتاج الى أثبات فقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم استمع الى حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول له (إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)[4].

وقد أنشد النابغة الجعدي :

ولاخيرَ في حُكـم إذا لـم يكن له ... بـوادر تحمـي صَفْوة ان يُكدرا

ولا خيـر فـي امـرٍ اذا لم يكـنْ له ... حكيمٌ اذا ما أوردَ الأمر أصدرا

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (احسنت يا ابا ليلى لا يفض الله فاك) فعاش النابغة اكثر من مائة سنة وكان احسن الناس ثغراً[5].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) سورة النساء، الآية ٤١ .

(٣) سنن ابن ماجة، ج١ ص٤٢٤.

(٤) عوارف المعارف للسهروردي، ص١٠٨.

(٥) سنن ابن ماجة، ج٢ ص٦١٢.

* وروى عن أنس بن مالك ان النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم مرَّ ببعض المدينة فاذا هو بجوارٍ يضربن بالدفوف ويتغنين ويقلن : نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار فقال النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم **(اللّٰه يعلم إني لاحبكن)**[1].

السماع عند من أجازوه

* أباح الجنيد البغدادي شيخ الطريقة وحامل لوائها السماع وانشاد القصائد الدينية ويرى ان رسول الله صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم قد سمع الغناء واذن به ولا حرمة في أمر يريح النفس ما دام ليس فيه ما يخالف الشرع، والغناء الديني يُقرّب العبد الى ربه ويشوقه اليه فله في ذلك ثواب اعظم وخير أوفر[2].

* الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره : تطرق الى السماع في كتاب الغنية وذكر باباً في آداب السماع بما لا يدع مجالاً للشك بجواز السماع عنده .

* ذو النون المصري رضي الله عنه : يرى ان السماع يبعث على الوجد ويرقق القلب ويعرج به الى الحق في حال صفائه ونقائه اذا كان صاحبه صادقاً (ويقول من يستمع الغناء طلباً للمتعة واثارة الشهوة فانه عمل غير جائز وصاحبه زنديق)[3].

* محيي الدين بن عربي رضي الله عنه : أوضح معنى السماع وأدابه ودوره كرياضة عملية في أثارة وجد السامعين كما أوضح درجات السامعين ومقاماتهم . وأكد على اجازته شرعاً .

* السهروردي رضي الله عنه : يرى إباحة سماع القصائد التي تذكر بالجنة والنار وتشوق الى دار القرار وتصف نعيم الملك الجبار مما يثير العزائم والوجد[4].

* أبو القاسم القشيري : أجاز السماع مستنداً في ذلك الى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فيقول في تفسير الآية الكريمة :(**فَبَشِّرْ عِبادِ . الذِينَ يَستَمِعُونَ**

---

(١) سنن ابن ماجة، ج٢ ص٦١٢.
(٢) السماع عند الصوفية، د. كوكب عامر. ص١٩٦.
(٣) الرسالة القشيرية، ج٢ ص٦٤٤.
(٤) عوارف المعارف للسهرودي .

الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)[1]. إن الله ذكر القول على وجه العموم ومعنى العمومية إن الغناء متضمن في القول لذلك فهو جائز ولا حرمة فيه أما الأشعار فمن الثابت انها أنشدت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه سمعها ولم ينكرها، فاذا جاز سماع الشعر بغير لحن فيجوز كذلك الحكم بأن تسمع الألحان ويروي القشيري في حفر الخندق إن الأنصار كانوا يحفرون فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا ابدا

فأجابهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم :

اللهم لا عيش لا عيش الآخرة   فاكرم الأنصار والمهاجرة

ويروى أن السلف الصالح وخيار الصحابة سمعوا الأبيات الشعرية بالألحان مثل الامام مالك واهل الحجاز كلهم أجمعوا على اباحة الحداء للأبل في المسير وهو نوع من الغناء .

* الحافظ بن طاهر المقدسي : أجاز السماع فقال إن الحلال ما أحله الله وروسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله وعلينا ان نقتدي بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وقد اعتمد في اجازة السماع على أدلة من الكتاب والسُنة، كما أستدل بما روي عن عائشة رضي الله عنها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سافر سفراً فنذرت جارية من قريش ان رده الله عز وجل أن تضرب في بيت عائشة بدف فلما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت الجارية فقالت عائشة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه فلانة بنت فلان نذرت إن رَدَّكَ الله تعالى ان تضرب في بيتي بدفٍ قال فلتضرب)[2]. ويقول صلى الله تعالى عليه وسلم (لا نذر في معصية) فلو كان الضرب بالدف معصية لما سمح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أن تفعل .

وكذلك أستدل بأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : قال ابن عبد الرحمن خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحج الاكبر حتى اذا كنا

---

(١) سورة الزمر، الآيات ١٧، ١٨.

(٢) أخرجه احمد وصححه الترمذي، ج٢ ص٢٧١.

بالروحاء كلّم الناسُ رباحاً بن المعترف وكان حَسن الصوت بغناء الأعراب فقالوا أسْمعنا وقصّر علينا الطريق فقال اني أفْرَقُ من عمر، فكلم القوم عمراً فقالوا إنا كلمنا رباحاً يسمعنا ويقصر عنا المسير فأبى إلا ان تأذن له فقال يا رباح اسمعهم وقصر عنهم المسير فاذا أسحرت فارفع وخذ لهم من شعر ضرار بن الخطاب، فرفع عقيرته يتغنى وهم مُحْرِمون[1].

السماع عند الغزالي

يفتتح الغزالي كلامه عن السماع فيقول (دل النص والقياس جميعاً على اباحته) ثم يفصل الغزالي فيقول : (اما القياس فهو ان الغناء اجتمعت فيه معاني ينبغي ان تبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات)[2].

ويقول الغزالي : اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس، اما النص فيدل على اباحته سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده اذ قال (يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ)[3]. فقيل هو الصوت الحسن . وفي الحديث (ما بعث الله نبياً الا حسن الصوت)[4]. وفي الحديث في معرض المدح للنبي داود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في مجلسه اربع مائة جنازة وما يقرب منها في بعض الاوقات . ثم يقول وقول الله تعالى : (إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ)[5] يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح بشرط ان يكون بالقرآن الكريم للزمه ان يحرم سماع صوت العندليب لانه ليس من القرآن .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي، ج٢ ص٢٧٠.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) سورة فاطر، الآية ١.
(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل.
(٥) سورة لقمان، الآية ١٩.

أما القياس فهو ان يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به، وللأنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وان مدركات تلك الحاسة ما يستلذ، فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة .

وللشم الروائح الطيبة وهي مقابلة المستكره، وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة، وللمس لذة اللين والنعومة وهي مقابلة الخشونة والضراسة، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة ولذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كاصوات العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها .

ثم يقول النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب، والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة :

أ. تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره .

ب. تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان او غيره كصوت العنادل والقمارى فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها، فسماع الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة وموزونة .

ولا يستثنى من هذه الا الملاهي والاوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان المنع للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكنها محرمة تبعاً لتحريم الخمر وذلك لعلل ثلاث احداها انها تدعو الى شرب الخمر، الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب انبعاث الشوق اذا قوى فهو سبب الاقدام، الثالثة الاجتماع عليها لما صار من عادة اهل الفسق فتمنع التشبه بهم .

جـ. الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع اباحته لانه ما زاد الا كونه مفهوماً غير حرام، والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم

الاحاد فمن اين يحرم المجموع ؟ .

ثم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالحان او لم يكن، والحق فيه ما قال الشافعي رحمه الله اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح .

ان الشعر على الرغم من ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينظمه كما جاء في الآيات الكريمة : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ)[1]، يبقى حقيقة انه قد انشد بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما اسلفنا بل وثبت تشجيعه للشعر وثبت كذلك بما لا يدع مجالاً للشك ان الامام *علي كرم الله وجهه* وهو وزير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد نظم الشعر نظماً ورجزاً مدحاً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاء لاعداء الاسلام وله في ذلك ديوان كامل مطبوع كما ثبت كذلك ان بضعة المختار فاطمة الزهراء رضي الله عنها قد قالت الشعر في رثاء ابيها صلى الله تعالى عليه وسلم في البيت المشهور

صُبَّتْ عليَّ مصائبُ لو انها　　صُبَّتْ على الأيامِ عُدْنَ لياليا

كما انشدت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

ذهب الذين يُعاشُ في اكنافِهم　　وبَقِيْتُ في خلفٍ كجلدِ الأجربِ

ولقد انشد الشعر كثير من الصحابة الا من لم يستطع قول الشعر فهو خارج عن القاعدة والبقية يقولون البيت والبيتين والقصيدة الكاملة، فمن الذي يقول بان الشعر حرام؟ اللهم الا ما كان غرضه قذف المسلمين وهجاؤهم .

وقد خلص الغزالي الى القول فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً .

---

(١) سورة يس، الآية ٦٩ .

اداب السمـــاع

ذكر المشايخ الكرام عدة اداب للسماع عند مُريدي الطرق نختار ما ذكره سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره في كتاب الغنية :

١- ينبغي الا يتكلفوا (اي الفقراء) السماع ولا يستقبلوه بالاختيار فاذا اتفق السماع فمن حق المستمع ان يقعد بشرط الادب، ذاكراً لربه يلقاه مشتغلاً بحفظ قلبه من طوارق الغفلة والنسيان .

٢- واذا كان في القوم شيخ حاضر في السماع، فالواجب على الفقير السكوت ما امكنه مراعاة لحشمة ذلك الشيخ فان ورد عليه امر غالب فيقدر الغلبة ويسلم اليه الحركة فاذا سكتت الغلبة فالاوْلى له السكوت مراعاة لحشمة الشيخ .

٣- ولا ينبغي للفقير ان يتقاضى القارىء ولا القوال ان استبدل القول الذي هو ادنى بالذي هو خير على ما هو عادة اهل الزمان فلو صدقوا في قصدهم وتجردهم وتصرفهم لما انزعجوا في قلوبهم وجوارحهم بغير سماع كلام الله عز وجل .

٤- وينبغي للفقير ان لا يتقاضى القارىء والقوال بالتكرار والاعادة بل يكل ذلك الى الحق سبحانه ان شاء قيض من ينوب عنه في التقاضي أو يَهمّ القوال بالتكرار اذا كان الفقير المستمع صبادقاً وله التكرار دواء مصلحة .

وقد ذكر الامام الغزالي اداباً اخرى للسماع منها :

١- مراعاة الزمان والمكان والاخوان ومعناه لا يجوز الاشتغال به في اوقات معينة مثل حضور الطعام او الصلاة، ولا يجوز ان يكون في شارع واذا حضره رجل متكبر من اهل الدنيا .

٢- ان يكون مصغياً الى ما يقول القارىء حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزاً عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من الوجد .

٣- ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه .

٤- موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء .

٥- ان يوافق اشارات الشيخ في الهدوء والسكينة او القيام اذا قام وان لا يغيب عن النظر الى الشيخ دائماً .

الباب السابع

❖ اعلام الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
- السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني
- السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني
- السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني
- السيد الشيخ حسين الكسنزاني
- السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني

❖ السبحة حبل النجاة
❖ اوراد الطريقة الكسنزانية
❖ التكية بيت الذكر
❖ سلسلة مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
❖ سلسلة النسب الشريف
❖ نداء الى الناس جميعاً

الدنيا ناعمة الملمس حادة الأسنان سامة اللسان، رأس مالنا فيها العبادة

السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني (قدس الله سره)

اعـــلام

الطريقة العلية القادرية

الكسـنزانية

السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني قدس الله سره

هو شيخ الشيوخ القنديل النوراني والهيكل الصمداني غوث الأنس والجان محيي السنة والدين باز اللّه الأشهب، حضرة الغوث عبد القادر الكيلاني السيد الشريف وِلِدَ من أبوين زاهدين وكان ابوه من الاشراف السيد عبد الله الزاهد بن يحى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن *الحسن* بن *علي بن ابي طالب* كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين . والدته الكريمة هي ام الخير أُمة الجبار فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد بن الامام جمال الدين السيد محمد بن الامام السيد محمود بن الامام أبي العطاء عبد الله بن الامام كمال الدين عيسى بن الامام السيد أبي علاء الدين محمد الجواد بن الامام *علي الرضا* بن الامام *موسى الكاظم* بن الامام *جعفر الصادق* بن الامام محمد *الباقر* بن الامام علي زين *العابدين* بن الامام *الحسين* بن الامام *علي بن ابي طالب* كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين .

ونقل عنها أنها كانت تقول لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديُهُ نهار رمضان، وغمّ على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه فقلت لم يَلقم اليوم ثدياً، ثم إتضح ان ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ذلك في بلاد جيلان، انه وِلِدَ للاشراف وَلَدٌ لا يرضع في نهار رمضان وقيل ان أمه حملت به وهي بنت الستين سنه ويقال لا تحمل لستين سنه إلاّ قريشية ولا تحمل لخمسين إلاّ عربية .

ولد شيخنا قدس الله سره سنة (٤٧٠هـ) الموافق (١٠٧٧م) في قصبة من بلاد جيلان وهي بلاد متفرقه وراء طبرستان، وقال العلامة الشيخ شمس الدين الدمشقي ولد ببلدة الجيل سنة سبعين واربعمئة للهجرة، وقال الجيل موضعان أحدهما أسم لصقيع واسع مجاور لبلاد ديلم مشتمل على بلاد كثيرة، والآخر بلدة الشيخ عبد القادر . وكان أبوه من جملة مشايخ جيلان وكان مجاب الدعوة واذا غضب إنتقم الله عز وجل سريعاً واذا أحب أمراً فعله الله عز وجل كما يختار وكان مع ضعف قوته وكبر سنه كثير النوافل

دائم الذكر، ظاهر الخشوع صابراً على حفظ حاله ومراعاة أوقاته و قد كان يُخبِرُ بالامر قبل وقوعه ويقع كما يخبر .

بدايــة رحلتــه

تربى الشيخ عبد القادر قدس الله سره في هذه العائلة الزاهدة العابدة حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره فطلب من أمه رضي الله عنها أن تَهِبَهُ لله عز وجل ففعلت، وخرج قادماً الى بغداد موطن اهل العلم، وذكر صاحب قلائد الجواهر انه لما دَخلَ الى بغداد وقف له الخَضر عليه السلام ومنعه الدخول وقال له ما معي أمرٌ ان تدخل إلاّ بعد سبع سنين فأقام على الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح حتى صارت الخضرة تبين من عنقه ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب يا عبد القادر ادخل الى بغداد، فدخل وكانت ليلةٌ مطيرة باردة فجاء الى زاوية الشيخ حماد الدّباس فقال الشيخ إغلقوا باب الزاوية واطفئوا الضوء، فجلس الشيخ عبد القادر على الباب فألقى الله تعالى عليه النوم فنام، فلما كان عند الصبح فتح الباب فدخل الشيخ عبد القادر فقام اليه الشيخ حماد فأعتنقه وضَمَهُ اليه وبكى وقال له يا ولدي عبد القادر الدولة اليوم لنا وغداً لك فإذا ولَيت فاعدُل بهذه الشيبة .

سلوكــه طريـــق التصـوف

أخذ رضي الله عنه الخرقة الشريفة ولبسها من القاضي ابي سعيد المبارك المخرمي وكان الشيخ المخرمي في ذلك الحين شيخ الطريقة ومجمع اهل الحقيقة وقد أخذها عن الشيخ علي الهكاري واخذها عن الشيخ ابي فرج الطروسي واخذها عن الشيخ عبد الواحد اليماني واخذها عن الشيخ ابي بكر الشبلي واخذها عن الشيخ الجنيد البغدادي واخذها عن الشيخ السري السقطي واخذها عن الشيخ معروف الكرخي واخذها عن الشيخ داود الطائي واخذها عن الشيخ حبيب العجمي واخذها عن الشيخ الحسن البصري واخذها من بحر الطريقة ومجمع اهل الحقيقة سيدنا الامام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين واخذها عن السيد السند العظيم سيدنا محمد صلى

الله تعالى عليه وسلم واخذها سيدنا الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل عليه السلام واخذها من الحق جل جلاله وتقدست أسماؤه .

مدرستــــه

وكان لأبي سعيد المخرمي مدرسة لطيفة في باب الازج ففوضت الى سيدنا عبد القادر الكيلاني قدس الله سره فتكلم فيها على الناس بلسان الوعظ والتذكير، وظهرت له كرامات وَصيتٌ وقبول وضاقت المدرسة بالناس من ازدحامهم على مَجلسه، ومن كثرة الازدحام والضيق كان يجلس للناس عند السور مستنداً الى باب الرباط على الطريق، ثم وسعت بما اضيف اليها من المنازل والامكنة التي حولها وبذل الاغنياء في عمارتها أموالهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم .

واكتملت المدرسة في سنة (٥٢٨هـ) وصارت منسوبة اليه وتصدرها للتدريس والفتوى والوعظ مع الاجتهاد في العلم والعمل .

وكان لسعة علمه يفتي على المذاهب الأربعة وقُصدَ بالزيارات والنذور من جميع الاقطار والبلاد واجتمع عنده بها من العلماء والصلحاء فحملوا عنه وسمعوا منه وانتهت اليه تربية المُريدين في العراق واختلفت الالسن ببدائع اوصافه .

وتخرج في مدرسته عدد كبير من الاولياء والعلماء وانتشروا في أرجاء المعموره يحملون تعاليمه السديدة بأرشاد الخلق وقد تاب على يديه معظم أهل بغداد واسلم معظم اليهود والنصارى، وكان يصدع بالحق على المنبر وينكر على من يولي الظَلَمه .

ولما ولى المقتفي لأمر الله امير المؤمنين القاضي يحى بن سعيد المشهور بأبن المزاحم الظالم قال الشيخ على المنبر ولّيت على المسلمين اظلم الظالمين، ما جوابك غداً عند ربّ العالمين أرحم الراحمين ؟ فأرتعد الخليفة وبكى وعزل القاضي المذكور لوقته .

كتبــه ومؤلفاتــــه

وله مؤلفات كثيرة مثل كتاب الغنيه، المواهب الرحمانية، تفسير القرآن الكريم، الرسالة الغوثية، تنبيه الغبي الى رؤية النبي، سر الاسرار في التصوف، فتوح الغيب

يواقيت الحكم، الفتح الرباني والفيض الرحماني، رسالة الوصايا، الفيوضات الربانية .

انتقالـــه

إنتقل الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره بعد ان قضى عمره بالطاعة والعبادة ببغداد ليلة السبت الثامن من شهر ربيع الآخر سنة (٥٦١هـ-١١٦٥م) .

ودفن في الليل بمدرسته بباب الأزج ببغداد ولكثرة الازدحام ولم يبق أحدٌ إلاّ جاء وامتلأت الحلبه والشوارع والاسواق والدور فلم يتمكن من دفنه في النهار رضي الله تعالى عنه .

منزلتـــــه

لقد أعطي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ما لم يُعط غيره من درجات القرب والتكريم فقد اعطي التمكين والتصريف وخضع له اكابر الاولياء ورجع اليه العارفون بالله وزفته العناية الالهية زفافاً يُشعِر بعظيم جلالته وحُمِل بين يديه عَلَم القطبية وتوج بتاج الغوثية وأُلبسَ خلعة التصريف العام النافذ في جميع الوجود ومشت اكابر الاولياء من الصديقين والبدلاء تحت ركابه بأمر الأله المعبود وجمع بين علمي الظاهر والباطن ولم يبق أحدٌ ممن عُقد له لواء الولاية في اقطار الارض ادناها واقصاها إلاّ وشاهد ذلك وخضع له وسمع الشيخ عبد القادر قدس الله سره يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي ووضع رأسه وذلّلَ قلبه له في وقت واحد حتى الابدال العشرة .

كراماتــــه

* روي من طرق كثيرة بروايات شهيرة عن جماعة من المشايخ الاكابر والعلماء الافاضل والاخيار والثقات انه قال قدس الله سره في مجلسه وهو على الكرسي يتكلم على الناس قدمي هذه على رقبة كل ولي لله وكان في مجلسه حينئذ عامة مشايخ العراق منهم الشيخ ابو النجيب السهروردي والشيخ قضيب البان الموصلي والشيخ ابو السعود احمد بن ابي بكر العطار وغيرهم ولم يبق في ذلك الوقت من الحاضرين

والغائبين في جميع آفاق الارض الا حنى رقبته إلا رجلٌ بأصبهان فانه لم يفعل فسلب حاله .

* وروي بالاسناد عن الشيخ عبد القادر قدس الله سره العزيز انه قال حججت اول ما حججت بغداد وانا شاب على قدم التجريد وحدي فلما كنت عند المنارة المعروفة بأم القرون لقيت الشيخ عدي بن مسافر وحده وهو شاب يومئذٍ فقال الى اين ؟ قلتُ الى مكة، قال هل لك في الصحبة ؟ قلت اني على قدم التجريد، قال وانا كذلك فسرنا جميعاً فلما كنا ببعض الطريق اذا نحن بجارية حبشية نحيفة البدن مبرقعة فوقفت بين يدي وحدّقت النظر في وجهي وقالت من اين أنت يافتى قلت من العجم قالت قد اتعبتني اليوم قلت ولِمَ ؟ قالت لاني كنت الساعة في بلاد الحبش واشهدت ان الله تعالى تجلى على قلبك ومنحك من وصله مالم يمنح بمثله غيرك فيما اعلم فأحببت ان اعرفك ثم قالت أنا اليوم اصحبكما وافطر الليلة معكما قال فَجَعلتْ تمشي في جانب الوادي ونحن نمشي في الجانب الاخر فلما كان العشاء إذا نحن بطبق نازل من السماء فلما استقى بين أيدينا وجدنا فيه ستة ارغفة وخلاً وبقلاً فقالت الحمد لله الذي اكرمني واكرم ضيفي انه ينزل عليَّ كل ليلة رغيفان فأكل كل واحد منّا رغيفين ثم نزل علينا ايضاً ثلاثة اباريق فشربنا منها ماءً لا يشبهه ماء الارض لذة وحلاوة ثم ذهبت عنا في ليلتها تلك .

* وقال قدس الله سره كنت في زمن مجاهدتي اسمع قائلاً يقول لي يا عبد القادر ما خلقت للنوم قد احببناك ولم تك شيئاً فلا تغفل عنا وانت شيء .

* وقال ايضاً والله ما أكلت حتى قيل لي بحقي عليك كل ولا شربت حتى قيل لي بحقي عليك اشرب وما فعلت شيئاً حتى امرت بفعله .

* وعن عدي بن مسافر رضي الله عنه قال امطرت السماء مرةً والشيخ محيي الدين عبد القادر قدس الله سره يتكلم فتفرق بعض اهل المجلس فرفع رأسه نحو السماء وقال انا اجمع وانت تفرق ؟!! فسكن المطر عن المجلس وبقي على حاله يسقط خارج المدرسة ولا يقطر على المجلس قطرة .

* قال الشيخ ابو القسم عمر بن مسعود البزاز جاء شيخٌ ومعه شاب الى الشيخ محيي الدين عبد القادر قدس الله سره وقال له ادع له فأنه ولدي ولم يكن ولده بل كانا على سريرةٍ غير صالحه فغضب الشيخ وقال قد بلغ امركم معي الى هذا الحد ؟ اودخل داره فوقع الحريق في ارجاء بغداد من وقته وكلما أطفأ مكانٍ اشتعلت النار في مكان آخر، قال ورأيت البلاء نازلاً على بغداد كقطع الغمام بسبب غضب الشيخ محيي الدين عبد القادر قدس الله سره فأسرعت بالدخول عليه فوجدته على حاله مغضباً فجلست الى جانبه وجعلت اقول له يا سيدي إرحم الخلق قد هلك الناس حتى سكن غضبه فرأيت البلاء قد إنكشف واطفأ الحريق كله .

* قالوا زادت دجلة في بعض السنين حتى اشرفت بغداد على الغرق فأتى الناس الى الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله سره يستغيثون به فأخذ عُكازَهُ وأتى الى الشط وركزه عند حد الماء وقال الى هنا فنقص الماء من وقته .

* وقال عمر البزاز خرجت مع سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره الى الجامع يوم الجمعة الخامس عشر من جمادي الاولى سنه ستٍ وخمسين وخمسمائة فلم يسلم عليه احد فقلت في نفسي يا عجباً نحن كل جمعة لا نصل الى الجامع الا بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ فلم يتم خاطري حتى نظر اليَّ الشيخ مبتسماً وهرع الناس الى السلام عليه حتى حالوا بيني وبينه فقلت في نفسي ذاك الحال خيرٌ من هذا الحال فألتفت إليَّ مسابقاً لخاطري وقال يا عمر انت الذي اردت هذا، اما علمت ان قلوب الناس بيدي إن شِئتُ صرفَتها عني وان شِئتُ أقبلتُ بها اليَّ .

وكرامات الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره كثيرة لا تعد ولا تحصى ولو حاولنا ذكرها لاشتملت عليها مجلدات عديدة ولكننا آثرنا ان نُذكِّر القارىء الكريم ببعض منها وله ان يرجع الى الكتب التي تحوي كراماته اذا اراد الاستزاده .

السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني قدس الله سره

ولد حضرة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الشاه الكسنزاني قدس الله سره عام (١٢٤٠هـ) في المنطقة الشمالية من العراق وعرفت الطريقة الكسنزانية بهذا الاسم نسبة اليه، وكان شاباً متوقد الذهن مقبلاً على الله بكل ما أوتي من عزم وهمة وكان نموذجاً رائعاً وقدوة مثلى وشعلة وهّاجة تبدد الظلام ونبراساً يضيء الدرب امام السالكين سائراً على هدي جَده سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لترسيخ القواعد الاسلامية وبناء النفس البشرية على الاسس الروحيه للقرآن الكريم فأقبل على ربه بكل ما أوتي من عزم وايمان نابذاً وراءه كل ما يشغله عن ذكر ربه من الامور الدنيوية فبعد ان أخذ البيعة من خاله الشيخ عبد القادر قازان قاية اعتزل الناس وانفرد بمناجاة ربه ذاكراً لله متأملاً في خلقه محققاً الوصول الى القرب من حضرته جل وعلا سالكاً طريقاً ما سبقه اليه احد قبله فمكث في خلواته الفاً وستمئة يوم يمارس مختلف المجاهدات ترقية لنفسه وسمواً بها الى عالم الحق والتجلي .

لقد تحققت النبوءة التي بُشرَ بها ابوه قبل ان يتزوج بعدة اعوام بأنه سيُرزَقُ مولوداً يكون محيياً للدين، ورمزاً لتوجيهات الهية قدسية، وواجهةً لخلفية محمدية ملحة، ونبراساً مضيئاً يُوقَد بفيض من اسرار المعاني القرآنية وقيم الاسلام المؤصلة وركائز المداولة الالهية للايام وقوانين السنن الكونية الداعمة والخارقة .

ظهرت بدايات سلوكه ومجاهداته في شبابه حيث اعتكف بخلوة في جبل (سه كرمة)، اختفى عن انظار الناس ولم يعلم احد مكانه طيلة مكوثه في خلوته مدة اربع سنوات يقتات من ورق النباتات وقطع الطين النقية، جالساً نهاره يذكر الله، قائماً ليله وَجِلَ القلب راكعاً ساجداً متقرباً الى ربه جل وعلا .

لقد أميط اللثام عن السر المكتوم سر اختفاء هذا الغوث الذي اعتقد كل الناس انذاك بأنه قد مات ولكن لله في خلقه شؤون حيث انعم الله على اخيه برؤية عرف منها مكان اختفاءه وخلوته، فنهض الاخ مسرعاً متلهفاً لرؤيته قاصداً الغوث المرشد الى ان

انتهى اليه فتعجب لما رأى وكادت روحه ان تزهق، وحين سأله عن طعامه طيلة فترة مكوثه فناوله قطعة من الطين الاحمر مخلوطة بقطع من ورق الاشجار فأشار اليه ان يأكلها فما ان اكلها الاّ ان احس بلذة حلاوة ما بعدها لذة وبقي مدة اسبوعين مكتفياً من الاكل لا يشعر بجوع ورمق .

لقد عُرف السيد الشيخ الغوث عبد الكريم بلقب (شاه الكسنزان) والتي تعني (سلطان الغيب)، قال تعالى : (الم. ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)(1) وقد اقترن اسم الطريقة العلية القادرية به فسميت من زمانه الى يومنا هذا بـ (الطريقة العلية القادرية الكسنزانية) .

استقر السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان في قرية (كربچنه) في شمال العراق واصبحت مركزاً لارشاده الديني، فبنى بها التكايا وأنشأ المدارس الدينية واصبحت بحق قبلة كل المريدين والاتباع ومنبراً للعلم والنور ومقصداً لطلاب الحق والحقيقة من كل بقاع العالم .

صفـاتــه

كان الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني رجلاً تقياً متصوفاً كثير الزهد والورع وكانت سيرته جهاداً دائماً للنفس وتجريداً للجسد من جميع الصفات المذمومة والتمسك الشديد بسنة الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم فأتخذ المجاهدة نهجاً له وامر مُريديه ان ينهجوا نهجه الشريف في المجاهدة والتطهير والصفاء حتى يصبح الواحد منهم كومة من تراب يطأ عليها البر والفاجر وهي لا تنبت إلاّ الطيب وكان يكرر في قوله حديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

---

(1) سورة البقرة، الآيات ١، ٢، ٣ .

اقوالــه قـدس الـلـه ســره

* قال قدس الله سره ياولدي ان الدنيا خيال وما فيها الى زوال هَمُّ ابناء الدنيا الى دنياهم وهَمُّ ابناء الآخرة آخرتهم إياك والدعوى الكاذبة .

* وقال ايضاً ما اكلت تَفنيه وما لبست تبليه وما عملت من خيرٍ أو شرٍ تلاقيه والتوجه الى الله حتم مقضي وفراق الأحبة وعد مأتيٌ .

* وقال ايضاً الدنيا اولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور، فاربط قلبك بالله واعرض عمّا سواه، واجعل سلوكك في طريق الفقراء واستقم على قدم الشريعة واحفظ نيتك من دنس الوسواس وامسك القلب عن الميل الى الناس وكُلْ خبزاً يابساً وماءً مالحاً من باب الله ولا تأكل لحماً طرياً وعسلاً من باب غير الله وتمسك بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال .

ايها المُريد إياك من كسر قلوب الفقراء وصِلِ الرحم واكرم الاقارب واعف عمن ظلمك وتواضع لمن تكبر عليك اكثر من زيارة الفقراء ومصاحبتهم وقم بقضاء حوائج اليتامى واكرمهم .

بعد ان ارسى قواعد الطريقة واحياء سنة الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم واعاد مجد الاسلام اختير سلطان الغيب السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني الى جوار ربه عام (١٣٢٠هـ) واجاز بعده الجلوس على سجادة المشيخة ولده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني .

كراماتـــــه

* بينما كان الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني جالساً في احد مجالس التصوف ذات يوم، رأى أحد الطيور الجارحة وهو يهاجم عصفوراً صغيراً ليأكله فرفع الشيخ يده وقال للعصفور تعالَ أحميك منه واذا بالعصفور يلقي بنفسه في يد الشيخ قُدس سره.

* كان احد أتباعه مُريداً زاهداً إذ طلب ذات مرة من حضرة الشيخ ان يرى الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم في المنام لانه كان في غاية التشوق لرؤيته، فقال له الشيخ إن

الوصول الى حضرة الرسول صلى اللّه تعالى عليه وسلم ليس بالامر اليسير، فأذهب الى كهف كذ في جبل كذا فلما دخل المُريد الكهف رآه مليئاً بالذهب وبالاشياء الثمينة فقال له الشيخ اني اعلم بأنك رجل فقير الحال، خذ من الذهب ما تصبح به غنياً وتنجو من الفقر الذي انت فيه فهذا مال الله، قال المُريد اني اشتغلت بمجاهدة نفسي مدة عشرين سنة ولن ابدل الآخرة بالدنيا وأني راضٍ بفقري ولا اطلب الغنى، فيقول له الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني قدس الله سره نجحت في الامتحان، ثم هذه الليلة فتتشرف بحضور سيد الكائنات صلى اللّه تعالى عليه وسلم فنام المُريد واذا بحضرة الرسول الاعظم صلى اللّه تعالى عليه وسلم يُشرف المُريد بحضوره ويقول له (إدنُ مني لقد انتخبك ابني عبد الكريم لتحظَ برؤيتي) .

* توجه رجل يهودي الى قرية كربچنه في زمن الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني ظاناً أنه يجد عند الشيخ الشاه الكسنزاني علم السيمياء لتحويل المعادن الى ذهب دون ان يعلن سبب مجيئه وذات يوم بينما كان الشيخ ذاهباً الى حوض الماء الذي كان يتردد عليه للوضوء والصلاة الواقع خارج القرية رأى اليهودي في طريق فقال له إن الذي أتيت من اجله ليس هدفنا ولكن إنظر الى الصخرة التي امامك فأشار اليها الشيخ بأصبعه فتحولت الى ذهب خالص وقال خذها واذهب فتعجب اليهودي من ذلك وسأل الشيخ لماذا لا يستعمل هذا العلم للعيش برخاء فأجاب الشيخ إننا لو رغبنا في ذلك لما منحنا هذه الرتب . فأسلم اليهودي وتاب على يد حضرة الشيخ ... وهكذا إنصرف الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني كلياً عن ملذات الدنيا وترفها وبذخها فعوضه اللّه تبارك وتعالى عن ذلك بعلم من لدنه الذي كان يحول به الاشياء الى ذهب خالص متى شاء ولكنه زاهد فيها ومستغنٍ عنها بالقرب من جناب الحضرة الألهية .

* توجه الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني الى برزنچة لزيارة اجداده وحينما وصل الى مشارف القرية إستقبله عدد كبير من أهالي برزنچة بما فيهم العلماء ورجال الدين فلما رآه أحد العلماء قال في نفسه كيف يكون شيخاً مثل الشاه الكسنزاني بلا لحيةٍ ولما إنتهى الشيخ من زيارة اضرحة أجداده وهو محاط بعدد كبير من المُريدين

والزوار توجه بنظره الى ذلك العالم وقال له يا ملا إن اللحية ليست هي اصل العبادات وعمدتها بل العبادة في اخلاص النية لله والعمل والتقوى والجهاد في سبيل اللّه .

* ولما كان القحط قد وقع في سنة من السنين وكان الناس يموتون جوعاً ذهب الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني الى قرية مجاورة ليشتري حاجته من الشعير وكان معه إبن اخته فقال له يا خالي لا شك إنك من أقطاب دهرك فلم لا تطلب من الله ان يغنينا ويعطينا مالاً في هذه السنة التي يموت فيها الناس من الجوع ؟ فلما سمع الشيخ كلامه أشار بعصاه الى حجر كبير في الطريق فأنشق الحجر وخرجت منه مجموعة من الليرات الذهبية فقال ابن اخته كفانا يا خالي لقد اصبحنا اغنياء عندئذٍ ضحك الشيخ وأشار ثانية الى الحجر فأختفت بداخله الليرات الذهبية وقال يا بني تكفينا حقة الشعير أمّا الذهب فأنه لاهله وطلابه .

* كان عند الشيخ خادم يخدمه وذات ليلة ذهب الشيخ بعد منتصف الليل الى الجبل للتعبد وذهب الخادم اليه فرأى الشيخ يصلي وبالقرب منه حجر كبير يصلي معه فجلس الخادم بالقرب منه واذا بطائر مثل الحمامة يهبط ببطء امامه يتكلم بلغةٍ لم يفهمها، فمسح الشيخ عبد الكريم رأس الطير بيده واجابه بلغته، ولما رأى الشيخ خادمه جالساً بجواره قال له لا تفشِ هذا السر الاّ من بعد موتي .

* حكي عن رجل انه قال كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة (١٩٦٧م) فراجعت الاطباء مدة طويلة ولكن بدون جدوى وكان والدي احد مُريدي الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قد بلغ من العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف قال لي يوماً ياولدي اطلب الاستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني واقرأ له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة ففعلت ما أمرني به والدي ونمت في تلك الليلة فرأيت رجلاً يقول لي لِمَ ناديتني يا بني ؟ قلت له من انت ؟ قال لي انا الشيخ عبد الكريم الكسنزاني ثم مسح بيده على بطني وقال لي قم معافى مشافى بأذن الله فأستيقظتُ من النوم ولم يبقَ بي من أثر المرض الخطير شيء .

السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره

عرف السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره بجهادة المتواصل وكراماته العديدة فكان غوثاً وزاهداً قد اشتهر بالحلم والكرم والسخاء والعطف على الأيتام ومساعدتهم ورعايتهم رعاية تامةً وذلك تبعاً لقوله تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)[1]، وخلال الحرب العالمية الاولى هاجر الغوث عبد القادر قدس الله سره مع اسرته وجمعٍ من المُريدين الى أيران بعد ان كادت الشعوب الأيرانية تنسى امور دينها عائدين الى جاهليتهم .

فقد اشرقت ارض ايران بنور هذا الغوث العظيم الذي أنارَ المنطقة بأجمعها وثبّت الأيمان في قلوبهم وبَعثَ فيهم نور الاسلام من جديد، وكان يعلمهم اخلاق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته الشريفة وافعاله الكريمة حتى اصبحت انوار الطريقة ساريةً في جميع بقاع إيران، وبقي قدس الله سره في إيران حتى إنتقل الى جوارربه عام (١٣٤٠هـ) ولذلك اطلق عليه لقب (الغوث المهاجر في دين الله) إسوةً بهجرة جده المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنوره وخلّفَ الغوث المهاجر بعده على مشيخة الطريقة ولدهُ السيد الغوث السلطان حسين الكسنزاني ونزولاً عند رغبة المُريدين والحاحهم اعيدت جنازته الى العراق ودفنت في قرية كربچنة .

اقوالـــــه

ومن مواعظه قدس الله سره كان يقول ايها المُريد إلبس ثوب التوبة قميصاً نقياً صافياً فمن لم يكن متشرعاً متحققاً عفيفاً فأنه ليس من مُريدينا فعلى مُريدنا ان يكون ملازماً للشريعة والطريقة والزهد والورع وقلة الطمع .

وقال قدس الله سره إن من كظم غيظه وعفى عمن ظلمه وآذاه رقاه الله الى مراقي الرجال، وقال قدس الله سره العزيز اذا اردتم ان تغتابوا أحداً فأغتابوا والديكم فأنهما أحق بحسناتكم من غيرهم .

---

(١) سورة الضحى، الآية ٩ .

وقال ايضاً إياكم والدعاوي الكاذبة فأنها تسود الوجوه وتعمي البصر، إياكم ان يدعي احدكم انه من الصالحين وهو يقع في الافعال الرديئة ويأكل من طعام اهل الرشاوي والربا والظلم واعوانهم إذ لا يكون من الصالحين من يقع في الكذب والغيبة والوقيعة بين الناس في اعراضهم، وكيف يطلب ان يكون عند الله صادقاً وهو يقع في المتاهات إياك وادعاء المشيخة وانت تعصي ربك، فأن الله سيقول لك أما تستحي من دعوة القرب مني وأنت لم تغسل ثيابك المدنسة لمجالستي، أنت تملأ بطنك من الحرام وتنقل اقدامك الى الآثام وانت مدعٍ كاذب .

ورعـــه

وكان من ورع الشيخ عبد القادر قدس الله سره عندما سكن في ايران في قرية تعود ملكيتها لعائلة فقيرة وقد اغتصبها احد الأقطاعيين انه حرم على نفسه حتى شرب الماء من تلك القرية او استعماله لأي من حاجياته اليومية واكتفى بماء يذاب من الثلج طيلة السنين التي عاشها فيها، لأنه اعتبر ماء القرية حراماً مغتصباً من صاحبه الشرعي .

كراماتـــه

كان للشيخ عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره كرامات كثيره ومشهوره :

* كان أحد الاقطاعيين الظالمين قد اعتدى على رجل من آل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب السيد المعتدى عليه الى الشيخ واشتكى له ظلم الظالم فقال له الشيخ الجليل مهلاً ان الله يمهل ولا يهمل وان الله بالمرصاد لكل الظالمين ستبقى انت عندنا وستوصل الشكوى الى جدنا سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد فترة قصيرة بدّل الله جميع مظاهر جسد الظالم الى جسد إمرأة وقد برزت عليه أثدية وتغير صوته وملامح وجهه وقد حاول الرجل معالجة نفسه بشتى الوسائل دون جدوى واخيراً لم يبقَ له سوى الالتجاء الى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني فجاءه يبكي ويتوسل اليه ويقول هذه ضربةٌ منك يا شيخ عبد القادر لانني كنت معتدياً على ذلك الرجل ولم يزل يتوسل اليه حتى قال له الشيخ قدس الله سره تب

الى الله توبة صادقة لا رجعة بعدها الى الظلم فأن الله غفور رحيم، فتاب توبةً نصوحاً عادت بعدها اليه حالته الطبيعية .

* ومن كراماته ايضاً ان اقطاعياً ظالماً كان قد سلب بقرة من رجل فقير، فذهب الفقير الى الشيخ واشتكى فطلب الشيخ من الظالم ان يرد البقرة للرجل ولكن الظالم أبى، وقال له لا استطيع رد اموال مثل هؤلاء الذين هم مثل العبيد بالنسبة لنا، فلما سمع الشيخ كلام الظالم أنكره واحمر محيياه من الغضب وقال له ايها الظالم ان الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين رئيس ومرؤوس لا غني ولا فقير الا بالتقوى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[1]، اما انت ايها الظالم فلن يصلح حالك حتى يطلع القرن من رأسك وتأكل من فضلات الكلاب، اذهب والله المنتقم، ولم تمضِ فترة طويلة حتى مرض الظالم وظهر على رأسه قرنان كقرون الحيوانات ودُمّل رأسه وتعفن من القيح فندم على ما فعل واستغاث قائلاً أحملوني الى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني إن هي إلاّ ضَربةٌ منه، ولما جيء به الى الشيخ ضار يبكي ويتوسل ويقول يا ابن رسول الله عالجني، فقال له الشيخ تب توبةً لا رجعة بعدها وعاهد الله ان ترد المظالم فستعود مشافى بأذن الله وبعد توبته على يد الشيخ وتعهده بترك الظلم طيلة حياته اصبح مشافى ومعافى .

* رأى احد الروسيين في جمهوريات الاتحاد السوفيتي حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني في المنام فحصل لديه الجذب الروحي من قبل حضرة الشيخ فنهض متوجهاً الى العراق وكان يرى في طريقة اشارات نورانيه تهديه الى الطريق حتى وصل الى السليمانية فألقى القبض عليه من قبل جماعات الشيخ محمود الحفيد وأتهم بالتجسس وحكم عليه بالاعدام وقبل تنفيذ الحكم به رأى الشيخ محمود الحفيد حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني في المنام فأمره بأطلاق سراحه لكونه احد المُريدين المنجذبين الى حضرته فأطلق سراحه وأرسل معه رجلين من اتباعه فلما وصل الى الشيخ قادر أسلم وتاب على يديه فسماه الشيخ قادر سيف الله وامر بتعليمه امور الدين والطريقة ولا تزال ذرياته باقية في السليمانية وسجل اسمه في

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

دائرة النفوس بأسم سيف الله شيخ قادر .

* بينما كان الشيخ عبد القادر الكسنزاني ماشياً رأى في طريقه عصفوراً ميتاً وكان معه عدد من مُريديه واتباعه فأمر أحد مُريديه بجلب ذلك العصفور اليه فلما جيء به الى حضرته قال هذا ليس بميت وانما نسي تسابيحه فهمس في اذنه ثم نفخ عليه فطار العصفور .

* بينما كان احد الفلاحين عائداً بثيرانه من الحقل بعد انتهاء العمل خرج احد الثيران من الطريق وتوجه الى مكان تواجد حضرة الشيخ قادر فلبث فترة مطرقاً رأسه ثم رفعه شاكياً صاحبه بلسان الحال فلما تبعه صاحبه قال الشيخ قادر ان ثورك هذا يشكو من أنك تحمله اكثر من طاقته فأرأف به، هكذا يجب ان يكون شيخ الطريقه قدوةً في الرحمة والشفقة والرأفة بالحيوان الذي لا حول له امام الأنسان .

* حينما اشتد الخلاف بين سكان مدينه مريوان وعشيرة الهواريين ارسل الشيخ عبد القادر الكسنزاني ولده الشيخ عبد الكريم الكسنزاني للأصلاح بينهما وكان شاباً في ذلك الوقت واثناء جلوس الطرفين للتفاهم والمناقشة حول السبل التي تحقق السلام بينهم إشتد الخلاف بينهما مرةً اخرى واستأنف القتال والتجأ كل طرف الى سلاحه وحاول إطلاق النار فوجدوا أن بنادقهم لا تعمل فعجبوا من ذلك وعلموا انها من كرامات الشيخ فأقبلوا يقبلون يد الشيخ عبد الكريم ويطلبون السماح والعفو منه وتم الاصلاح بينهم فأصبحوا أخواناً .

* مما ذكر عن كراماته ان رجلاً متكبراً كان يناصب العداء لمُريد فقير كثير الذكر لله وكان يقول إن هذا المُريد ينبح مثل الكلب، فلما سمع السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني هذا الكلام قال اللّهم اجعل هذا الظالم ينبح مثل الكلب وبعد فترة جُن الرجل وصار يعوي وينبح مثل الكلب امام الناس وبدون ارادة ثم جاء به اهله الى الشيخ قدس الله سره متوسلين اليه فقال له الشيخ الجليل يا طاغي أيكفيك ما انت فيه كيف تجرؤ على تمثيل ذكر اللّه بنباح الكلاب، هذه ارادة الله المنتقم تب الى الله واترك الظلم، فتاب وشفي على اثر توبته ثم اصبح بعد ذلك من المُريدين الذاكرين

كثيراً، ومثل هذه الامور التي تروى عن الشيخ عبد القادر الكسنزاني كثيرة جداً حيث تاب المئات من الطاغين على يده واصبحوا نادمين على ظلمهم وغدوا رجالاً صالحين.

* كان يسكن في قرية كربچنة شرطي تركي الاصل وكان يتردد كثيراً على حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره وحدث ان توفيت زوجته فحزن عليها كثيراً والتجأ الى الشيخ السلطان عبد القادر الكسنزاني وهو يحمل القرآن الكريم حيث توسل به لدى حضرته قائلاً انشدك بحق هذا القرآن الكريم يا سلطان عبد القادر ان تدرك زوجتي فقد ماتت وما ان رآه الشيخ على هذه الحال حتى نهض من مقامه مسرعاً حافي القدمين تعظيماً للقرآن وهو يقول اين هي ؟ فسار الرجل امامه حاملاً القرآن والشيخ يتبعه حتى وصل الى بيت الرجل فوجدهم يغسلونها فأمر بتغطية جسدها وترك عينيها مكشوفتين ثم تقدم نحوها واشار الى وجهها بعصاه المباركة قائلاً إنها ليست ميتة إن شاء الله وكرر ذلك ثلاث مرات ففتحت عينيها بعد ذلك وعادت الى الحياة وحينما سألوها عن موتها أجابت لقد خرجت روحي وصعدوا بها الى السماء واذا بهاتف يهتف أرجعوها الى جسدها لأن الشيخ السلطان عبد القادر الكسنزاني يطلبها فما انتبهتُ الا وانا واعية بينكم .

* كان قطيع من الماشية يعود من المرعى الى قرية كربچنة واثناء مرور القطيع داخل القرية إنحرفت إحدى البقرات فمدت فمها فتناولت قبضةً من العشب الطري فوق سطح أحد بيوت الايتام فرآها حضرة الشيخ سلطان قادر فصاح عليها بقوة ماذا فعلتِ إنها من مال الأيتام فرمت البقرة ما في فمها بأسرع ما يكون وولت هاربةً .

وهكذا كان حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني حريصاً على مال اليتيم وحمايته حتى من قبل الحيوانات لانه محرمٌ ولا يجوز تناوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] .

---

(١) سورة الانعام، الآية ١٥٢ .

السيد الشيخ الغوث السلطان حسين الكسنزاني

ولد السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزاني عام (١٣٠٦هـ)الموافق (١٨٨٥م) في قرية كربچنة وتربى تربيةً دينية حيث درس القران الكريم وعلوم الفقه، وكان شاباً مجاهداً قوي العزم عالي الهمة اشتهر برد المظالم الى اهلها ومناصرة الضعيف .

كان الشيخ حسين الكسنزان كثير الشغف بالجبال والتنقل فيها حتى لقب (بسلطان الجبال) وكان كثير الزهد والتعبد حتى انه كان في صوم دائم في فترة السنوات الاخيرة من حياته وكان قدس الله سره سخياً كثير العطاء ينفق كل موارده على الفقراء والايتام والارامل، وذات مرة سألته ارملة شيئاً من المال لايتامها ولم يكن يملك شيئاً في وقتها فخلع اسنانه الذهبية واعطاها للارملة كي تبيعها وتنفق ثمنها على ايتامها، وكان قدس الله سره يذهب للتعبد في الجبال بعد منتصف الليل ويرقد بين الشوك حتى الصباح ترويضاً لنفسه، وقد خصص من ماله الخاص مخصصات مالية شهرية لعدة عوائل من الفقراء والايتام مع انه كان لا ياكل سوى خبز الشعير والحنظل*

اقوالـــــه

ومن مواعظه قدس الله سره العزيز انه قال إن طريقتنا تعتمد على القرآن والسنة وحب الحق وتهذيب النفس والصدق والصبر على المكاره والمصائب والوفاء بالعهد وعدم الفرح بمصائب المسلمين وان تقابل الاساءة بالأحسان وان ترحم الايتام وتستر العريّان وتطعم الجائع وتكسو المعدم وتقوي الضعيف وتبتعد عن المظالم .

وقال أيضاً ايها المُريد إبتعد عن حب الدنيا فأن حبها يتلف العابد كما يتلف الحَرُّ العسل، يا مُريدي كن مع المظلومين ولا تكن مع الظالمين فان الدنيا مع الكفر قد تدوم ولكنها مع الظلم لا تدوم .

---

* الحنظل : نبات بَريّ مشهور بمرارته اللاذعة .

خدمته لاهل الفقه والعلماء

اسس السيد الشيخ السلطان حسين قدس الله سره مدرسة دينية في قرية كربچنة وعينّ على نفقته مدرسين دينيين وتلامذة يدرسون فيها الحديث الشريف والنحو والفقه وسائر العلوم الدينية، حيث كان عدد التلاميذ يتلقون العلم في هذه المدرسة اكثر من عشرين تلميذاً ويتخرج في هذه المدرسة سنوياً علماء متخصصون في شتى العلوم .

إنتقل السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزاني الى العالم الاخر (١٣٦٠هـ) الموافق (١٩٣٩م)، بعد ان خلّف على سجادة المشيخه أخاه السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره وكان لذلك الانتقال ضجةً كبيرةً وأثر عميق بين المُريدين خاصةً والمسلمين عامه لان الاسلام فقد بأنتقاله رجلاً عظيماً مصلحاً كبيراً في عصرٍ كان الاسلام فيه بأشد الحاجة لمثل هؤلاء الرجال العظماء الذين خدموا الدين الاسلامي اكبر خدمة وها هي نصيحته للمُريدين المحبين المخلصين التي يقول فيها أيها المُريد لازم باب الله ووجه قلبك لرسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم واجعل الاستمداد من بابه العالي بواسطة شيخك بأخلاص واذهب معه لمسلك الاداب واحفظ غيبته وتقيد واكثر الخدمة في منزله واقلل الكلام في حضرته، وقم بنصيحة الاخوان وألّف بين قلوبهم وعمّر قلبك بالذكر وجمّل قالبك بالفكر واستعن بالله واصبر على ما أصابك، واكثر من الصلاة على الرسول الاكرم صلى اللّه تعالى عليه وسلم واجلس في بيتك ولا تكثر الخروج للاسواق ومواضع الفرح واعتصم بحبل الله، فمن ترك الدنيا نال الفرح، وأكرم ضيفك وارحم اهلك وولدك وزوجتك وخادمك واذكر الله في كل امر واخلص لله في السر والجهر واعمل للأخرة عملاً حسناً .

هذه نصيحتي لك ايها المُريد، فما أحوجنا اليوم لالتزام نصيحته قدس سره وطاب ثراه .

كـرامـاتـه

إن لسلطان الاولياء الشيخ حسين قدس الله سره كرامات عديدة واعمال خارقة كثيرة شهدها اناس كثيرون منها :

* امر الشيخ احد مُريديه المسمى (عزيز) بالذهاب الى الموصل من اجل الارشاد ولكن هذا المُريد الفقير تحدث في قلبه مع حضرة الشيخ حسين يتعذر بحاله وضعفه وعدم معرفته باللغة العربية ولا الطريق الى الموصل ومع ذلك جاء التكليف بالذهاب واصطحاب مُريداً آخر معه كان أعرجاً واضعف منه، مما زاد الامر تعقيداً وحرجاً عليه، لم يكن السفر في ذلك الوقت ميسور الوسائط ولا الطرق معبدة وإنما سيراً على الاقدام او ركوباً على الدواب، ولكنهما وصلاً الى الموصل بسهولة ويسر . وهكذا أمر الله لمن اراد أن يسير طريق الارشاد واخيراً إستقر بهم المقام مع رجل فقير في دار خربة وكان جار ذلك الفقير من النصارى فيهم إمرأة عجوز مصابة بمرض الزمها الفراش لاكثر من عشر سنوات، ولما علموا بقدوم هذين المُريدين سألاهما الدعاء لشفاء مريضتهم وأن يدفعوا لهم خمسين ليرة ذهبية، فقالا لهم إنما اعمالنا لوجه الله تعالى ولا نريد جزاءً ولا شكوراً وحال جلب العجوز ضربها الخليفة بالعصا طالباً المدد من حضرة الشيخ حسين قدس الله سره فقامت في الحال بأذن الله مشافاة . وبعد سماع اهل الموصل به كثر ترددهم فجاء اليه اصحاب الحوائج والمرضى مما اثار حفيظة بعض اصحاب الطرق الاخرى فقدموا إليه طالبين منهما ترك الموصل .

* ومن كراماته قدس الله سره ان اكثر الناس كانوا يسمعون صوت الجن حوله وهم يذكرون الله سمعاً واضحاً ولما سئل عنها قدس الله سره قال إنهم من الجن المسلمين المتصوفين .

* ومن كراماته ايضاً ما حدث لرجل اهالي اسطنبول في تركيا كان مريضاً بداءٍ لم تنفع معه مراجعة الاطباء في اكثر العواصم الاوربية وفي ذات ليلة جاءه رجل في الرؤيا يقول تعال الى كربجنه في العراق وعندما تدخل في طريقتنا ستشفى، وعندما إستيقظ من نومه قرر أن يشد رحاله وجاء الى كربجنه، فلما وصل إليها ورأى حضرة

السلطان حسين قدس الله سره جالساً مع مُريديه إنكّب على يده يقبلّها قائلاً أنت الذي ناديتني فجئت، فقال له الشيخ قدس الله سره لقد آن لك ان تأخذ البيعة (الطريقة) وتدخل الخلوة اربعين يوماً ، فيستجيبُ الرجل لكلام الشيخ ولم تمض فترة طويلة حتى تماثل للشفاء .

* كان محمد خان سليمان من رؤوساء عشيرة الجاف وكان لا يؤدي فريضة الزكاة من ماله والحج المفروض عليه فجاء لزيارة الشيخ في كربچنه فأعطى خمس ليرات ملفوفة بخرقه لأحد مُريدي الشيخ السلطان حسين هدية للتكية فلما وضعها امام حضرة الشيخ قال أعيدوها إلى محمد خان سليمان وقولوا له ان التكية لا تقبل المال الحرام فليؤدِ زكاته وحجه ثم يقدم ما يشاء للتكية .

* توجه الخليفة محمود وبصحبته عدد من المُريدين من چمچمال الى كربچنة وذلك لزيارة الشيخ السلطان حسين وكان في حوزتهم كمية من مال التكية فأشترى إبنه محمد شاياً للتكية وبقي من المال (عانه واحدة) فأخبر محمّد والده خليفة محمود بالمال الذي بقي لديه فقال له خليفه محمود إذهب واشترِ بها شاياً ايضاً ولا تبقِ عندك شيئاً من مال التكية فلما وصلوا الى حضرة الشيخ وتمت الزيارة والتبرك بحضرته رفع رأسه نحو الخليفة محمود وقال له يا خليفة محمود ان مشايخ الطريقة لا يغيب عنهم حتى عانة واحدة من اموال التكية لانها مخصصة لفقراء التكية وهي بيت مال المسلمين .

* روى الشيخ محمد صالح ابن حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني قال كنت حاضراً في مجلس الشيخ السلطان حسين الكسنزاني قدس الله سره قبل إداء ورد العصر وكان الشيخ مصطفى الشيخ احمد وهو ابن عم الشيخ السلطان حسين يقول للسطان حسين أرى أن اوراد العصر ثقيلة على المُريدين فيجيبه الشيخ السلطان حسين الكسنزان قدس الله سره بأن هذه الاوراد هي امرٌ من الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره فكرر على حضرته هذا الكلام ثلاث مرات وكان يجيبه في كل مرة بأنه أمر وحينما بدأنا بذكر العصر رأينا طير الباز قد حط على جدار خلف ظهر الشيخ حسين الكسنزاني وبقى هناك حتى وصلنا الى نهاية الذكر (يارحيم) فطارَ، عندها

قال الشيخ السلطان حسين قدس الله سره للشيخ مصطفى هل بقي لديك حجة ؟ قال لا فقد علمت الجواب .

* عن ملا نجم الدين عن محمد قيت مُريد سلطان حسين قال كانت الكلاب تتجمع يومياً بأتجاه مقبرة في كربچنه وتنبح في اكثر الاوقات وكأنها ترى او تسمع شيئاً غريباً فقال حضرة الشيخ للسلطان حسين قدس الله سره إن هذه الكلاب تنبح على فلان وهو في قبره لانه كان يأكل مهر بناته وقد ادى لي خدمة في حياته فتعالوا معي الى قبره لندعو له لعل اللّه يرحمه ويعفو عنه فلما اقتربنا من القبر قال الشيخ السلطان حسين قدس الله سره إسمعوا فسمعنا بآذاننا صوت كلب ينبح داخل القبر فصلى الشيخ قدس الله سره ركعتين ثم دعا له فما لبثنا قليلاً حتى إختفى الصوت نهائياً ولم نعد نسمعه ففرحنا بذلك وعاد الشيخ وعدنا معه .

السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره العزيز

ولد السيد الشيخ عبد الكريم بن السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني سنة (١٣٣٦هـ) الموافق (١٩١٥م) في قرية كربچنه في عائلة دينية، حيث كان والدهُ شيخ الطريقة والارشاد، وعقب والده واخوه الشيخ حسين فتربى على يد شيخين جليلين قدست اسرارهم جميعاً .

ولقد كان منذ نشأته كريم النفس رقيق القلب إذ يروى عنه انه كان في طفولته يطلب من ابيه ان يعطيه خروفاً ليذبحه ويوزعه على اطفال القرية الذين كانوا كلهم اصحابه ولما كان بعض الكبار يتدخل لرده كان والده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره يقول لهم نفذوا اوامره فأن لهؤلاء الاطفال حقاً عليه يراه هو ولا ترونه انتم، وكان اكثر ما يحب من اطفال القريه الفقراء والمعدمين ويحب خدمتهم وهو لما يزل دون العاشره من عمره ويقف الى جانبهم ويطعمهم من طعامه وكثيراً ما يؤثرهم على نفسه .

ويراه الناس على قدرٍ كبير من الحكمة بالرغم من صغر سنه فكان يتدخل لحل المنازعات بين اصحابه ويصلح ذاتهم مما كان يجلب انتباه الناظرين اليه يتابعونه وينقلون تصرفاته الى والده الذي كان يرعاه كثيراً ويشجعه .

هكذا كان هذا الغصن اليافع من الشجرة الطيبة تحلّق به تلك الروح الملائكية اللطيفة، وهذه هي بدايته كان يحب ان يكون مثل بقية المُريدين في الوقوف بين يدي الشيخ بكل تواضع وأدب حتى اصبحوا هم يقلدون سلوكه، ولما بلغ اشده مارس التدريب على الفروسية وتحلى بجميع فضائلها فكان يخرج للصيد على جواده وكان في الغالب لا يصحب احداً لانه احب الانفراد والخلوة الى نفسه، ولقد تمسك تمسكاً شديداً بالقرآن العظيم وسُنة الرسول الاعظم صلى اللّه تعالى عليه وسلم، فأحب العبادة والاختلاء ومجاهدة النفس حتى نال درجة عاليه من الولايه، لقد كان السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزاني يحبه حباً شديداً لما كان يرى فيه من عظمة وتواضع وقابلية في خدمة الدين

الحنيف، وكان كثيراً ما يصطحبه معه عندما كان يذهب ليلاً الى الجبل ليتعبد فيه فيمكث معه اياماً ولياليَ وكان هو الشخص الذي يرافقه في خلوته ويقوم على خدمته حتى اصبح في اواخر ايام الشيخ الوسيلة التي تربط بين شاه الخلوة المعتكف والمُريدين في الخارج فكان يقول له السلطان حسين قدس الله سره انت مكلف بشؤون المُريدين، وبذلك اجلسه على سجادة المشيخه وهو ما زال على قيد الحياة وأمر المُريدين بالاتجاه نحو شيخهم الجديد واخبرهم بأن جميع امور الطريقه والارشاد منوطة بالسيد الشيخ عبد الكريم واما هو فقد ظل مستمراً على الخلوة والاعتكاف حتى وافاه الاجل وذهب لملاقاة ربه، وهكذا استمر المُريدون يجتمعون عند الشيخ عبد الكريم الذي تولى أمرهم وقام بشؤونهم خير قيام .

وكان السيد الشيخ السلطان حسين قدس الله سره قد اوصى قبل وفاته قائلاً أني رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم في المنام وأشار بأن استخلف اخي السيد الشيخ عبد الكريم مقامي .

صفاتـه

ان مثالية السيد الشيخ السلطان حسين ووالده وجده ممثّلة في شخصية السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني، لقد كان الشيخ عبد الكريم كما ذكرنا يحب الفروسية وكان كريماً وشجاعاً قوي البنية شديد المراس عليه علامات الهيبة والوقار والى جانب ذلك كان صبوراً لا يحقد ولا يغضب على احد الا في حدود ما شرع الله كما كان صريح البيان ويحب الايجاز في الحديث، إذا تحدث في الله فرح ولان واذا نصح صرّح وهان، ومجالسته ترد القلوب بالودّ الى علّام الغيوب، قوي الارادة كريم الخلق محب للفقراء، إذا جلسوا عنده مازحهم ولاطفهم وتودد اليهم، يحبهم ويقربهم في مجلسه .

يعطف على الايتام والارامل وينفق عليهم بسخاءٍ لا يخاف في اللّٰه لومة لائمٍ، شديد على الظالمين والمتكبرين فلا يدخل مجلسه من كانت فيه احدى هاتين الخصلتين خوفاً من صراحته إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً، وقد خطى الخطوات التي خطاها اخوه ووالده وجدهُ من قبل في تدبير شؤون الطريقة والوعظ والارشاد .

ويهتم كثيراً بتطبيق تعاليمهم بين المُريدين لانه المرجع الاعلى والاصيل للطريقة القادرية الكسنزانية .

وكان يفرغ العلم الروحي والاحوال على المُريدين ما يأخذ المُريد بالهمة تدرجاً للصفاء الروحي وكثيراً ما كان يوصي بحسن الخلق وقوة العقيدة .

سماحته

لقد كان يحب التائب ويفرح به ويدعو له، وهو ذو رأفة بالمُريدين يأخذهم باللين والسماحة ويشوقهم الى الله ويُطَمْئِنَهم به ويُفرح قلوب الفقراء، كثيراً ما يسامح المعتدين واذا ما جاءه شاك صبّره وقال له ان الله يرانا ويراهم فأصبر واحتسب نسأله الهداية لهم، فما ان يصل كلامه الى آذان المعتدين والظالمين حتى ترق قلوبهم فتشدهم اليه شداً، فنراهم في اليوم التالي قد تابوا وأصلحوا لانه قدس سره عارفٌ بدواء العلل وله في كلامه صولة، صولة حق فيها رغبة ورهبة يرغبها اهل الحق ويرهبها غير اهله، وياله من صوت روحي يدفع الباطل فأذا هو زاهق .

توكله

كان كثير التوكل على الله فهو لا ييأس ولا يقنط قط وحاشاه من ذلك، فاذا ما سألته عن شيء ... اي شيء ... ملتمساً منه الدعاء يبادرك قائلاً على الله .... الله كريم إبني، فتكون عبارته هذه دواءً لكل العلل، كريم في كل شيء شريطة ان لا يؤثر على سلوك المُريد ونهجه، فكان كثيراً ما يُحَذّر من الدنيا ويصفها بأوصاف ذميمه لأنه لا يرغبها لمُريديه .

اعتكافه

كان يعتكف في غرفة صغيرة مخصصة له فيها حصير يجلس عليه وامام الحصير رحلة صغيرة يعلوها المصحف الشريف وخلفه على الجدار سيف معلق، وكان يقضي اغلب يومه منفرداً يقرأ القرآن ويتلو أوراده الخاصة به ويصلي وكان كثير النوافل

حتى انه ليسجد السجدة بعد نافلة المغرب لا يرفع رأسه منها حتى أذان العشاء، وتسمع له بكاءاً وحنيناً، فهو قليل من الليل ما يهجع وله ادعية خاصة يقرأها، كثير التوسل الى الله عز وجل، كثير البكاء قليل الضحك، وكان يقضي اغلب ايامه صائماً ويكتفي احياناً بشربة ماءٍ ولم يسغ الا النزر اليسير من الطعام البسيط ولم يكثر من تناول شيء سوى الشاي .

زهـــده

كان زاهداً لا يرغب في الدنيا وله اقوال كثيرة في الزهد دائماً يحذر من الدنيا ويقول إنها ناعمة الملمس حادة الاسنان سامة اللسان وان رأس مالنا فيها ما خلقنا لاجله في الاية الكريمة : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] .

كما ترى زهده في بساطة ملبسه حيث يرتدي الملابس البسيطة ويرغب الخشنة منها وكانت تمر عليه سنة او اكثر وتراه في ملبس واحد فهو لا يرغب الجديد، وينتعل حذاءً خفيفاً من القطن مما يلبسه مَن عُدم من الناس، ولا يجدد ملابسه حتى ترى عليها أثراً لتهديب خيوطها، ومن اعظم مآثر زهده انه ما جلس عنده وقام من مجلسه حتى آثر حياة الزهد وفضّله على الترف، فتراه يصبح سخياً زهداً ملتفتاً عن الدنيا متجهاً الى الأخرة داعياً لها محذّراً الناس منها، وهذه من بركات مجالسة الزاهدين فمن جلس مع اهل الدنيا قام بحبها ومن جلس مع اهل الآخرة قام بحبها وأرفَعَ الهجرة اليها .

هجرته وإرشاده

هاجر السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره الى قرية (ميرخاو) في ايران، فدخل القرية وأقام بها واجتمع حوله آلاف المُريدين والمحبين فكرس جهده لارشاد الخلق ونشر تعاليم الطريقة بين الناس، وبقي في القرية ما يقارب السنة ثم هاجر بعدها الى سنندج وأقام فيها فترة من الزمن ولُقن الطريقة خلالها لآلاف من الناس وترك لهم خلفاء وتكايا عديدة وترك لهم تعاليمه السديدة التي لا يزال يتناقلها الابناء عن الآباء

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

والاحفاد عن الاجداد، ثم إنتقل بعدها الى مدينة مشهد وقابل عدداً من رؤوساء العشائر ووعظهم وارشدهم واصبحوا من اتباعه ومُريديه، واجتمع عنده آلاف من المُريدين والمحبين فتزايد عدد اتباعه ومُريديه حتى صار تنقله صعباً ومكلفاً لأن آلافاً يتبعونه حيثما حل وأرتحل .

وهكذا تنقل الشيخ في انحاء ايران وهو يحمل تعاليمه في الزهد والورع ويرشد المُريدين ويُسدي النصح لعوام المسلمين ويبني التكايا والمساجد ويُصلح بين الناس، حتى دخل طهران والتقى بعدد كبير من الناس ثم عاد بعد ذلك الى ميرخاو، وثم الى بنجوين في العراق واقام في قرية بويان وبنى تكيةً وبيتاً يسكن فيه مع عياله قريباً من الحدود بين العراق وايران داعياً الى الخلاص من الدنيا وزخرفتها ناقلاً الناس الى الصفاء الروحي والنقاء الجسدي، ولاقت الطريقة إقبالاً واسعاً فاستوعبت ملايين المُريدين حتى راح سناها الروحي الى بلاد كثيرة اخرى من المعمورة مثل افغانستان وباكستان والهند وسرى شعاعها الى بعض بلاد افريقيا مثل زامبيا فَفُتِحت فيها تكايا وقام الخلفاء بالارشاد .

واخيراً إنتقل السيد الشيخ عبد الكريم الى قرية كربچنه حيث مقام الآباء والاجداد واقام فيها فترة من الزمن ثم انتقل بعدها الى مدينة كركوك واستقر فيها بعد جولات عديدة للارشاد شملت معظم المحافظات العراقية مثل بغداد ونينوى وبابل والنجف الاشرف والانبار وتكريت واربيل والسليمانية وغيرها .

وقد بنى في تلك المحافظات عدداً كبيراً من التكايا، واثناء وجوده في كركوك جَهّز حملة للحج إنظّم لها عدد كبير من الفقراء المُريدين قاصداً بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج وزيارة المصطفى صلى اللّه تعالى عليه وسلم .

وما زال مرشداً حتى اختاره الله الى جواره عام (١٣٩٩هـ) فخلف وراءه على سجادة المشيخة ولده السيد الشيخ محمد الكسنزاني .

كـرامـاتــه

ان كرامات السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى لان حياته كانت كلها كرامات لخدمة الاسلام والمسلمين .

ولكن لا بد من ذكر بعض منها والتي تحققت على ايدي مُريديه بعد طلب الاجازه من سماحته كالقيام بفعاليات خارقةٍ للعادة مثل مسك الاسلاك الكهربائية وأكل الافاعي والعقارب والضرب بالطلق الناري والضرب بالخنجر في الرأس .

وضرب السيوف والحراب والدخول وسط النار، بالاضافة الى الكرامات الاخرى التي تحققت بدعائه كالشفاء من السرطان والعقم، والشفاء من الصرع وامراض القلب والكآبة والجنون وغيرها .

* ومن كراماته قدس الله سره انه حُكِم على احد مُريديه بالسجن لمدة عشرين سنة في سجن الرمادي ولكثرة التوسل ومن قبل اهله بحضرة الشيخ ارسل الشيخ رسالة الى احد الخلفاء في الرمادي طالباً منه مساعدة السجين بالخروج من السجن وكانت المفاجأة عندما علم الخليفة ان السجين قضى من مدته ثلاث سنوات فقط ولكن إيمانه وعقيدته بهمة الشيخ دفعته الى الذهاب الى السجن وقدم الى مدير السجن مستفسراً عن المدة التي قضاها السجين المذكور فجاء الجواب بعد التدقيق في سجلات النزيل تبين انه انهى محكوميته كاملة وسوف يطلق سراحه غداً وفي اليوم الثاني عاد الخليفة واصطحب معه السجين الى داره .

* بينما كان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره خارجاً من غرفته دخل الى التكية رجل من الاغوات محمولاً على ايدي ذويه حيث قررَ الاطباء انه مريض بالسرطان وقد اعجزهم علاجه وحالما رآه حضرة الشيخ عبد الكريم قال هذا ليس مريضاً بالسرطان وانما هو تأثير سم جرى في جسمه قبل اربعين عاماً فأجاب من كان مع المريض بأنه فعلاً قد لسعته حية في ذلك الوقت عندها قال الشيخ قدس الله سره اطعموه الحليب واجلسوه في التكية فأنه مشافى ان شاء الله فما لبث المريض أياماً حتى عاد سليماً يمشي كأن لم يصبه شيء .

* كان احد مُريديه قدس الله سره وهو شريف محمد خاتون مصاباً بسرطان الأمعاء وقد عجز الاطباء من علاجه وقرروا بأنه ميت لا محالة فأحضروه عند حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره واخبروه بكلام الاطباء حول اليأس من علاجه وبينما هو جالس عند حضرة الشيخ القى اليه الشيخ بـ (سيجارة) وقال له تناول هذه ياشريف فعلم شريف ان هذه السيجارة من الشيخ هي علاجه المناسب فتناولها وبدأت صحته تتحسن تدريجياً حتى شفي شفاءً تاماً وعاش بعد ذلك سنين طويلة .

* كان في زمنه قدس الله سره مجموعة من المُريدين عائدين من زيارته الى ديارهم فنفد الوقود من السيارة ولم يكن السائق من مُريدي الشيخ فضجر وتسخّط فترجل المُريدون وأقاموا حلقة ذكر ثم قالوا له حاول عسى ان يكون في الخزان قليلاً من الوقود فَسخِرَ منهم وقال انا منذ الطفولة في هذا العمل واني اقول لكم الوقود قد نفذ والحّوا عليه كثيراً حتى رضخ لهم وما ان ادار المحرك حتى بدأت السيارة تعمل فرفع السائق اصابعه العشرة وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله هذا عمل لم يحصل في التاريخ كله وتحركت السيارة بهم الى ان وصلوا .

* وكان قدس الله سره جالساً وقت العصر ولديه ضيوف فأمر المُريدين ان يقوموا ببعض الفعاليات الخارقة لاثبات وجود الله سبحانه وتعالى وقدرته وصحة العقيدة وامرهم بحمل الافعى امام الضيوف فأخبروه بأنه ليس لديهم افعى في تلك اللحظة وبينما هم في هذا الحال اذ جاءت افعى من بعيد تزحف نحو التكية حيث يجلس الشيخ وضيوفه فأمسك بها المُريدون واظهروها امام الضيوف وبعد الانتهاء امر الشيخ بأطلاق سراحها في مكان بعيد .

* حينما كان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزاني ساكناً في قرية (عمروغان) العائده الى ناحية قره داغ في محافظة السليمانية وكان لدى حضرته عدد من علماء السليمانية الافاضل وقد دارت احاديث حول موضوع الكرامات وذكروا حديث عمر بن الخطاب (ياسارية الجبل) فتبسم الشيخ وقال هذا اسهل ما يكون على الاولياء إذا شئتم اريكم مثل هذا فنادى (تعال يا حاج عزيز) وكان الحاج عزيز في قرية كريزه في شهرزور والتي تبعد مسيرة يوم واحد وفي اليوم الثاني حضر الحاج عزيز فرحب

به الشيخ وسأله كيف جئت فقال سمعتك تناديني فأتيت فتعجب العلماء الحاضرون من كرامة الشيخ .

* كان لحضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدس الله سره العزيز صندوقٌ صغيرٌ يودع منه اموال التكية وينفق منها ما تحتاجه التكية من النفقات اليومية، وذات يوم راجعه محمد مجيد وهو أحد مُريديه المختص بشؤون النفقات طالباً من حضرته نفقة التكية لذلك اليوم كعادته فأبتسم الشيخ قليلاً ثم قال يا محمد إن المال نَفدَ وأراه الصندوق فارغاً فأصبر قليلاً حتى يجد الله لنا مخرجاً ويرزقنا من حيث لا نحتسب، قال محمد فأصبحت مطمئن القلب من قول حضرة الشيخ فما لبثت قليلاً حتى نادى عليَّ الشيخ وقال يا محمد لقد سمعت حركةً او رفرفةً داخل الصندوق فأسرع اليه لعل الله قد فتح علينا بابَ الفرج فأتيت بالصندوق الى حضرته وفتحه بيده الكريمة فأذا الصندوق مملوء بالمال .

* بعد انتقال حضرته قدس الله سره الى عالم البقاء بفترة عزمت على القيام بالعمره وزيارة الروضة المحمدية الطاهرة وبيت الله (الكعبة الشريفة) وتوجهت قبل ذلك لزيارة مرقد حضرة الشيخ (والدي) في قرية كربچنه وكان معي اكثر من خمسين رجلاً من المُريدين فحال وصولنا الى مراقد المشايخ الكرام ودخولي الى مرقد الشيخ عبد الكريم قدس الله سره اردت ان المسه تبركاً فأهتز بحركة واضحة ومستمرة شاهدها جميع من كان معي حتى كادت ان تسقط السترة الخضراء المغطية للمرقد ثم عاد يهدأ تدريجياً حتى إستقر ثم ودعته وخرجت .

السبحة حبل النجاة

وردت كلمة التسبيح في القران الكريم بقوله تعالى : (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)[1] . فجميع الحيوانات والنباتات والجمادات تسبح لله .

والسُّبْحة الخرزات التي يُعد المسبح بها تسبيحه وهي ايضاً التطوع من الذكر والصلاة . والسُّبْحة الدعاء وصلاة التطوع والنافلة .

والمُسَبِّحة بفتح السين وكسر الباء الاصبع التي تلي الابهام[2] .

والتسبيح وذكر الله سبحانه وتعالى امر مفروض في القرآن الكريم في اكثر من موضع ولما اكدت الايات القرانية على كثرة الذكر احتاج المؤمنون الى وسيلة لضبط العدد الذي حددته السنة النبوية الشريفة لكل تسبيحة، وكان التسبيح يتم بعُقد الانامل ولما كانت هذه الطريقة تشغل فكر المسبح الى العَد وتؤثر في خشوعه التجأ الصحابة الى وسائل اخرى عديدة فمنهم من استعملَ الحصى واخر استعمل النوى وغيره استعمل العُقد في الخيط وهكذا ...

وقد استعمل هذه التسابيح رجالٌ من الصحابة البارزين الذين أُخذ عنهم الحديث النبوي الشريف وكان يُعتمد عليهم في وقتهم أعمدةً من قواعد البنيان الاسلامي كأبي سعيد الخدري وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وابي الدرداء، كما كان يفعل ذلك آل بيت النبي الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم ومواليه وازواجه ولم ينكرهُ عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم . وان من المناسب هنا ان نتبع الاحاديث والآثار النبوية في هذا المجال:

* روى ابن ابي شيبة وابو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعقد التسبيح .

---

(١) سورة الاسراء، الآية ٤٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٤٧٣ .

* اخرج الامام احمد في الزهد قال حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس بن عبيد عن امه قالت رايت ابا صفية رجلاً من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان جارنا قالت فكان يسبح بالحصى .

* قال ابن سعد في الطبقات اخبرنا عبيد الله بن موسى اخبرنا اسرائيل عن جابر عن إمرأة حدثتها فاطمة بنت *الحسين* بن *علي بن ابي طالب* انها كانت تسبح بخيط معقود فيه .

* واخرج عبد الله بن الامام احمد في زاوية الزهد من طريق نعيم بن محرز بن ابي هريرة عن جده ابي هريرة انه كان له خيط فيه الف عقدة فلا ينام حتى يُسبّح به .

* اخرج الامام احمد في زاوية الزهد حدثنا مسكين بن بكير اخبرنا ثابت بن عجلان عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان لابي الدرداء نوى في كيس فكان اذا صلى الغداة اخرجهن واحدة واحدة يُسبّح بهن حتى يُنفدَهُنّ .

* اخرج بن سعد عن حكيم بن الديلمي ان سعد بن ابي وقاص كان يُسبّح بالحصى .

* واخرج ابن ابي شيبة عن ابي سعيد الخدرى انه كان يُسبّح بالحصى .

* اخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية بنت حُيي رضي الله عنها قالت دخل عليَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديَّ اربعة الاف نواة أُسبّح بهن فقال **ما هذا يابنت حُيي ؟** قلت اسبح بهن قال **قد سبحت منذ قمتُ على راسك اكثر من هذا ،** قلتُ علمني يا رسول الله ؟ قال **قولي سبحان الله عدد ما خلق الله من شيء** . فلا يخفى على ذى لب ان اربعة الاف او اكثر يصعُب عدها بالانامل فلا بد لهم من آلةٍ اووسيلة كانوا يستعينون بها .

* اخرج ابن ابي شيبة عن زاد انه قال اخذتُ عن ام يعقوب تسابيح لها فلما اوتيت علياً قال أُردد على ام يعقوب تسابيحها .

* وفي سنن داود من حديث ابي بصرة الغفاري قال حدثني شيخ من طفاوة قال تثويّتُ ابا هريرة بالمدينة فلم أرَ رجلا أشدُّ تشميراً ولا اقوم على ضيف منه قال فبينما انا

عنده يوماً وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى واسفل منه جارية سوداء وهو يسبّح بها حتى اذا نفد ما في الكيس القاه اليها فاعادته في الكيس ودفعته اليه ليسبّح .

* ونقل السيوطي عن ابي مسلم الخولاني رحمه الله انه كان له سبحة فنام ليلةً والسبحة في يده قال فاستدارت السبحة والتفّت على ذراعه وجعلت تسبّح فأنتبه ابو مسلم والسبحة تدور على ذراعه وهي تقول (سبحانك يا دائم الثبات ويا منبت النبات) فقال هلمّي يا ام مسلم فانظري الى اعجب الاعاجيب قال فجاءت ام مسلم والسبحة تدور وتُسبّح فلما جلست سكّنت السبحة .

وقد اتخذ السبحةَ وسيلةً للوصول جميع مشايخ الطرق الصوفية وذلك لما ارادوا ضبط التسبيحات فأحتاجوا اليها، وذكر ابن خليكان في وفيات الاعيان انه شوهد في يد ابي القاسم الشيخ الجنيد البغدادي قدس الله سره سبحة فقيل له انت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ فقال طريق وصلت به الى ربي لا افارقه، وذكر ابو القاسم هيبة الله بن الحسن الطبري في كتاب كرامات الاولياء قال الشيخ الامام العارف عمر البزاز كانت سبحة الشيخ ابي الوفا عبد الرحمن التي اعطاها له السيد الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله سره اذا وضعها على الارض تدور وحدها حبة حبة .

ونقل السيوطي قال رويت في ذلك حديثاً مسلسلاً وهو ما اخبرني به شيخنا الامام عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد الله -وقد رأيتُ في يده سبحة- قال اخبرني الامام ابو العباس احمد بن ابي المجالس يوسف بن البانياس بقراءتي عليه - ورأيتُ في يده سبحة- قال اخبرنا ابو المظفر بن محمد بن مسعود الترمذي -ورأيتُ في يده سبحة - قال اخبرني عبد الصمد بن احمد بن عبد القادر -ورأيتُ في يده سبحة- قال اخبرني ابو محمد يوسف بن ابي الفرج عبد الرحمن بن علي -ورأيتُ في يده سبحة- قال اخبرني ابي- ورأيت في يده سبحة- قال قرأتُ على ابي الفضل بن ناصر - ورأيتُ في يده سبحة- فقال قرأتُ على ابي محمد عبد الله بن احمد السمرقندي- ورأيتُ في يده سبحة- فقلت له وسَمِعْتَ ابا بكر محمد بن علي السلمي الحداد ورأيت في يده سبحة ؟ فقال نعم، ثم قال ورأيتُ ابا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المقري-ورأيتُ في

يده سبحة– قال رأيتُ علي بن ابي القاسم المترفق الصوفي – وفي يده سبحة– قال سمعت ابا الحسن المالكي يقول –وقد رأيتُ في يده سبحة– فقلت له يا استاذي انت الى الان مع السبحة ؟ فقال كذلك رأيتُ استاذي الجنيد وفي يده سبحة فقلت يا استاذي انت الى الان مع السبحة ؟ فقال كذلك رأيت استاذي السرى السقطي وفي يده سبحة فقلت له يا استاذي الى الان مع السبحة ؟ فقال كذلك رأيتُ استاذي معروف الكرخي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيتُ بشر الحافي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيتُ استاذي عمر المالكي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيتُ استاذي الحسن البصري وفي يده سبحة فقلت يا استاذي مع عظم شأنك وحسن عبادتك وانت الى الان مع السبحة ؟ فقال لي هذا شي كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات، احب ان اذكر الله تعالى بقلبي وفي يدي وفي لساني.

اوراد الطريقة القادرية الكسنزانية

بالاضافة الى فروض الشريعة المعروفة من صوم وصلاة وغيرها يفرض نهج الطريقة على المُريد فروضاً اضافية وهي عبارة عن اذكار وباعداد محددة وضعها مشايخ الطريقة بعد ان تكشّفتْ لهم اسرارها الروحية بفضل مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى وعلمهم الرباني الذي اكرمهم به، ولهذه الاوراد فوائد عظيمة في تطهير قلب المُريد من هوى النفس وكل ما نهى عنه الله عز وجل ومساعدته في السير على درب الترقي الروحي الذي أخَذَ العهد على سلوكه .

ونتيجة لمجاهدات مشايخ الطريقة الكسنزانية وعباداتهم وخلواتهم فقد انكشفت لهم سلسلة من الاوراد ذات الاسرار الروحية العظيمة القدر وهذه الاوراد هي زاد المُريد في رحلته على نهج الطريقة الكسنزانية قال تعالى : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)[1]، وتقسم الاوراد الى قسمين :

١- **الاوراد اليومية** : وعددها ثمانية، خمسةٌ منها بعد كل صلاة وواحدٌ قبل صلاة المغرب بساعة واحدة ويسمى ورد العصر، اضافة الى قراءة سورة الفاتحة مئة مرة والصلاة على الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم الف مرة خلال اليوم الواحد بينما الاستغفار وقراءة الفاتحة هي اوراد فردية اي يقوم بها المُريد لوحده وباقي الاوراد جماعية حيث يقوم بها المُريديون المتواجدون في التكية بشكل جماعي، ويجوز ان يؤديها المُريد بشكل انفرادي اذا كان بعيداً عن التكية .

٢- **الاوراد الدائمية** : وهي عبارة عن تسعة عشر ورداً يقوم بها المُريد بشكل فردي ويتم تكرار كل واحد منها مئة الف مرة وعند الانتهاء من الورد التاسع عشر يعود المُريد مرة ثانية من الورد الاول وهكذا يدور حتى نهاية العمر لقوله تعالى : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[2]، ويمكن للمُريد ان يقوم بهذه الاوراد في اي وقت بأستثناء ليلةِ الجمعة ونهارها المخصصين للصلاة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . وفيما يلي جدولاً بهذه الاوراد :

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٩ .

الاوراد اليومية

(١) بعد صلاة الفجر :

- لا اله إلاّ الله (٣٠٠) مرة .

- لا اله الاّ الله محمد رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (١٠٠) مرة .

- اللّه (٣٠٠) مرة .

- استغفر الله (١٠٠) مرة .

- اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً (١٠٠٠)مرة .

(٢) بعد صلاة الظهر :

- استغفر الله (١٠٠) مرة .

(٣) بعد صلاة العصر :

- استغفر الله (١٠٠) مرة .

(٤) قبل صلاة المغرب بساعة واحدة (ورد العصر) :

- يااللّه يا حي يا قيوم (٥٠) مرة .

- يااللّه مولاي اللّه (٥٠) مرة .

- يا هُو (٥٠) مرة .

- يا حي (٥٠) مرة .

- يا واحد (٥٠) مرة .

- يا عزيز (٥٠) مرة .

- يا ودود (٥٠) مرة .

- يا رحمن (٥٠) مرة .

- يا رحيم (٥٠) مرة .

(٥) بعد صلاة المغرب :

- استغفر الله (١٠٠) مرة .

(٦) بعد صلاة العشاء :

- لا اله الا الله (٣٠٠) مرة .

- لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (١٠٠) مرة .

- الله (٣٠٠) مرة .

- استغفر الله (١٠٠) مرة .

- سورة الفاتحة (١٠٠) مرة .

- اللّهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد الحبيب الشفيع الرفيع القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (١٠٠) مرة .

- سورة الاخلاص (قل هو الله احد ...) (٢٠٠) مرة .

ملاحظة : يمكن توزيع سورة الفاتحة على ساعات النهار او بعد كل صلاة، كما يجوز للمُريد ان يجمع الاستغفار في وقت واحد فيكون عدده (٥٠٠) مرة في اليوم

الاوراد الدائمية

وهي تسعة عشر ورداً يذكر كل واحد منها (مئة الف مرة) وهذه الاوراد هي :

(١) لا اله الا الله (تطهرك من جميع السيئات ولو كانت كمثل زبد البحر) .

(٢) الله (توصلك الى رحمة الله) .

(٣) يا هُو (تثبت نور الايمان وترفعك الى مقام العلماء) .

(٤) يا حي (ترفع جميع الاوردة القذرة من على قلبك) .

(٥) يا واحد (ترفع الحجاب بين العبد وربه اذا كان مخلصاً) .

(٦) يا عزيز (تنجيك من شر النفس والشيطان) .

(٧) يا ودود (تفتح السمع والبصر اذا كان مخلصاً) .

(٨) يا رحمن (تنجيك من كل هم وغم في الدنيا والآخرة) .

(٩) يا رحيم (تدخل في رحمة الله) .

(١٠) سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (ثواب الف حجة مقبولة) .

(١١) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما (تنجيك من جميع المشاكل) .

(١٢) بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (يداويك ربك ٩٩ دواء) .

(١٣) سورة الاخلاص (يغفر الله لك ولوالديك) .

(١٤) لا اله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وسلم صادق الوعد الامين .

(١٥) صلى اللّه سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله .

(١٦) لا مقصود الا الله .

(١٧) لا موجود الا الله .

(١٨) لا مطلوب الا الله .

(١٩) لا مراد الا الله .

التكيـــة بيـــت الذكـــر

قال تعالى : (في بُيُوتٍ أذِنَ اللَّـهُ أنْ تُـرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيـها اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإقَامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ)[1] .

وقال تعالى: (إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلعَالَمِينَ)[2] .

وقال تعالى : (وإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البيتِ وإسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)[3] .

ما اعظم هذا البيت او تلك البيوت التي ميزها الله عن غيرها من البيوت الاخرى وذلك بتخصيصها بذكره تعالى وشهد سبحانه وتعالى بنفسه على قدسيتها وعظمة مكانتها عنده لان الله تبارك وتعالى جعلها موضعاً لتجليه وفيضِ انواره ورفع منزلتها فوق كل البيوت برفع ذكر الله تعالى فيها وبإذنٍ منه الذي علا به المقام وتنورت به البيوت

وان من هذه البيوت المقدسة التي اذن اللّه ان يرفع فيها إسمه، بيت النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم واهل بيته سيدنا علي وفاطمة عليهم السلام فقد روي عن النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه حين سأله ابو بكر رضي الله عنه عن هذه البيوت قال (بيتي وبيت فاطمة وعلي)، ويستمر هذا الاذن في بيوت آل البيت من اولاد سيدنا علي عليه السلام واحفاده الذين طهرهم اللّه بسابق عنايته في قوله تعالى : (إنّما يُرِيدُ اللّـهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً)[4].

لانهم حقاً هم ورثة الرسول الاعظم صلى اللّه تعالى عليه وسلم ديناً وفيضاً وانواراً، فهم اعلام الهدى وخير الورى عبادة وتقوى وعلماً وحقيقة والتزاماً بنهج جدهم

(١) سورة النور، الآيات ٣٦، ٣٧ .
(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٦ .
(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٧ .
(٤) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف لا وألدين من بيت هؤلاء اهل بيته الطاهرين نالته الامم واهتدت به .

وبعد ترسيخ الايمان وتثبيته في قلوب المؤمنين برز جماعة من الصحابة المؤمنين الصادقين الذين زهدوا في الدنيا والتزموا العبادة في المسجد فخصصت لهم زاوية خاصة بهم ونزل فيهم قوله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[1]، الذين كانوا يسمون اهل الصفة او اهل الزاوية وبتطور الاحداث خرج اهل الزاوية من المسجد واتخذوا لهم بيوتاً لذكر الله حملت اسم الزاوية ايضاً ثم بعد ذلك اصبح يطلق عليها اسم (الرباط) في زمن العباسين اي مكان ربط قلوب المسلمين بالله تعالى عن طريق ذكره وعبادته في هذه البيوت، وفي فترة الحكم العثماني اصبح يطلق عليها اسم (الخانقاه) ايضاً وهي في الاصل (الخانگاه) وتتكون من (خان) اي الامراء والسلاطين و (گاه) وتعني المكان اي مكان الامراء والسلاطين وبعد ذلك تطورت الامور والمفاهيم وتوسعت دائرة الطريقة العلية الكسنزانية بتوسع الاسلام من خلال الجهاد والارشاد المستمرين واهتدى بسببهما الكثير من الناس الى طريق الحق وانتشرت مباديء الدين الاسلامي في كثير من البلدان ونتيجة لهذا التطور وتلك الظروف اطلق على هذه البيوت اسم (التكية) وهي كلمة كردية تتكون من (تاك) ويعني الانعزال و (گاه) ويعني المكان اي ان التكية مكان الخلوة والانعزال عن الناس للعبادة .

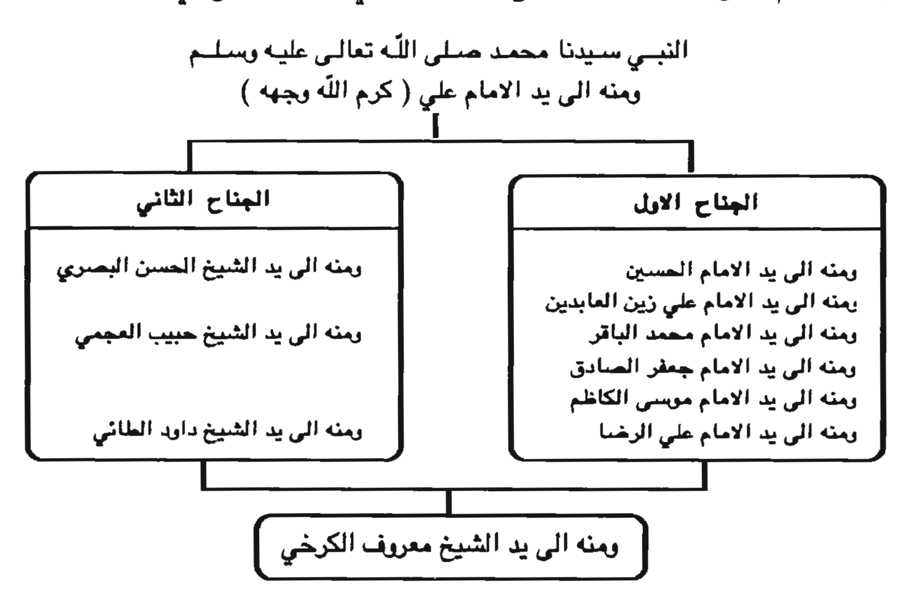
ورغم ظهور هذه التسميات العديدة لبيوت الذكر فأن جميعها تشترك بمفهوم واحد هو انها اماكن خاصة لذكر الله ولا يرتادها الاّ اهل العبادة والزّهاد .

---

(١) سورة الكهف، الآية ٢٨ .

سلسلة مشايخ الطريقة القادرية الكسنزانية

انزلت هذه الطريقة المباركة من الله تعالى الى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انتقلت منه الى يد الامام *علي بن ابي طالب*(كرم الله وجهه) ومنه تفرعت بجناحين ثم التقى الجناحان عند الشيخ معروف الكرخي كما هو واضح في ادناه :



ومنه الى يد الشيخ السري السقطي —— ومنه الى يد الشيخ الجنيد البغدادي

ومنه الى يدالشيخ ابي بكر الشبلي —— ومنه الى يد الشيخ عبد الواحد اليماني

ومنه الى يد الشيخ ابي فرج الطرسوسي —— ومنه الى يد الشيخ علي الهكاري

ومنه الى يد الشيخ ابي سعيد المخزومي —— ومنه الى يد الشيخ عبد القادر الكيلاني

ومنه الى يد الشيخ عبد الرزاق الكيلاني —— ومنه الى يد الشيخ داود الثاني

ومنه الى يد الشيخ محمد غريب الله —— ومنه الى يد الشيخ عبد الفتاح السياح

ومنه الى يد الشيخ محمد قاسم —— ومنه الى يد الشيخ محمد صادق

ومنه الى يد الشيخ حسين البحراني —— ومنه الى يد الشيخ احمد الاحسائي

ومنه الى يد الشيخ اسماعيل الولياني —— ومنه الى يد الشيخ محيي الدين كركوك

ومنه الى يد الشيخ عبد الصمد كله زرده —— ومنه الى يد الشيخ حسين قازان قايه

ومنه الى يد الشيخ عبد القادر قازان قايه —— ومنه الى يد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني

ومنه الى يد الشيخ عبد القادر الكسنزاني —— ومنه الى يد الشيخ حسين الكسنزاني

ومنه الى يد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني

ومنه الى رئيس الطريقة الشيخ الحاضر محمد الكسنزاني (قدس الله اسرارهم أجمعين)

وقد خلد هذه السلسلة المباركة الشيخ عبد الرحيم بن احمد البُرعي في قصيدته الصوفية والتي سماها (خرقة الانوار) حيث يمر على ذكر الجناح الاول المسمى بالسلسلة الذهبية بالطريقة وقصيدته هذه مطلعها :

لكل خطب مهم حسبي الله ... ارجو به الأمن مما كنت اخشاه

الى ان يقول :

لله خرقةُ انوارٍ تداولَها ... ائمةٌ لهم التمكينُ والجاه

سرٌ تشَعشعَ من سر الغيوبِ فما ... زالتْ بصائرُ اهلِ الحقِ ترعاه

ما بين جبريلِ والطهرِ ابن آمنةٍ ... الى الامامِ علي كانَ مسراه

وفي الحسينِ وفي نجلِ الحسين فزن ... العابدينَ رحيمُ القلبِ أواه

فباقرِ العلمِ فالميمون جعفره ... فكاظمِ الغيظِ موسى مَنْ كموساه

الى علي الرضا سامي الفخارِ وكم ... مستقبلِ السرَّ من ماضٍ تلقاه

ائمةٌ من بني الزهرا لهم شرف ... ينميه حيدرةٌ فيهم وزهراهُ

هم عرّفوا الشيخ معروفاً اخا كرم ... ادْنَوه قبلَ سرىً وهو أدناه

ثم يستمر الشاعر بهذه السلسلة المباركة ينظمها نظماً جميلاً ويخلد فيها ائمة التصوف من آل بيت النبي الذين ساروا على طريقه وهديه صلى الله تعالى عليه وسلم.

سلسلة النسب الشريف

يرتفع نسب والدنا وشيخنا السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني الحسيني الى الدوحة النبوية الشريفة فهو : السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد عبد الكريم الشاه الكسنزاني بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد اسماعيل الولياني بن السيد محمد النودهي بن السيد بابا علي الوندرينة بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبد السيد الثاني بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الاحدب بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم الاول بن السيد عيسى البرزنچي بن السيد بابا علي الهمداني بن السيد يوسف الهمداني بن السيد محمد المنصور بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد اسماعيل المحدث بن الامام *موسى الكاظم* بن الامام جعفر *الصادق* بن الامام محمد *الباقر* بن الامام علي زين *العابدين* بن الامام *الحسين* بن الامام بن الامام *علي بن ابي طالب* كرم الله وجهه والسيدة *فاطمة الزهراء* بنت رسول الله وخاتم الانبياء والمرسلين محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم .

نـــداء الـــى النـــاس جميعـــاً

إن تجرد الانسان وتحلله من كافة القيود والضوابط الاجتماعية وسيره تائهاً حائراً في متاهات الحياة المظلمة بدون مسؤولية ونظام او هدف لا يحقق له شيئاً مما يريده للوصول الى الحقيقة سوى الانغماس في مباهج الحياة ولذاتها وبدون وازعٍ من ضمير وبلا حدود فتبلغ بذلك رغباته وغرائزه النفسية والجنسية ذروة الاشباع، ولا يبقى امامه ما يتنعم او يلتذ به فيحدث له حينئذٍ ما يحدث من فراغٍ نفسي عميق بعيد عن حقيقة الحق ووجدانه ولا يدري مَبعثه وهو ما يسمى بالفراغ الروحي الذي يحدثه فقدان الحقيقة (أي السعادة الابدية) التي يبحث عنها كل إنسان بتطلعه الى جلال الحق، فاذا ما إفتقدها الانسان افتقد جوهر الحياة والتجأ بعدها الى محو نفسه او إنتحارها لينقذها من براثن الحياة المزرية ولم يَدُر بخلده ولم يعلم بأن الله تعالى لم يخلق الانسان لمجرد الموت والحياة : (خَلَقَ ٱلمَوْتَ وَ ٱلحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[1]، بل ليرى عظمة الخالق من خلال آياته الكبرى في التنظيم والابداع حيث كانت جميع كتب المرسلين وصحائفها واحكامها تؤكد ذلك المعنى الروحي المحقق سعادة الانسان في الدنيا والآخرة عن طريق السعي الحثيث والاتباع الكامل لنهج القرآن ونهج تلك الشرائع السماوية ليرى بأمِّ عينيه الحقيقة المخفية في سر ذات الله تعالى وسر منهجه المستقيم : (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسانِ إلاَّ مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى)[2] .

لذا فقد وجب على الانسان ان يسعى طول بقائه في الدنيا للعمل الصالح وبالاستقامة على الطريقة:(إِنَّ ٱلذينَ قالوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ ٱلمَلائِكَةُ ألاَّ تَخافُوا ولا تَحزَنُوا وَأبْشِرُوا بالجَنَّةِ ٱلتي كُنْتُم تُوعَدُونَ)[3].

اي انهم يرون بأنفسهم آيات الله الكبرى فتطمئن قلوبهم وتهدأ نفوسهم حين يصلون الى الحقيقة وينسدُّ امامهم الفراغ الذي كانوا يعانون منه عندما يرون الدليل

---

(١) سورة الملك، الآية ٢ .

(٢) سورة النجم، الآيات ٣٩، ٤٠ .

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٠ .

الساطع على صحة سيرهم الى الله تعالى وهذا ما يفسر تبسم الصالحين اثناء إنتقالهم الى العالم العلوي لانهم يرون مقاماتهم ودرجاتهم في عالم الخلود، كما وجد سيدنا ابراهيم عليه السلام الحقيقة بعد تطلعه الى آفاق السموات حتى شملته العناية الالهية بالهداية واراد ان يطمئن بوصوله الى الحقيقة فطلب من الله سبحانه وتعالى ان يريه كيفية احياء الموتى : **(قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)**[1] .

فيا ايها الحائرون في متاهات الحياة وميادينها المجهولة دون تروٍ وتفكر، هلموا يا بني البشر الى منهج رواد الخلود من مشايخ الطريقة الذين يصلون بكم عن طريق التدرج الى الحقيقة الابدية (الخلود) التي حيرت عقول كثير من الفلاسفة والمفكرين في البحث عنها، وتأملوا واتبعوا طريقة العمل الصالح والمثابرة والتقوى فانكم لا محالة واصلون بعد ذلك الى املكم المنشود اي البقاء الذي لا فناء ولا موت بعده فتصبحون حينئذٍ في خلود دائم ونعيم مقيم لدى خالق الكون الذي ما خلق الانسان عبثاً ولا سدى وانما خلقه ليدرك سر هذا الوجود وكنهه فيكون في مرتبة الخالدين وما يتحقق ذلك الا بما بينّه تعالى في محكم كتابه : **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)**[2] . ان ربِ الاسره في عائلته هو المسؤول الاول عن توجيه عقيدة افراد اسرته نحو نهج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وترسيخ المبادىء الاسلامية فيها والسير بهم نحو الحقيقة قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)**، لان تبليغ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو أمر رباني : **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)**[3].

ولما كانت الطريقة هي امتداد لنهج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومشايخها وارثو المقام المحمدي رواد الوصول الى الحقيقة فلا بد من اتباعهم والسير على نهجهم .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
(٣) سورة النجم، الآيات ٣، ٤.

المصـــادر

١- اتحاف الاذكياء بجواز التوسل بالانبياء والاولياء، أبو الفضل الحسني .

٢- احياء علوم الدين، الامام الغزالي .

٣- أركان حقوق الانسان، د. صبحي المحمصاني .

٤- الاشارات والتبيهات، ابن سينا .

٥- اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، سعيد النورسي .

٦- الانتصار لطريق الصوفية، محمد صديق الغمارى .

٧- الانوار القدسية، الامام الشعراني .

٨- ايقاظ الهمم في شرح الحكم، ابن عجيبه .

٩- البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفيه الى علي، احمد بن محمد صديق الغمارى .

١٠- بستان العارفين، الامام النووي .

١١- تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار، عبد الرحمن الجبرتي .

١٢- تحفه السفره، ابن عربي .

١٣- التصوف الاسلامي، ماسنيون .

١٤- التعرف لمذهب اهل التصوف، الكلاباذي .

١٥- تعليقات على الرسالة القشيرية، زكريا الانصاري .

١٦- تنوير القلوب، الشيخ امين الكردي .

١٧- جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزاني.

١٨- حالة اهل الحقيقه مع الله، السيد احمد الرفاعي .

١٩- الحقائق، ديوان الشيخ محمد البكري .

٢٠- حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى .

٢١- حقيقة التوسل والوسيله، موسى محمد علي .

٢٢- حلية الاولياء، ابو نعيم الاصفهاني .
٢٣- خزينة الاسرار، محمد حقي النازلي .
٢٤- الخلوه، ابن عربي .
٢٥- الرساله القشيرية، الامام القشيري .
٢٦- الروح والنفس وشرح قواهما، الرازي .
٢٧- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للامام النووي .
٢٨- السماع عند الصوفية، د. كوكب عامر .
٢٩- السير والسلوك، احمد الجنيدي الشافعي .
٣٠- شرح فصوص الحكم، القاشاني .
٣١- الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري .
٣٢- طبقات الصوفيه، السلمي .
٣٣- العالم الفكري للامام جعفر الصادق، عادل خير الدين .
٣٤- علي امام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي .
٣٥- عوارف المعارف، السهروردي .
٣٦- الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر الكيلاني .
٣٧- الفتاوى الحديثة، ابن حجر الهتيمي .
٣٨- الفتح الرباني، الشيخ عبد القادر الكيلاني .
٣٩- الفروق بين العباد والعبوديه، الترمذي .
٤٠- الفتوحات المكية، ابن عربي .
٤١- في رحاب الامام علي، محمد رضا الخفاجي .
٤٢- قوت القلوب، ابو طالب المكي .
٤٣- كشف الضنون عن اسماء الكتب والفنون، حاجي خليفه .
٤٤- كشف الغمه في معرفة الائمة، ابو الحسن علي بن عيسى الاربلي .
٤٥- لسان العرب، ابن منظور .
٤٦- لطائف المنن والاخلاق، الشعراني .

٤٧- اللمع، للامام الطوسي .
٤٨- المحبه، للمحاسبي .
٤٩- مختار الصحاح، الرازي .
٥٠- مدارج السالكين عند الصوفيه، محمد هشام .
٥١- مذكرات في فقه السيره، د.مصطفى السباعي .
٥٢- المسالك العشر، محمد علي السنوسي .
٥٣- المعجم الصوفي، د. سعاد الحكيم .
٥٤- معجم المصطلحات الصوفيه، عبد المنعم حفني .
٥٥- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي .
٥٦- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس .
٥٧- معراج التشوف الى حقائق اهل التصوف، ابن عجيبه .
٥٨- مفاتيح الغيب، الرازي .
٥٩- مفتاح الفلاح، لابن عطاء الاسكندري .
٦٠- المقدمه، ابن خلدون .
٦١- مقدمه في التصوف وحقيقته، النيسابوري-تحقيق يوسف زيدان .
٦٢- مكاشفة القلوب الى حضرة علام الغيوب، للامام الغزالي .
٦٣- منازل السائرين الى حضرة الله ومقامات الطائرين بالله، نجم الدين ابي بكر .
٦٤- المنقذ من الضلال، عبد الحليم محمود .
٦٥- المنقذ من الضلال، الامام الغزالي .
٦٦- الموسوعة في سماحة الاسلام، محمد صادق عرجون .
٦٧- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزيه .
٦٨- نهج البلاغه، شرح محمد عبده .



المحتويـــــات

الموضــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة